كتاب الفجر المنير

في

الصلاة على البشير النذير

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم

للشيخ الإمام العالم العلامة مفتي الأنام [illegible] بقية [illegible]
تاج الدين أبي حفص عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري
المشهور بتاج الدين الفاكهاني المالكي المتوفى ت ٧٣٤ هجرية

مركز أهل السنة بركات رضا
امام احمد رضا رود، پوربندر (گجرات) الهند

عنوان الكتاب : كتاب الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير ﷺ

اسم المؤلف : الشيخ السلاَم الأمام العالم مفتى تاج الدين عمر بن علي بن سالم المعروف بـ((تاج الدين الفاكهانى))

السم الناشر : مركز اهلسنة بركات رضا فور بندر غجرات الهند

الطبعة الأولى

١٤٢٢هج - ٢٠٠١م

بسم اللّٰه الرحمٰن الرحيم

الحمد للّٰه الذى خلقنا وهدانا لاسلام. وبعث فينا محمد النبى الرحمة والسلام. والصلوٰة والسلام علٰى عبده و رسوله خيرالبريه والانام. وعلٰى اٰله وصحبه الكرام. ما استمرت الايام والشهور وا لاعوام.

امابعد ! ان هذا الكتاب " الفجرالمنير فى الصلوٰة علٰى البشيرالنذير" للشيخ ابى حفص الاسكندرى تاج الدين الفاكهانى (المتولد ٦٥٢هـ والمتوفى ٧٣٤ هـ بالاسكندرية) قدحصل علٰى نسخته المباركة وقام بكتا بتها وضبطها وتحقيقها ومراجعتها الاستاذ بسام محمد بارود (ابوظبى الامارات العربية المتحدة) ولقدتمت الطبعة الاولٰى سنة ١٤٢١ هـ/ ٢٠٠٠ م.

احسن و اجادالمؤلف رحمه اللّٰه فى بيان حكم الصلوٰة علٰى النبى الكريم عليه الصلوٰة والتسليم وعلٰى اٰله وصحبه و فضل الصلوٰة عليه وكيفيتها و مواطنها المستحبة و ذم من لم يصل عليه و زيارة قبره عليه السلام واٰدابه واسمائه ونعوته وصفاته وشمائله وخصائصه و معجزاته والاستغاثة به و فيما ختم اللّٰه به

ايام حياته.

وقام المحقق بسام بضبط النصوص وضبط الايات القرآنية وتخريج الاحاديث النبوية. وترجمة اغلب الاعلام الواردة في متن الكتاب و اضافة مجموعة من المراثي التي قيلت في و فاته صلى الله عليه و سلم و ترتيب فهرس تفصيلي في آخرالكتاب.

فجزى الله المؤلف والمحقق ومن قام بطبع الكتاب ونشره. وجعله اجراً و ذخراً لهم في الاخره. وهدية الى جناب الرسول الاعظم و وسيلة لشفاعته صلى الله عليه وسلم.

كتبه

محمد يٰسين اختر المصباحي

مؤسس دارالقلم

دلهي الجديدة (الهند)

يوم الخميس ٢ من رجب سنة ١٤٢٢ ھ

٢٠/ من سبتمبر ٢٠٠١ م

مقدمة التحقيق

الحمد لله رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويكافيء مزيده، يا ربنا لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك وعظيم سلطانك، سبحانك لا نحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا.

اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد في الأولين، وصلِّ وسلم على سيدنا محمد في الآخرين، وصلِّ وسلم على سيدنا محمد في الملأ الأعلى إلى يوم الدين، وصلِّ وسلم على سيدنا محمد حتى ترث الأرض ومن عليها وأنت خير الوارثين. وبعد،

فهذا الكتاب: هو الحلقة الثانية من السلسلة الذهبية من سلسلة نوادر المخطوطات المتعلقة بالصلاة على سيد الكائنات وحبيب رب البريات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، مما أكرمني الله تعالى ووفقني لخدمته، ليكون بين يدي أحباب هذا النبي العظيم، والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم.

وكثيرون هم الذين ألفوا في أحكام الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وبينوا فضائلها، وثمراتها، وفوائدها، ـ وقد ذكرت قائمة تضم بعضهم رضي الله عنهم في مقدمتي لكتاب «مسالك الحنفا» للإمام القسطلاني، فانظرها تجدها هناك ـ إلا أن الإمام الفاكهي، أو ابن الفاكهاني المالكي، قد بزَّ الجميع في تأليفه هذا، حيث عرض لتلك المسائل وبيَّنها أحسن بيان، عاضداً لها بالأدلة الفقهية والحديثية، ومجليّاً لها بما لا يدع مجالاً لغيره، فكان تأليفه هذا مرجعاً لكل من أتى بعده،

ـ ولا عجب أن كان هذا الكتاب مصدراً من مصادر الإمام القسطلاني في كتابه «مسالك الحنفا» حيث نقل عنه الكثير من المواضع فكان للعلامة القسطلاني الفضل ـ بعد الله تعالى ـ أن هداني لهذا الكتاب ـ جمع فيه رحمه الله تعالى تلك الأبواب، وزاد عليها فصولاً هامة قلَّ ما توجد في أمثاله من الكتب، فأضاف إليه فصولاً في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، وخصائصه، وصفاته، ومعجزاته ـ لا سيما القرآن الكريم ووجوه إعجازه ـ وجملة من آدابه صلى الله عليه وسلم في شتى نواحي حياته في بيته ومع أزواجه، ومع أصحابه، ومع الناس أجمعين، ثم ختم الكتاب بفصل أتى فيه على ذكر وفاته صلى الله عليه وسلم، ومراثي الصحابة وغيرهم له صلى الله عليه وسلم، فكان هذا الكتاب جامعاً نافعاً لمن أراد أن يكرع من موارد فضل هذا الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، ويتضلَّع من مناهل ورده الأفخم، ويتأسى به في سائر حركاته وسكناته، امتثالاً لأمر الله تعالى في محكم تنزيله لأحبابه المؤمنين حيث قال: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ «سورة الأحزاب ـ الآية ٢١».

من هنا يتبين لنا أهمية هذا الكتاب في بيان ذلك، حيث أنه لا يمكن للمرء أن يحب شيئاً إلا إذا عرف فضله، ووقف على نواحي عظمته، فكيف إذا كان هذا المطلوب هو الحبيب المحبوب صلى الله عليه وسلم الذي ما عرف قدره إلا خالقه سبحانه وتعالى.

ومن فضل الله تعالى علي أن عثرت على نسخة مخطوطة من هذا الكتاب المبارك، قدم بها أخي وحبيبي في الله تعالى المحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم السيد الفاضل الدكتور سمير عبد الرحمن مصلح أصلح الله أموره في الدارين، أكرمني بنسخة قدم بها من دار الكتب الأزهرية في مصر المحمية، وقد كتبت هذه النسخة سنة ست وثلاثين وألف من هجرة من له العز والشرف.

ويبلغ عدد أوراقها (٨٦) ورقة. ومسطرتها: ١٩ سطراً. كتبت بخط عادي دقيق، ويلاحظ فيها وجود نقص في نصوصها، قمت باستكمال هذه النصوص من مصادرها، وضبطتها، حتى أن القاريء الكريم لن يشعر بأي خلل بالنص أو نقص يشوهه، وذلك من فضل الله تعالى وتوفيقه. فله الحمد في الأولى والآخرة على ما أنعم، ونسأله سبحانه القبول بجاه سيدنا الرسول صلى الله عليه وسلم.

أما مؤلف هذا السفر العظيم فهو: عمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي المالكي، الشهير بتاج الدين الفاكهاني. يكنى أبا حفص الاسكندري، قرأ القرآن الكريم بالقراءات على أبي عبد الله محمد ابن عبد الله بن عبد العزيز المازوني، حافي رأسه، وسمع منه، وسمع من أبي عبد الله محمد بن طرخان، وأبي الحسن علي بن أحمد القرافي، وسمع من غيرهما.

كان رضي الله عنه فقيهاً فاضلاً، متفننا في الحديث، والفقه، والأصول، والعربية، والأدب، وكان على حظ وافر من الدين المتين، والصلاح العظيم، واتباع السلف الصالح، حسن الأخلاق، صحب جماعة من الأولياء، وتخلق بأخلاقهم، وتأدب بآدابهم، وحج غير مرة، وحدَّث ببعض مصنفاته.

مؤلفاته: له ـ رضي الله عنه ـ : «شرح العمدة» في الحديث، لم يسبق إلى مثله لكثرة فائدته. وله: «شرح الأربعين النووية» ، سماه: «المنهج المبين في شرح الأربعين». وله: «الإشارة» في العربية، وشرحها. وله أيضاً: «التحفة المختارة في الرد على منكر الزيارة». وله: كتاب **«الفجر المنير في الصلاة على البشير النذير» ـ وهو موضوع كتابنا.**

وكان له رضي الله عنه شعر حسن: قال العلامة ابن فرحون في «الديباج المذهب»: وأخبرني جمال الدين عبد الله بن محمد بن علي بن أحمد بن حديدة الأنصاري المحدِّث أحد الصوفية بخانقاه سعيد السعداء، في سنة ثمان وتسعين وسبعمائة، قال: رحلنا مع شيخنا تاج الدين

الفاكهاني إلى دمشق، فقصد زيارة نعل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي بدار الحديث الأشرفية بدمشق، وكنت معه، فلما رأى النعل المكرمة حسر عن رأسه، وجعل يقبله، ويمرغ وجهه عليه، ودموعه تسيل، وأنشد:

فلو قيل للمجنون ليلى ووصلها ... تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال: غبار من تراب نعالها ... أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

ولما حضرته الوفاة جعل بعض أقاربه يتشهد بين يديه ليذكِّره، ففتح عينيه، وأنشد:

وغدا يذكِّرني عهوداً بالحمى ... ومتى نسيت العهد حتى أذكرا

ثم تشهَّد وقضى نحبه.

توفي رضي الله تعالى عنه بالاسكندرية في سنة أربع وثلاثين وسبعمائة، ودفن في ظاهر باب البحر، وكان مولده بها سنة أربع وخمسين وستمائة، وقيل: سنة ست وخمسين.

أما عملي في تحقيق هذا المخطوط المبارك:

١ ـ ضبط النصوص ما أمكن إلى ذلك سبيلاً، وذلك بالرجوع إلى مصادرها التي نقل عنها المؤلف رحمه الله تعالى.

٢ ـ ضبط الآيات القرآنية وعزوها إلى سورها وترقيمها.

٣ ـ تخريج الأحاديث النبوية الشريفة، وردها إلى مظانها في كتب الحديث الشريف.

٤ ـ ترجمة أغلب الأعلام الواردة في متن الكتاب، والتعريف بها، وذلك بالرجوع إلى مصادرها في كتب الطبقات والأعلام.

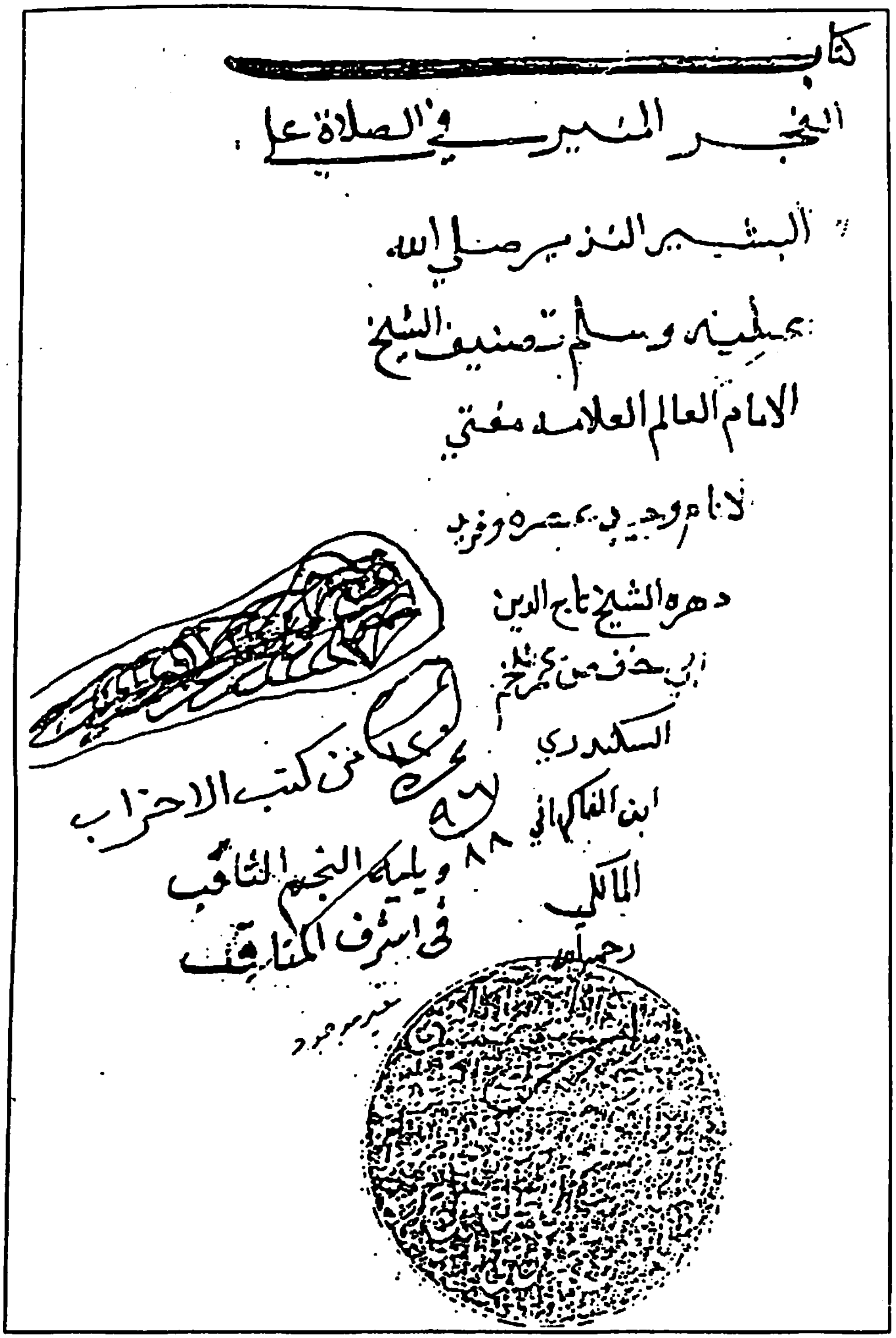
٥ ـ تتميماً للفائدة فقد أضفت في آخر الكتاب مجموعة من المراثي التي قيلت في وفاته صلى الله عليه وسلم من قبل الصحابة وآل البيت النبوي وغيرهم.

٦ ـ تم عمل فهرس تفصيلي لمباحث الكتاب.

ختاماً فإن أحسنت فمن فضل الله وحده، وتوفيقه، وإن أسأت فمن نفسي وطبعي، فأرجو أن أكون قد وفقت في عملي هذا، ليكون هدية خالصة إلى جناب حبيبنا الأعظم صلى الله عليه وسلم، وتكرمة لمحبي هذا الحبيب الأفخم، ووسيلة لنيل شفاعته صلى الله عليه وسلم وشفاعة الصالحين والمحبين، وسببا للعفو عما بدر مني في أمسي، ونوراً بين يدي حين حلول رمسي.

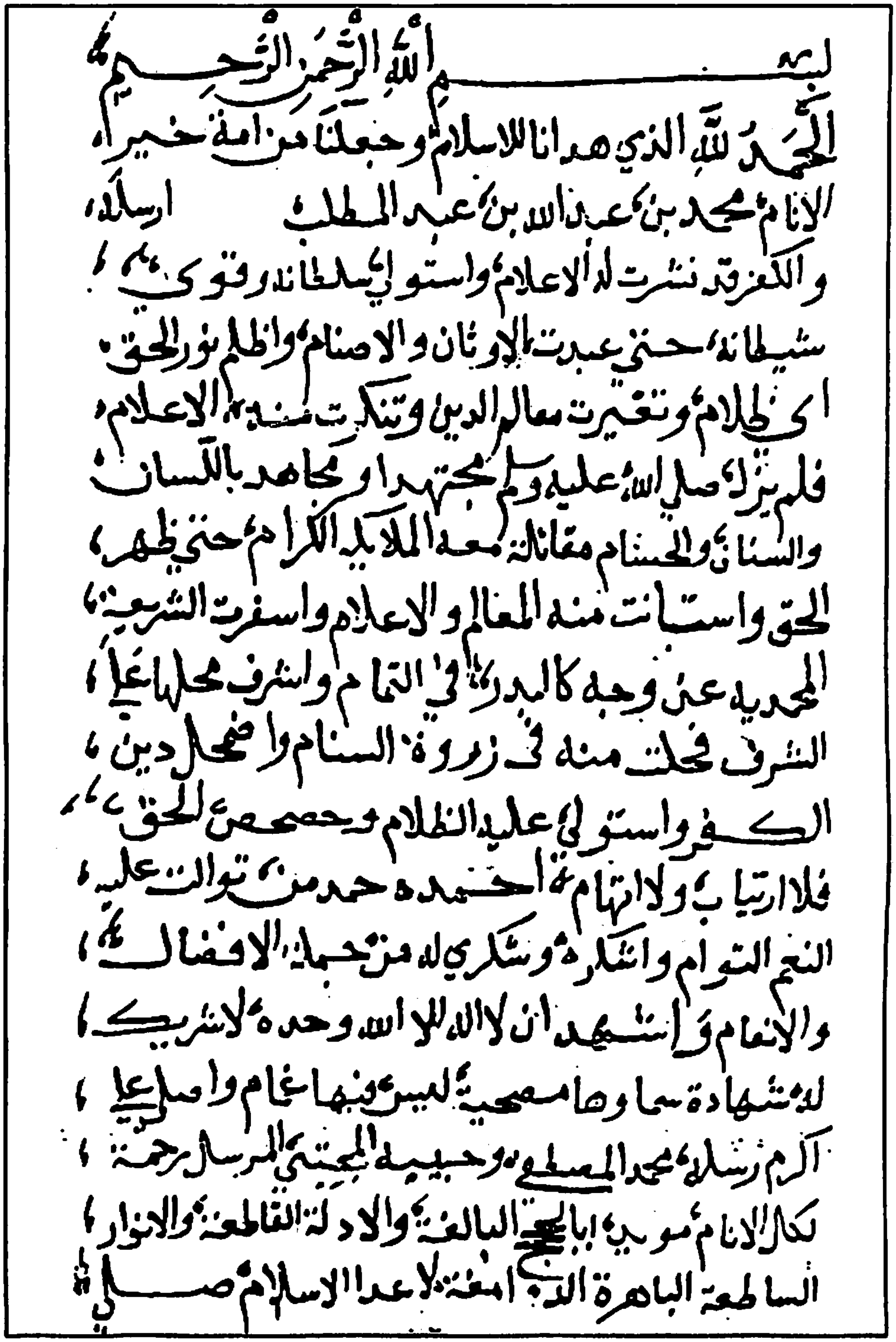
اللهم إنا نعوذ بك أن نشرك بك شيئاً نعلمه، ونستغفرك مما لا نعلمه، ونسألك أن تتقبل منا هذا العمل وأن تجعله من العلم الذي ينتفع به في الدنيا والآخرة. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون، آمين.

قاله بفمه، وكتبه بقلمه
بسام محمد بارود
عفا الله عنه الجواد الكريم الودود
أبو ظبي: ١٧/شوال/ ١٤٢٠ هجرية
موافق لـ ٢٣/ ١/ ٢٠٠٠ ميلادية


كتاب
الفجر المنير في الصلاة على
البشير النذير صلى الله
عليه وسلم تصنيف الشيخ
الامام العالم العلامة مفتي
الانام وحيد دهره وفريد
دهره الشيخ تاج الدين
ابي حفص عمر بن علي اللخمي
السكندري
ابن الفاكهاني
المالكي
رحمه الله

من كتب الاحزاب
٨٨
ويليه النجم الثاقب
في اشرف المناقب
غير موجود

الورقة ١/أ ـ صفحة العنوان



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي هدانا للإسلام وجعلنا من أمة خير
الأنام محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسله
والكفر قد نشرت له الأعلام واستولى سلطانه وقوي
شيطانه حتى عبدت الأوثان والأصنام وأظلم نور الحق
أي إظلام وتغيرت معالم الدين وتنكرت منه الأعلام
فلم يزل صلى الله عليه وسلم مجتهداً ومجاهداً باللسان
والسنان والحسام مقاتلاً معه الملائكة الكرام حتى ظهر
الحق واستبانت منه المعالم والأعلام وأسفرت الشريعة
المحمدية عن وجه كالبدر في التمام وأشرف محلها على
الشرف فحلت منه في ذروة السنام واضمحل دين
الكفر واستولى عليه الظلام وتمحص الحق
فلا ارتياب ولا اتهام أحمده حمد من توالت عليه
النعم التوام وأشكره شكر من له من جميل الأفضال
والإنعام وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك
له شهادة سما وطاب معناها لمن فيها اغتنام وأصلي على
أكرم رسله محمد المصطفى وحبيبه المجتبى المرسل رحمة
لكافة الأنام مؤيداً بالحجج البالغة والأدلة القاطعة والأنوار
الساطعة الباهرة الذي أرغمت أعداء الإسلام صلى

الورقة ١/ب - بداية المخطوط

أفقدت أرضنا هناك نبيا ... كان يروى به النبات زكيا

خلقا عاليا وهديا كريما ... وصراطا يهدي الأنام سويا

وسراجا يجلو الظلام منيرا ... ونبيا مسودا عربيا

حازما عازما كريما حليما ... عائدا بالنوال برا تقيا

إن يوما أتى عليك ليوم ... كورت شمسه وكان جليا

فعليك السلام منا ومن ... ربك بالروح بكرة وعشيا

وروي عن علي رضي الله عنه أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سمعوا صوتا ولم يروا شخصا وهو يقول السلام عليكم أهل البيت ورحمت الله وبركاته كل نفس ذائقة الموت وإنما توفون أجوركم يوم القيامة وإن في الله عز وجل عزاء من كل هالك ودركا من كل فائت فبالله فثقوا وإياه فارجوا واعلموا أن المصاب من حرم الثواب والسلام عليكم ورحمت الله وبركاته وبكى أبو سفيان بن الحارث فقال

أرقت فبت ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول

وأسعدني البكا وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل

لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل قد قبض الرسول

وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل

فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل

وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل

نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول

الورقة ٨٦/آ الورقة قبل الأخيرة من المخطوط

ويرشدنا للخير صلى الله علينا والرسول لنا دليل

فيا فلطراب جزعت فذاك عـذر وان لم تجزعي فذاك السبيل

فقبر ابيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول

قال الله عز وجل ان الذين امنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم

بايمانهم تجري من تحتهم الانهار في جنات النعيم دعواهم

فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام واخر دعواهم ان الحمد لله

رب العالمين الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا

الله نحمده حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده اللهم صل على سيدنا محمد عبدك

ورسولك النبي الامي وعلى آل محمد وازواجه وذريته كما صليت على ابراهيم

وعلى آل ابراهيم في العالمين انك حميد مجيد اللهم اجزه عنا افضل ما جزيت

نبيا عن امته واحشرنا في زمرته واجعلنا من خيار امته ولا تخالف بنا

عن ملته صلى الله عليه وعلى آله وصحابته تم الكتاب والحمد لله وحده

وكان الفراغ من نسخه يوم الاثنين المبارك خامس وعشرين شهر شعبان

المعظم سنة ست وثلاثين بعد الالف على يد الفقير

الحقير المعترف بالعجز والتقصير افقر عباد الله واحوجهم

الى عفو ربه الغني يوسف بن عبد الله

الحنفي عامله الله بلطفه

الحنفي امين والحمد لله رب

العالمين وصلى الله

على سيدنا

محمد وآله

وصحبه

وسلم

الورقة ٨٦/ب الورقة الأخيرة من المخطوط

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي هدانا للإسلام، وجعلنا من أمة خير الأنام، محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. أرسله والكفر قد نشرت له الأعلام، واستولى سلطانه، وقوي شيطانه، حتى عبدت الأوثان والأصنام، وأظلم نور الحق أي ظلام، وتغيرت معالم الدين وتنكرت منه الأعلام، فلم يزل صلى الله عليه وسلم مجتهداً ومجاهداً باللسان والسنان، والحسام، مقاتلة معه الملائكة الكرام، حتى ظهر الحق واستبانت منه المعالم والأعلام، وأسفرت الشريعة المحمدية عن وجه كالبدر في التمام، وأشرف محلها غاية الشرف فحلت منه في ذروة السنام، واضمحل دين الكفر واستولى عليه الظلام، وحصحص الحق، فلا ارتياب ولا اتهام.

أحمده حمد من توالت عليه النعم التوام، وأشكره، وشكري له من جملة الإفضال والإنعام.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة سماؤها مصحية ليس فيها غمام.

وأصلي على أكرم رسله محمد المصطفى، وحبيبه المجتبى، المرسل رحمة لكل الأنام، مؤيد بالحجج البالغة، والأدلة القاطعة، والأنوار الساطعة الباهرة الدامغة لأعداء الإسلام.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأزواجه ما سح[١] غمام، وهطل ركام[٢]، واستمرت الشهور، وتطاولت الأعوام.

---

(١) أي: ما صبَّ.

(٢) الرُّكام: السحاب المتراكم.

أما بعد،

فإن من أحب شيئاً أكثر من ذكره، ومن أحسن وأجمل فلا بد من ذكر إحسانه ونشره، والثناء عليه دائماً بشكره والاشتمال على محبته وبره، والانطواء على معاضدته ونصره، لا سيما من محبته فرض على القلوب حتماً، وموالاته مقدمة على كل الموالاة جزما، وكيف لا؟ وقد أنقذنا الله تعالى به من النار قدماً قدما، وشرح به صدوراً ملئت هماً، وفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صما، هذا وقد كمله الله تعالى خَلْقَاً وخُلُقا، وفهماً وعلماً وحِلما، وفضله على سائر الخلق عرباً وعجما، فكان أقواهم يقيناً وعزما، وأعلاهم رتبة وأسمى، وأعز سلطاناً وأحمى، وأشدهم بهم رأفة ورحما، وأكثر المرسلين أتباعاً وأنمى، وأعود بالخير على الخليقة وأجدى، آياته تتلى، ومحاسنه تجلى، ومعجزاته تسمو وتسمى، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة تنمو وتنمى، ونحوز بها من مغنم السعادة قسما.

ولا طريق إلى شكره عليه الصلاة والسلام سوى محبته وبره، والصلاة عليه والتسليم في مساء كل يوم وفجره، والتنويه بمحاسنه وذكره، والاشتياق إلى مشاهدة آثاره، وزيارة قبره، والتحلي بذكر أسمائه وصفاته الخَلْقِية والمعنوية في سر العبد وجهره، ونشر معجزاته، وبيان آياته على كر الزمان ومره.

فتعين أن أذكر في هذا اثني عشر باباً:

الباب الأول: في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم على التحرير، وذكر الخلاف في ذلك والتقدير.

الباب الثاني: في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، وما في ذلك من الثواب، والتقرب إلى رب الأرباب.

الباب الثالث: في كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم والتسليم، وما يترتب على ذلك من الأجر العظيم.

الباب الرابع: في المواطن التي تستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها، ويكثر ويعظم الأجر عليها.

الباب الخامس: في ذم من لم يصل عليه، وتفويق سهام الملامة إليه.

الباب السادس: في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام، وما في ذلك من الآداب المرتب عليها كثرة الأجر والثواب.

الباب السابع: في أسمائه المعظمة ونعوته المكرمة.

الباب الثامن: في صفاته الخلقية وشمائله المرضية.

الباب التاسع: في صفاته المعنوية وما اختصه به رب البرية.

الباب العاشر: في معجزاته، وما اختصه به تعالى من آياته.

الباب الحادي عشر: في من استغاث به عليه الصلاة والسلام فأغيث في القديم والحديث.

الباب الثاني عشر: فيما ختم الله به أيام حياته، وذكر مرضه ووفاته.

الباب الأول

في حكم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على التحرير وذكر الخلاف في ذلك والتقدير

اعلم أن الصلاة على نبينا صلى الله عليه وسلم فريضة واجبة على الجملة، غير مؤقتة بوقت معلوم.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[١].

وهذا محمول عند العلماء قاطبة على الوجوب، وإن كان أبو جعفر الطبري يقول: محمله على الندب، وادعى في ذلك الإجماع[٢].

قال القاضي أبو الفضل[٣] رحمه الله تعالى: ولعله[٤] [أراد] بذلك ما زاد على المرة الواحدة ككلمة الشهادة.

---

(١) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٦.

(٢) قال الخفاجي في «نسيم الرياض»: والآية السابقة تدل على ذلك عند الجمهور؛ لأنه الأصل في الأمر وحقيقته عند الأكثرين، ويعضده الأحاديث. «نسيم الرياض» ٣/ ٤٩٤». وقال القرطبي في «الجامع لأحكام القرآن» ولا خلاف في أن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم فرض في العمر مرة. «الجامع لأحكام القرآن للطبري ١٤/ ٢٣٣». وقال الزمخشري: فإن قلت: الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم واجبة أم مندوب إليها؟ قلت: بل واجبة. «الكشاف ٢/ ٢٢٠».

(٣) أي القاضي عياض بن موسى اليحصبي في كتابه «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» صلى الله عليه وسلم.

(٤) أي ما ادعاه من الندب.

قلت: وهو الظاهر المتعين وإلا فهو وهم، ولا ينعقد الإجماع دون مالك وأصحابه، والشافعي، على ما سيأتي بيانه وتحريره.

قال القاضي أبو بكر[١]: افترض الله تعالى على خلقه أن يصلوا على نبيه ويسلموا، ولم يجعل لذلك وقتاً معلوماً، فالواجب أن يكثر المرء منها، ولا يغفل عنها.

قال القاضي أبو الحسن[٢]: المشهور عن أصحابنا أن ذلك واجب في الجملة على الإنسان، وفرض عليه أن يأتي بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك.

قلت: انظر قوله: «المشهور» هل له مفهوم بحيث يكون بإزائه قول شاذ بعدم الوجوب أم لا مفهوم له؟، ويريد أن ذلك اشتهر من قول الأصحاب، لا أن ثم مخالف، والظاهر الأول، إن لم يتأول، ويحتمل أن يكون تحرز بقوله «المشهور» من قول الطبري إن لم يتأول، على ما قاله القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى.

وقال الشافعي: إنما تجب بعد التشهد الأخير وقبل السلام.

ولابن المواز من أصحابنا[٣] قول كقول الشافعي.

وأنكره غير واحد من العلماء، وقالوا: إنه قول مخترع، لا سابق له فيه، ولا سنة[٤].

قلت: وظاهر كلام أحمد كمذهب الشافعي على ما نقله ابن هبيرة، وتابعه اسحق، إلا أنه فرَّق بين تركها عمداً، فلا تصح الصلاة، وبين تركها سهواً، فتصح الصلاة.

---

(١) أي القاضي أبو بكر بن بكير المالكي رحمه الله تعالى، على ما ذكره القاضي عياض في الشفا ٦٢٨/٢ ط عيسى الحلبي.

(٢) أي أبو الحسن بن القصار رحمه الله تعالى.

(٣) أي من السادة المالكية.

(٤) وسيأتي الرد على هذا القول في الحاشية التالية.

قال الخطابي: ولا أعلم للشافعي في هذا قدوة!!![1]**.**

قلت: الظاهر أن الشعبي تقدمه، والله أعلم[2]**.**

---

(١) قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: «وقد خالف الخطابي من أصحاب الشافعي وغيره ـ الشافعي في هذه المسألة قال الخطابي: وليست بواجبة في الصلاة؛ وهو قول جماعة الفقهاء إلا الشافعي؛ ولا أعلم له فيها قدوة».

قال العلامة القسطلاني في «مسالك الحنفا» عند قول القاضي عياض في «الشفا»: وشذ الشافعي، ولا سلف له في ذلك، وقد بالغ الناس في هذه المسألة، ولا أعلم له فيها قدوة يقتدى به: قال وأما قوله «وشذ الشافعي»: فقد مر ما قاله الإمام أحمد وجماعة له، فعلم أن قوله «وشذ الشافعي» غير صحيح، ولا ريب أن انفراد أحد المجتهدين بالحكم الاجتهادي ليس بمنكر.

وأما قوله: «ولا سلف له في ذلك»: غير صواب، لما تقرر أنها مسألة اجتهادية، وقاعدته أن قول الصحابي ليس بحجة في محل الاجتهاد، فكيف بغيره؟، فلا احتياج له في الاجتهاد إلى سلف.

وأما قوله: «وقد بالغ الناس في هذه المسألة»: يقال عليه: هذا الإنكار منكر!!، وكيف ينكر القول بوجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم وهي أعظم العبادات الوارد بها القرآن، وأحد ركني الإيمان، إذ هي مستلزمة للإيمان والشهادة له بالرسالة.

وقوله: «ولا أعلم له فيها قدوة يقتدى به»: والمقام مقام اجتهاد فلا افتقار له منه إلى غيره، **وإن أريد الموافقة في الاجتهاد، فقد سبق ذكر من وافقه فيه ـ فهذا ابن مسعود، وابن عمر، وأبو مسعود، والشعبي، ومقاتل بن حيان، وجعفر بن محمد، وإسحاق بن راهويه، والإمام أحمد في آخر قوليه، يوجبون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في التشهد، فأين إجماع المسلمين مع خلاف هؤلاء؟.**

(٢) قال العلامة ابن قيم الجوزية في «جلاء الأفهام» في الرد على هذا القول ما نصه: «أما نسبتكم الشافعي ومن قال بقوله في هذه المسألة إلى الشذوذ ومخالفة الإجماع، فليس بصحيح؛ فقد قال بقوله جماعة من الصحابة ومن بعدهم. فمنهم: عبد الله بن مسعود، فإنه كان يراها واجبة في الصلاة، ويقول: «لا صلاة لمن لم يصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم »، ذكره ابن عبد البر ـ المالكي ـ عنه في التمهيد، وحكاه غيره أيضاً.

ومنهم: أبو مسعود البدري، روى عثمان بن أبي شيبة وغيره: عن شريك، عن جابر الجعفي، عن أبي جعفر محمد بن علي، عن أبي مسعود قال: «ما أرى أن صلاة لي تمت حتى أصلي على محمد وعلى آل محمد» .ومنهم: عبد الله بن عمر، ذكره الحسن بن شبيب المعمري، بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: «لا تكون صلاة =

وقيل: تجب كلما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم، واختاره الطحاوي من الحنفية، والحليمي من الشافعية.

ودليل الجمهور: الأحاديث الصحيحة الصريحة، كحديث ابن مسعود الآتي في «التشهد» وأنه لم يعلم الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم[1]، وحديث المسيء صلاته أيضاً كذلك[2].

وقال ابن عطية: الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في كل حال واجبة وجوب السنن المؤكدة التي لا يسع تركها، ولا يغفلها إلا من لا خير فيه.

قلت: وهذا ينحو إلى ما نحا إليه الطبري من حمل الآية على الندب، إن لم يتأول قوله ما تقدم.

ولنرجع إلى تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ الآية.

= إلا بقراءة وتشهد، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، فإن نسيت شيئاً من ذلك فاسجد سجدتين بعد السلام». ومن التابعين: أبو جعفر محمد بن علي، والشعبي، ومقاتل بن حيان. ومن أرباب المذاهب المتبوعين: اسحاق بن راهويه، قال: إن تركها عمداً لم تصح صلاته، وإن تركها سهواً رجوت أن تجزئه».
انظر: «جلاء الأفهام» ص ١٨٩.

(١) والذي اختاره الشافعي هو حديث ابن عباس رضي الله عنهما على ما ذكره ابن القيم، أما تشهد ابن مسعود رضي الله عنه فاختاره أبو حنيفة والإمام أحمد رحمهما الله، واختار الإمام مالك رحمه الله تعالى تشهد عمر رضي الله عنه. «جلاء الأفهام» ص ١٩١.

(٢) في قوله صلى الله عليه وسلم للمسيء صلاته: «ارجع فصلِّ فإنك لم تصلِّ»، ثم أمره بفعل ما رآه لم يأت به، أو لم يقمه من صلاته، فقال: «إذا قمت إلى الصلاة»، وقد قام الدليل من غير هذا الحديث على وجوب التشهد، ووجوب التسليم عيه صلى الله عليه وسلم بما علَّمهم من ذلك، كما يعلمهم السورة من القرآن، وأعلمهم أن ذلك في صلاتهم، وقام الدليل أيضاً في المسألة بأنه إنما يتحلل من الصلاة به، لا بغيره من غير هذا الحديث، فكذلك الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مأخوذة من غير ذلك الحديث.

قال ابن عباس: إن الله وملائكته يباركون على النبي[1].

قلت: وقد فسرت البركة في الحديث بالزيادة من الخير، والكرامة، والتكثير.

[وقد] تكون بمعنى الثبات على ذلك من قولهم: «بركت الإبل». وتكون البركة بمعنى التطهر والتبرئة من المعايب، وكما قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[2].

قال القاضي: وهو أحد التأويلات في «تبارك الله».

وقيل: إن الله يترحم على النبي وملائكته يدعون له.

قال المبرد: وأصل الصلاة الترحم، فهي من الله: رحمة، ومن الملائكة: رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى.

وقد ورد في الحديث صفة صلاة الملائكة على من جلس ينتظر الصلاة: «اللهم اغفر له، اللهم ارحمه»[3]، فهذا دعاء.

وقال أبو بكر القشيري: الصلاة من الله تعالى لمن دون النبي صلى الله عليه وسلم رحمة، وللنبي صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة تكرمة.

---

(١) أي يدعون له بزيادة بركة لائقة بمقامه وشرف قدره. وقال العلامة القاري: أي إن الله يبارك له في أمره؛ ويزيد في قدره، وتدعو الملائكة ربه أن يرفع ذكره، ويظهر أمره.

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ٣٣.

(٣) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه، وهو في مسند الإمام أحمد ١/ ١٤٤.
وأحكام القرآن لابن العربي المعافري القاضي ٣/ ١٥٧٠.
روى الإمام مالك في الموطأ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم فقضى صلاته، ثم قعد في مصلاه، وذكر الله، فهو في صلاة، وإن الملائكة يصلون عليه يقولون: اللهم ارحمه واغفر له، وإن هو دخل مصلاه ينتظر كان مثل ذلك». موطأ مالك ـ كتاب الصلاة ـ باب انتظار الصلاة والمشي إليها.
ورواه ابن أبي شيبة في المصنف عن رجل من الصحابة. انظر: كنز العمال ٧/ ٣٢١ الحديث رقم ١٩٠٧٠.

قلت: واختلف في الرحمة، هل هي صفة ذات، أو صفة فعل؟، فمن فسرها بأنها إرادة نفع العبد قال: هي صفة ذات، وبه قال ابن فورك.

ومن فسرها بأنها خلق نفع العبد قال: هي صفة فعل.

وقال أبو العالية: صلاة الله تعالى هي ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

قال القاضي أبو الفضل رحمه الله تعالى: وقد فرَّق النبي صلى الله عليه وسلم في حديث تعليم الصلاة [بين لفظ الصلاة، ولفظ البركة؛ فدل أنهما بمعنيين][1].

وقال ابن عطية: هذه الآية شرف الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وسلم وذكر منزلته.

قلت: وليس في القرآن الكريم، ولا في غيره في ما علمت صلاة من الله تعالى على غير نبينا صلى الله عليه وسلم، فهي خصيصة اختصه الله تعالى بها دون سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

وعن الأصمعي قال: سمعت المهدي على منبر البصرة يقول: إن الله أمركم بأمر بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴿٥٦﴾﴾[2] آثره الله بها من بين الرسل، وأتحفكم بها من بين الأمم، فقابلوا نعمة الله بالشكر.

وعن أبي عثمان الواعظ: سمعت الإمام سهل بن محمد يقول: هذا التشريف الذي شرف الله تعالى به نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ﴾ الآية، أتم وأجمع من تشريف آدم عليه السلام

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من «الشفا» للقاضي عياض ٢/ ٦٢٦.

(٢) سورة الأحزاب ـ الآية ٥٦.

بأمر الملائكة له بالسجود، لأنه لا يجوز أن يكون الله مع الملائكة في ذلك التشريف، فتشريف يصدر عنه أبلغ من تشريف يختص به الملائكة.

وقوله تعالى: ﴿يُصَلُّونَ﴾ قالت فرقة: الضمير لله تعالى، وللملائكة، وهذا قول من الله تعالى شرف به ملائكته، فلا يصحبه الاعتراض الذي جاء في قول الخطيب عند النبي صلى الله عليه وسلم: «من أطاع الله ورسوله فقد رشد، ومن يعصهما فقد ضل»، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بئس الخطيب أنت»(١).

قالوا: لأنه ليس لأحد من البشر أن يجمع ذكر الله مع غيره في ضمير واحد، ولله سبحانه أن يفعل في ذلك ما يشاء.

وقالت فرقة: في الكلام حذف تقديره: إن الله يصلي على النبي، وملائكته يصلون.

وقالت فرقة: بل جمع الله الملائكة مع نفسه في ضمير واحد، وذلك جائز للبشر إن فعله ولم يقل صلى الله عليه وسلم: «بئس الخطيب» لهذا المعنى، وإنما قال لأن الخطيب وقف على: «ومن يعصهما» وسكت سكتة.

ومما يؤيد هذا أن في كلام النبي صلى الله عليه وسلم في مصنف أبي داود: «ومن يعصهما» فجمع ذكر الله تعالى وذكر رسوله في ضمير.

ومما يؤيد الأول: أن في كتاب مسلم: «بئس الخطيب أنت، قل: ومن يعص الله ورسوله».

قال ابن عطية: وهذا يحتمل أن يكون لما خطأه في وقفه وقال: «بئس الخطيب أنت» أصلح بعد ذلك كلامه، لأن فصل ضمير «الله» تعالى من

---

(١) رواه الإمام مسلم في صحيحه ـ كتاب الجمعة ٤٨، وأبو داود في سننه ـ كتاب الجمعة أيضاً ـ الباب ٢٣، والإمام أحمد في المسند ٢٥٦/٤ و٣٧٩، والبيهقي ٨٦/١، و٢١٦/٣، والحاكم في المستدرك ٢٨٩/١.

ضمير اسمه أولى لا محالة، فقال له: «بئس الخطيب» لموضع خطئه في الوقف، وحملة على الأولى في فصل الضمير وإن كان جمعها جائز.

وأورد بعض المعاصرين السؤال معتمداً على أن خطأ الخطيب إنما هو جمع الضميرين، لا لأجل الوقف المذكور، فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما»[1]؛ فقد جمع بينهما في الضمير كما جمع الخطيب، فما الفرق بينهما، وما الجواب؟.

والجواب من وجهين:

أحدهما: ذكره الشيخ عز الدين بن عبد السلام قدس الله روحه، فقال: إن منصب الخطيب حقير قابل للتذلل، فإذا نطق بهذه العبارة فقد يتوهم فيه لنقصه أنه إنما جمع بينهما في الضمير لأنه أهمل الفصل بينهما والفرق، فلذلك امتنع لما فيه من إيهام التسوية. ومنصب النبي صلى الله عليه وسلم في غاية الجلالة والبعد عن الوهم، فلا يقع بسبب جمعه عليه الصلاة والسلام إيهام التسوية.

وثانيها: ذكره بعض الفضلاء فقال: كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم جملة واحدة، وتقدم الظاهر في الجملة الواحدة يبعد استعمال الظاهر مع موضع المضمر، بل المضمر هو الحسن، وكلام الخطيب جملتان؛ أحدهما مدح، والآخر ذم، فلذلك حسن استعمال الظاهر موضع المضمر.

قلت: وهذا الجواب الثاني أمس بالقواعد العربية من حيث اللفظ، والأول لا بأس به من جهة المعنى.

وجاء «يصلون» بصيغة المضارعة الدالة على الدوام والاستمرار، ولم يأت بصيغة الماضي التي يصدق بالمرة الواحدة.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ٢٠٧ و٢٧٨.

قالوا: فهذا يعطي أنه سبحانه وتعالى وجميع ملائكته يصلون على النبي دائماً أبداً، وغاية مطلوب الأولين والآخرين صلاة واحدة من الله تعالى، وأنى لهم بذلك؟.

بل لو قيل للعاقل: أيما أحب إليك أن تكون أعمال جميع الخلائق في صحيفتك أو صلاة من الله تعالى عليك؟ لما اختار غير الصلاة من الله تعالى، فما ظنك بمن يصلي عليه ربنا سبحانه وتعالى، وجميع ملائكته على الدوام والاستمرار؟، فكيف يحسن بالمؤمن أن لا يكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم أو يغفل عن ذلك؟.

فإن قلت: إذا كان الله صلى عليه وهو كذلك، فما فائدة طلب الحاصل، وإيجاد المحصول؟.

قلت: صلاتنا عليه صلى الله عليه وسلم عبادة لنا، وزيادة حسنات في أعمالنا، وتربي البركات المبثوثة فينا المنزلة علينا.

● **وجواب آخر ـ وفيه نكتة بديعة ـ وهو:** أنه عليه الصلاة والسلام أحب الخلق إلى الله تعالى على الإطلاق، وأعز الخلق عنده تعالى بالاتفاق، ونحن إنما نذكره صلى الله عليه وآله وسلم بأذكار الله تعالى، فكأنه سبحانه وتعالى هو الذاكر، و«من أحب شيئاً أكثر من ذكره»[1]، فلذلك أمرنا بالصلاة عليه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم مع ما ينضاف إلى ذلك من موضوع العقيدة، وإخلاص النية، وإظهار المحبة، والمداومة على الطاعة، والاحترام للواسطة الكريمة التي أنقذنا الله بها من الهلكة، ونلنا بها كل خير وبركة، ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾[2].

---

(١) رواه الديلمي في مسند الفردوس عن عائشة رضي الله عنها، ورمز السيوطي لضعفه. الجامع الصغير ٢/٤٧٨ الحديث رقم ٨٣١٢.

(٢) سورة آل عمران ـ الآية ١٠٣.

اللهم اجعلنا من خيار أمته، ولا تخالف بنا عن اتباع سنته، يا أكرم الأكرمين.

وقوله: «على النبيء» بهمز، ولا يهمز، فمن همزه أخذه من «النبأ» الذي هو الخبر، لأن النبي مخبر عن الله تعالى. ومن لم يهمزه احتمال أن يكون من «النَّبْوَة» وهي الارتفاع، لارتفاع منزلته صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى. أو من «النبي» على التسهيل.

قالوا: والنبوة اختصاص العبد بكلام الله تعالى، واطلاعه على وحيه محتملاً للرسالة وعدمها. فالرسالة أخص من النبوة، كما أن الرسول أخص من النبي عند الجمهور.

وأما الرسالة: فـ «فعالة» من «أرسل»، وهو اختصاص النبي بخطاب التبليغ.

فإن قلت: الألف واللام في النبي من أي أقسامها العشرة؟.

قلت: هي للغلبة في قولك «قرأت الكتاب العزيز»، هذا هو الأليق بها في هذا المكان، ويحتمل أن تكون للعهد، وقد تقدم ذكر النبي صلى الله عليه وسلم قبل [و] الأول أولى لما يأتي بعد.

هذا ما يتعلق بتفسير «الصلاة».

وأما «التسليم»: فقال القاضي أبو الفضل: فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: السلام لك ومعك[١]، وتكون السلامة مصدراً [كاللذاذ] واللذاذة[٢].

الثاني: أي «السلام» على حفظك ورعايتك متول له، وكفيل به[٣]، ويكون هنا «السلام» اسم الله تعالى.

---

(١) أي مصاحبة وملازمة لك.

(٢) بمعنى التلذذ باللذة.

(٣) أي إكرامك وعنايته بك ومراقبتك، متول له: قائم به بحيث لا يكل أمرك لغيره.

الثالث: أن السلام بمعنى المسالمة والانقياد، كما قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴿٦٥﴾﴾[1]، انتهى.

وإذا ثبت هذا؛ فالظاهر من الآية تساوي حكم الصلاة والسلام في الوجوب، وأن الواجب من ذلك المرة الواحدة في العمر على المختار الذي عليه الجمهور كما تقرر.

فإن قلت: لم أكد السلام بالمصدر دون الصلاة، وما الحكمة في ذلك؟.

قلت: الذي يظهر في ذلك ـ والله أعلم ـ أنه سبحانه لما علم بدوام صلاته عليه، وملائكته كذلك، ثم أمرنا بعد بالصلاة عليه، والمعنى: صلوا عليه كما صلى الله تعالى وملائكته عليه، كان ذلك أبلغ من التأكيد اللفظي، ولما لم يعلمنا بالتسليم عليه كما أعلمنا بالصلاة عليه حسن التأكيد، إذ ليس ثم ما يقوم مقامه، والله أعلم.

تنبيه:

اعلم أن الفخامة في هذه الآية الكريمة من سبعة أوجه:

الأول: تصديرها بحرف التأكيد.

الثاني: إيلاؤه اسم الذات وهو أعظم أسمائه تعالى وأهمها، وأهيبها.

الثالث: عطف جميع الملائكة عليه بصيغة الإضافة الدالة على العموم، وعدد الملائكة لا يحصيه إلا الله تبارك وتعالى، فإن الملك كله ظاهراً وباطناً أقطار للعالم كله؛

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٦٥.

فمنهم: ملائكة موكلون بالأرض لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، ولذلك أمر النبي صلى الله عليه وسلم أن لا تستدبر القبلة ببول أو غائط إكراماً للمصلين[١].

ومنهم: ملائكة موكلون بالبحر[٢].

ومنهم: ملائكة موكلون بالهواء فيما بين السماء والأرض.

ومنهم: السياحون الذين يتتبعون مجالس الذكر، كما هو في الصحيح[٣]، فإذا وجدوا مجلساً فيه ذكر، قعدوا معهم، وحف بعضهم بعضاً بأجنحتهم حتى يملؤوا ما بينهم وما بين السماء والأرض.

---

(١) لقوله صلى الله عليه وسلم: «إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ببول ولا غائط، ولكن شرقوا أو غرّبوا». رواه الشيخان في صحيحيهما والإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه. «نيل الأوطار للشوكاني ١/ ٨٠».

(٢) أخرج ابن أبي حاتم عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: بلغني أن البحر زق بيد ملك، لو يغفل عنه الملك لطمَّ على الأرض. وأخرج الإمام أحمد في مسنده، وأبو الشيخ عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن المد والجزر؟ فقال: إن ملكاً موكل بقاموس البحر، فإذا وضع رجله فاضت وإذا رفعها غاضت، فذلك المد والجزر. ذكره السيوطي في «الحبائك في أخبار الملائك» ١٣٢ط دار الكتب العلمية.

(٣) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قوماً يذكرون الله تنادوا هلموا إلى حاجتكم، فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم بهم: ما يقول عبادي؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبّرونك، ويحمدونك، ويمجدونك. قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا والله يا رب ما رأوك. قال: فيقول: كيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة. وأشد لك تمجيداً، وأكثر لك تسبيحا. قال: فيقول: فما يسألوني؟ قال: يقولون: يسألونك الجنة. قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله يا رب ما رأوها. قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصاً، وأشد لها طلباً، وأعظم فيها رغبة. قال: فممَّ يتعوذون؟ قال: يتعوذون من النار. قال: فيقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا والله ما رأوها. قال: فيقول: فكيف لو رأوها؟. قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فراراً. وأشد لها مخافة. قال: فيقول: أشهدكم =

ومنهم: الذين ينقلون الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم إليه ممن يصلي عليه صلى الله عليه دائماً أبداً[1].

ومنهم: ساكن في السماوات السبع، وصفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء.

ومنهم: خزنة الجنة[2].

ومنهم: خزنة النار[3].

= أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم إنما جاء لحاجة. قال: هم القوم لا يشقى بهم جليسهم».
هذا لفظ البخاري، ورواه مسلم أيضاً بلفظ قريب منه. انظر: الترغيب والترهيب للمنذري ٢/ ٤٠١.

(١) روى الإمام أحمد، والنسائي، وابن حبان، والحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تعالى ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني من أمتي السلام».
«الجامع الصغير ١/ ٣١٥ الحديث رقم ٢٣٥٥».

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «آتي باب الجنة يوم القيامة فاستفتح فيقول الخازن من أنت؟ فأقول: محمد. قال: فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك».
قال ابن كثير: وخازن الجنة ملك يقال له رضوان، جاء مصرحاً به في بعض الأحاديث.
قال تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾ سورة الزمر ـ الآية ٧٣.

(٣) قال تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾﴾، وقال: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ﴾، وقال تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾، وقال: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾.
وأخرج الضياء المقدسي في صفة النار عن أنس بن مالك رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «والذي نفسي بيده لقد خلقت ملائكة جهنم قبل أن تخلق جهنم بألف عام فهم كل يوم يزدادون قوة إلى قوتهم» وأخرج عبد الله بن أحمد في «زوائد الزهد» عن أبي عمران الجوني قال: بلغنا أن خزنة النار تسعة عشر ما بين منكبي أحدهم مسيرة مائة خريف، ليس في قلوبهم رحمة إنما خلقوا للعذاب يضرب الملك منهم الرجل من أهل النار الضربة فيتركه طحيناً من لدن قرنه إلى قدمه».

ومنهم: حملة العرش[1].

ومنهم: موكلون بالحجب[2].

ومنهم: موكلون بالمطر، حتى أنه ورد أنه لا تنزل قطرة من السماء إلا ومعها ملك[3].

ومنهم: موكلون بالأرحام وخلق النطف[4].

---

(١) قال تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾. وأخرج ابن جرير عن ابن زيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يحمله اليوم أربعة، ويوم القيامة ثمانية».
تفسير الطبري ٣٧/٢٩، وذكره بلفظه، وانظر: الدر المنثور ٢٦١/٦، وتفسير القرطبي ٢٦٦/١٨.وفي الحديث عن جابر رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أذن لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى حملة العرش، ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة سنة» أخرجه أبو داود في سننه، والضياء عن جابر، ورمز السيوطي لصحته «الجامع الصغير ١١٨/١ الحديث رقم ٩٠٦».

(٢) أخرج اسحق بن راهويه في مسنده، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، وأبو الشيخ عن الربيع بن أنس قال: السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة حديد، والرابعة نحاس، والخامسة فضة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء، وما فوق ذلك صحارى من نور ولا يعلم ما فوق ذلك إلا الله تعالى، وملك موكل بالحجب يقال له: ميطاطروش». ذكره السيوطي في «الحبائك» ص ٥٦.

(٣) قال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾. وأخرج الإمام أحمد، والترمذي وصححه، والنسائي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ في «العظمة» وابن مردويه، وابو نعيم في «الدلائل» والضياء في «المختارة» عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: أقبلت يهود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت: أخبرنا ما هذا الرعد؟، قال: «ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب، بيده مخراق من نار يزجر به السحاب، يسوقه حيث أمره الله» قالوا: فما هذا الصوت الذي نسمع؟ قال: «صوته» قالوا: صدقت.
ذكره السيوطي في «الحبائك في أخبار الملائك» صفحة ٧٥.

(٤) أخرج الشيخان، والإمام أحمد، عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن الله تعالى قد وكل بالرحم ملكاً يقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها قال: أي رب شقي أو سعيد، ذكر أو أنثى؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كذلك في بطن أمه.

وموكلون بنفخ الأرواح في الأجساد.

وموكلون بخلق النبات[(١)].

وبخلق تصريف الرياح[(٢)].

وجري الأفلاك والنجوم.

ومنهم: حفظة على أعمال العباد[(٣)].

ومنهم: موكلون بحفظ بني آدم، يحفظونه من أمر الله تعالى[(٤)].

= رواه مسلم في كتاب القدر ـ الباب الأول رقم ٥.
وانظر: تفسير القرطبي ٧٨٢ وكنز العمال ـ الحديث رقم ٥٧٤.

(١) أخرج ابن أبي حاتم وأبو الشيخ من طريق عبد الله بن الحارث عن كعب قال: ما من شجرة رطبة ولا يابسة، ولا موضع من إبرة إلا وملك موكل بها يرفع عليه ذلك إلى الله، وإن ملائكة السماء أكثر من عدد التراب، وإن حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى منكبه مسيرة خمسمائة عام». ذكره السيوطي في «الحبائك» ص ١٣٢.

(٢) أخرج أبو الشيخ، والدارقطني في الأفراد وابن مردويه وابن عساكر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أنزل الله من السماء كفاً من ماء إلا بمكيال، ولا كفاً من ريح إلا بمكيال، إلا يوم نوح فإن الماء طغى على الخزان، فلم يكن لهم عليه سلطان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾﴾ ويوم عاد فإن الريح عتت على الخزان، قال الله تعالى: ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾. وأخرج ابن عساكر عن قبيصة بن ذؤيب قال: ما يخرج من الريح شيء إلا عليها خزان يعلمون قدرها وعددها ووزنها، وكيلها، حتى كانت التي أرسلت على عاد فإنه تدفق منها شيء لا يعلمون قدره، ولا وزنه ولا كيله، غضباً لله تعالى، ولذلك سميت عاتية، والماء كذلك حتى كان أمر نوح فلذلك سمي طاغياً». ذكره في «الحبائك» ص ١١٥ و١١٦.

(٣) وقد ثبت أن الملائكة تكتب القول والفعل وكذلك النية لأنها فعل القلب، فدخلت في عموم قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾، ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «قال الله عز وجل: إذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها، فإن عملها فاكتبوها عليه سيئة، وإذا هم عبدي بحسنة فلم يعملها فاكتبوها له حسنة، فإن عملها فاكتبوها عشرا متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾، وقال تعالى: =

وبالجملة فإنهم عامرون للمُلك كله[1]، حتى أنه ليس في العالم موضع شبر إلا وهو معمور بالملائكة المقربين الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، **فجميع هؤلاء، وكل من يصدق عليه «ملك» دل ظاهر الآية أو نصها على أنهم يصلون على النبي صلى الله عليه وسلم جميعاً أينما كانوا، وحيث كانوا، صلى الله عليه وسلم**[2].

الرابع: مجيء «يصلون» بصيغة المضارعة الدالة على الدوام والاستمرار كما تقرر.

الخامس: التعبير عنه عليه الصلاة والسلام بـ «النبي» دون التصريح باسمه عليه الصلاة والسلام، وفيه من الفخامة ما لا يخفى، وكانت الألف واللام فيه للغلبة كما تقدم، وكأنه المعروف بذلك، الحقيق المقدم على سائر الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما كان

= ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾، وقال أيضاً عز من قائل: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ۝١٧ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ قال: الملائكة تعاقب الليل والنهار. وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: يجتمعون فيكم عند صلاة العصر وصلاة الصبح، وفي قوله ﴿مِّن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ﴾ قال مثل قوله: ﴿عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ﴾ الحسنات من بين يديه، والسيئات من خلفه، الذي على يمينه يكتب الحسنات، والذي عن يساره يكتب السيئات، والذي على يمينه يكتب بغير شهادة الذي على يساره، والذي على يساره لا يكتب إلا بشهادة الذي على يمينه، فإن مشى كان أحدهما أمامه، والآخر وراءه، وإن قعد كان أحدهما على يمينه، والآخر على يساره، وإن رقد كان أحدهما عند رأسه، والآخر عند رجليه، وفي قوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ قال: يحفظون عليه. انظر: الحبائك ـ ص ٩١.

(١) أخرج الدينوري في «المجالسة» عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: ليس من خلق الله أكثر من الملائكة؛ ليس من بني آدم أحد إلا ومعه ملكان، سائق يسوقه، وشاهد يشهد عليه، فهذا ضعف بني آدم، ثم بعد ذلك السماوات والأرض مكبوسات ومن فوق السماوات بعد، الذين حول العرش أكثر مما في السموات.

(٢) وانظر للتوسع ما ألفه الإمام السيوطي في كتابه «الحبائك في أخبار الملائك».

القرآن المنزل عليه أشرف الكتب المنزلة، وكما كانت أمته خير الأمم صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم دائماً أبداً.

السادس: الختم بالصلاة عليه والتسليم صلى الله عليه وسلم.

السابع: التوكيد بالمصدر كما تقدم، وقرأ الحسن: يا أيها الذين آمنوا [فصلوا] عليه. وهذه «الفاء» تقوي معنى الشرط أي: صلى الله عليه وسلم، فصلوا أنتم كما تقول: أعطيتك فخذ.

في حرف عبد الله: صلوا عليه كما صلى الله عليه وسلموا تسليما. قاله ابن عطية.

فائدة:

روينا في كتاب «القربة» لابن بشكوال بسنده إلى محمد بن عمر أن يونس اليماني قال: كنت [بصنعاء] فرأيت رجلاً، والناس مجتمعون عليه، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا رجل كان يؤمُّ بنا في شهر رمضان، فكان حسن الصوت بالقرآن، فلما بلغ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾ قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَـٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾، فخرس وتجذم، وبرص، وأقعد، فهذا مكانه(١).

(١) هكذا وردت في الأصل المخطوط وربما قرأ الآية على غير وجهها فأصيب بما أصيب به.

الباب الثاني

في فضل الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم
وما جاء في ذلك من الثواب والتقريب إلى رب الأرباب

جاء في صحيح مسلم، وأبي داود: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي، فإن من صلى علي مرة، صلى الله بها عشرا، ثم سلوا لي الوسيلة، فإنها منزلة لا ينبغي إلا لعبد واحد، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة»[1].

سؤال: قال القاضي أبو بكر بن العربي: قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾[2] فما فائدة هذا الحديث؟.

قلنا: فيه أعظم فائدة؛ وذلك: أن القرآن اقتضى أن من جاء بحسنة تضاعف عشرا، والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم حسنة، فيقتضي القرآن أن يعطى عشر درجات في الجنة، فأخبر الله سبحانه وتعالى أنه يصلي على من صلى على رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عشراً، وذكرُ اللهِ العبدَ أعظمُ من الجنة مضاعفة، وتحقيق ذلك: أن الله تعالى لم يجعل

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣٨٤، وأبو داود في سننه ٥٢٣، والنسائي ٢/ ٢٥ و٢٦، وابن حبان ١٦٩٠، والبيهقي في السنن ١/ ١٤٠، من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٢) سورة الأنعام ـ الآية ١٦٠.

جزاء ذكره إلا ذكره، لذلك جعل جزاء ذكر نبيه صلى الله عليه وسلم ـ ذكره لمن ذكره.

قلت: وهذه نكتة حسنة أجاد فيها وأفاد، رحمه الله تعالى.

وخرّج أبو داود السلمي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن صلاتكم معروضة علي، قالوا: وكيف تعرض عليك وقد أرمت؟ ـ يعني: بليت ـ قال: إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»[١].

قال ابن العربي: ولم يثبت!!.

قلت: ثبت بالإجماع فيما علمت أن الأرض لا تعدو على أجساد الأنبياء، وزاد بعضهم: الأنبياء، والصالحين، والشهداء، والمؤذنين.

وقال أبو عيسى: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم، فإن فعلت انخرق الحجاب، ودخل الدعاء، وإن لم تفعل رجع ذلك الدعاء»[٢].

---

(١) عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي «قالوا: يا رسول الله ! كيف تعرض عليك صلاتنا وقد أرمت؟ ـ يعني: وقد بليت ـ فقال: «إن الله عز وجل حرّم على الأرض ن تأكل أجساد الأنبياء».
أخرجه أبو داود في السنن ١٠٤٧، والنسائي ٣/ ٩١ ـ ٩٢، وابن ماجة ١٠٨٥، وابن حبان ٩١٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٧٨، واسماعيل القاضي ٢٢، والدارمي ١/ ٣٦١، والإمام أحمد ٤/ ٨، من حديث أوس بن أوس، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وله شاهد من حديث أبي هريرة، وآخر من حديث أبي الدرداء.

(٢) أما حديث: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم» فهو حديث موقوف: أخرجه الترمذي في سننه ٤٨٦ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله. وفي إسناده أبو قرة الأسدي: مجهول.
وأما قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب =

وفي رواية: «إن الدعاء كله محجوب حتى يكون أوله ثناء على الله عز وجل، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو يستجاب له».

وهذه الترجمة صحيحة، خرّجها مالك، ومسلم، ولم يخرجها البخاري.

ومثل هذا إذا قاله عمر لا يكون إلا توقيفاً لأنه لا يدرك بنظر.

ويعضده ما خرجه مسلم: قال النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «إذا سمعتم المؤذن ...»[1] ، خرجه العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب عن أبيه عن جده، عن عمر رضي الله عنه.

وأنشد بعضهم[2]:

أيا من أتى ذنباً وقارف زلة ... ومن يرتجي الرحما من الله والقربا
تعاهد صلاة الله في كل ساعة ... على خير مبعوث وأكرم من نبا
فيكفيك هماً أي هم تخافه ... ويكفيك ذنباً أعظم به ذنبا
ومن لم يكن يفعل فإن دعاءه ... يجد قبل أن يرقى إلى ربه حجبا

= حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، فإذا صُلّي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم انخرق الحجاب واستجيب الدعاء، وإذا لم يصلَّ على النبي صلى الله عليه وسلم لم يستجب الدعاء».

الراجح وقفه: أخرجه الديلمي في مسند الفردوس ٦١٤٨، وفي زهر الفردوس ٤/ ٢٣، من حديث علي، وفي إسناده الحارث الأعور متهم بالكذب، انظر الكامل لابن عدي ٢/ ٦٠٤.

وأخرج الطبراني في الأوسط كما في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٠ عن علي رضي الله عنه قال: كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وآل محمد. قال الهيثمي: ورجاله ثقات، انتهى. وذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ١٦٥ وقال: ورفعه بعضهم، والموقوف أصح، انتهى.

(١) مر تخريجه.

(٢) وعزاها الشيخ أبو عبد الله بن النعمان لأبي حفص بن عثمان نزال كما في مسالك الحنفا.

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى علي صلاة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات، ورفع له عشر درجات»[1].

ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه عليه الصلاة والسلام: «لقيت جبريل عليه السلام، فقال: إني أبشرك أن الله يقول: «من سلَّم عليك سلمت عليه، ومن صلى عليك صليت عليه»[2].

ونحوه من رواية أبي هريرة، ومالك بن أوس بن الحدثان، وعبد الله بن أبي طلحة رضي الله عنهم.

وأنشد الحافظ [أبو الحسن المصري][3] لنفسه:

---

(١) حديث: «من صلى علي صلاة واحدة صلى الله عليه عشر صلوات، وحط بها عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات».
صحيح: أخرجه البخاري في «الأدب المفرد ٦٤٣، والنسائي في السنن الكبرى ٩٨٩٠، وفي سننه الصغرى ٣/ ٥٠، وابن حبان ٩٠٤، والإمام أحمد في المسند ٣/ ١٠٢ و٢٦١، من حديث أنس، بإسناد جيد.
وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه مسلم في صحيحه ٣٨٤، والترمذي ٣٦١٤، والنسائي ٢/ ٢٥.

(٢) عن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاتبعته حتى دخل نخلاً، فسجد فأطال السجود، حتى خفت أو خشيت أن يكون الله قد توفاه أو قبضه. قال: فجئت أنظر، فرفع رأسه فقال: «مالك يا عبد الرحمن؟»، قال: فذكرت ذلك له، قال: فقال: إن جبريل قال لي: ألا أبشرك؟ إن الله عز وجل يقول: من صلى عليك صليت عليه، ومن سلم عليك سلمت عليه».
حسن: أخرجه الحاكم في المستدرك ١/ ٢٢٢، والإمام أحمد في المسند ١/ ١٩١، من حديث عبد الرحمن ابن عوف، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٢/ ٢٨٧ وقال: رواه أحمد، ورجاله ثقات، انتهى.

(٣) هو الحافظ علي بن محمد، أبو الحسن، الواعظ المصري، بغدادي أقام بمصر مدة، روى عن أحمد بن عبيد ابن ناصح، وأبي يزيد القراطيسي، وطبقتهما، وكان صاحب حديث، له مصنفات كثيرة في الحديث والزهد، وكان مقدم زمانه في الوعظ، قال السيوطي في «حسن المحاضرة» قال ابن كثير: ارتحل إلى مصر فأقام بها حتى عرف =

ألا أيها الراجي المثوبة والأجرا ... وتكفير ذنب سالف أثقل الظهرا
عليك بإكثار الصلاة مواظباً ... على أحمد الهادي شفيع الورى طرا
وأفضل خلق الله من نسل آدم ... وأزكاهم فرعاً وأشرفهم نجرا
فقد صح أن الله جل جلاله ... يصلي على من قالها عشرا
صلى عليه الله ما جنت الدجا ... وأطلعت الأفلاك من بحرها فجرا

وعن زيد بن الحباب[1]: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من قال: «اللهم صلِّ على محمد وأنزله المنزل المقرب عندك يوم القيامة»، وجبت له شفاعتي»[2].

= بالمصري. روى عنه الدارقطني، وغيره، وكان له مجلس وعظ عظيم، مات رحمه الله سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة من الهجرة.
انظر ترجمته في: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٤/ ٢٠٥ تحقيق عبد القادر أرناؤوط.

(١) ذكر في هامش كتاب «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ما نصه: «قال يحي بن علي القرشي عفا الله عنه: هذا وهم ظاهر؛ فإن زيد بن الحباب هذا ليس من الصحابة، ولا من التابعين، ولا من أتباعهم، إنما روى عن مالك بن أنس رضي الله عنه، والضحاك بن عثمان، وابن لهيعة وأمثالهم، وليس له في الصحابة نظير ي اسمه واسم أبيه معاً. وهذا الحديث محفوظ من رواية رويفع بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه ـ كما سيأتي في الحاشية التالية ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم، وقد رواه زيد بن الحباب هذا عن ابن لهيعة عن بكر بن سوادة، عن زياد بن نعيم، عن وفاء بن شريح الحضرمي، عن رويفع ابن ثابت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم، والله عز وجل أعلم.

(٢) حديث: «من قال: اللهم صل على محمد وأنزله لمقعد المقرب عندك يوم القيامة وجبت له شفاعتي». أخرجه اسماعيل القاضي ٥٣، والإمام أحمد ٤/ ١٠٨، والبزار، والطبراني في الكبير والأوسط، كما في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٦٣، من حديث رويفع ابن ثابت الأنصاري، قال الهيثمي: وأسانيدهم حسنة، انتهى. وذكره السخاوي في «القول البديع» ص ٤٢، وزاد نسبته إلى ابن أبي عاصم، وابن بشكوال في كتاب «القربة» وابن أبي الدنيا، وقال: بعض أسانيدهم حسنة، قاله المنذري، انتهى.

قلت: وهذا الحديث، وما أشبهه من الصحيح نص في إثبات الشفاعة لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

وأنكرها المعتزلة ـ وهم جديرون بحرمانها ـ إلا الشفاعة العظمى التي هي في تعجيل الحساب، التي يحمده فيها الأولون والآخرون، فإنه لم ينكرها أحد من المعتزلة ولا غيرهم.

ولتعلم أن لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم شفاعات في القيامة غير هذه:

منها: شفاعته صلى الله عليه وآله وسلم لأهل الكبائر من أمته.

ومنها: شفاعته صلى الله عليه وسلم لأهل المراتب.

ومنها: شفاعته صلى الله عليه وسلم لقوم استوجبوا النار فلا يدخلوها.

ومنها: شفاعته صلى الله عليه وسلم في إدخال قوم الجنة بغير حساب.

ومنها: شفاعته صلى الله عليه وسلم لعمه أبي طالب في التخفيف عنه.

والله أعلم بحال أبويه[1].

---

(١) وهو سبحانه وتعالى ـ أيضاً ـ أعلم بحالنا وبحال خلقه أجمعين، لكن المبحث في أبويه الكريمين صلى الله عليه وسلم يقتضينا أن نذكر ما قاله جمهور العلماء في تفصيل ذلك، إيضاحاً للحق، وبياناً لما سنلقى به الله تعالى من اعتقاد في أبوي سيد الكائنات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فنقول وبالله المستعان:

روى الطبراني بسنده عن عائشة رضي الله عنها: أن النبي صلى الله عليه وسلم نزل بالحجون كئيباً حزيناً، فأقام به ما شاء الله، ثم رجع مسروراً، قال: سألت ربي عز وجل فأحيا لي أمي، فآمنت بي، ثم ردها.

وكذا روي من حديث عائشة أيضاً إحياء أبويه صلى الله عليه وسلم حتى آمنا به. أورده السهيلي والخطيب.

وقال القرطبي في «التذكرة»: إن فضائله صلى الله عليه وسلم وخصائصه لم تزل تتوالى، وتتابع إلى حين مماته، فيكون هذا مما فضله الله به وأكرمه. قال: وليس إحياؤهما وإيمانهما ممتنعاً عقلاً ولا شرعاً، فقد ورد في الكتاب العزيز إحياء قتيل بني إسرائيل، وأخبر بقاتله، وكان عيسى عليه السلام يحيي الموتى بإذن الله تعالى، وكذلك نبينا صلى =

= الله عليه وسلم أحيا الله على يديه جماعة من الموتى، وإذا ثبت هذا فما يمتنع إيمانهما بعد إحيائهما، ويكون ذلك زيادة في كرامته وفضيلته صلى الله عليه وسلم.

وقال الإمام فخر الدين الرازي: إن جميع آباء سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كانوا مسلمين. ومما يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «لم أزل أنقل من أصلاب الطاهرين إلى أرحام الطاهرات»، وقد قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ فوجب أن لا يكون أحد من أجداده مشركاً.ولقد أحسن الحافظ شمس الدين بن ناصر الدمشقي حيث قال:

حبا الله النبي مزيد فضل ... على فضل وكان به رؤوفا

فأحيا أمه وكذا أباه ... لإيمان به فضلاً لطيفا

فسلم فالقدير بذا قدير ... وإن كان الحديث به ضعيفا

أقول: ولقد عجبت لأقوام يتصدرون المجالس في أيام الناس هذه، ويتزيون بزي العلماء والدعاة إلى الله تعالى ورسوله، ولا يجدون ما يتفكهون به في مجالسهم ومواعظهم إلا تكفير أبوي النبي وعمه أبي طالب، ولست أدري ماذا يضير هؤلاء لو دخلوا الجنة هم والناس أجمعون بفضل الله ورحمته، ولو كان ما يقولونه حقاً ـ على سبيل الفرض ـ فالحياء من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمس نسبه بسوء يدفع كل مقالة، لكن رسل الشيطان من بني الإنسان يأبون إلا أن يستميلوا عوام الناس، ومن في طبقة العوام من طلبة العلم المبتدئين، ليملؤوا أذهانهم وعقولهم بمثل هذه الترَّهات التي أقل ما فيها إيذاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فحذار يا أخي من الانزلاق في تلك المهاوي إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، نسأل الله لنا ولهم وللمسلمين السلامة والهداية، آمين.

وأما حكم من تكلم في أبويه الكريمين صلى الله عليه وسلم: فقد ذكر الصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد» فتوى لبعض علماء المغاربة هذا نص كَلامه:

«... وقد وقعت على فتوى بخط بعض علماء المغاربة بسط فيها الكلام على هذا المقام، ومن جملة ما ذكره؛ أن المتكلم في هذا المقام على ثلاثة أقسام:

قسم: يوجب تكفير قائله وزندقته، وليس فيه إلا القتل دون تلعثم، وهو حيث يتكلم بمثل هذا الكلام المؤذي في أبويه صلى الله عليه وسلم قاصداً لأذيته، وتعييره، والازدراء به، والتجسر على جهته العزيزة، بما يصادم تعظيمه وتوقيره.

وقسم: ليس على المتكلم به وصم، وهو حيث يدعوه داع ضروري إلى الكلام به، كما إذا تكلم على الحديث مفسراً له ومقرراً.ونحو ذلك مما يدعو الكلام به من الدواعي الشرعية. =

....

= وقسم: يحرم علينا التكلم فيه، ولا يبلغ بالتكلم به إلى القتل، وهو حيث لا يدعوه داع شرعي إلى الكلام به، فهذا يؤدَّب على حسب حاله، ويشدَّد في أدبه إن علم منه الجرأة وعدم التحفظ في اللسان، ويعزل عن الوظائف الشرعية، واستدل بعزل عمر بن عبد العزيز عامله».

انظر: سبل الهدى والرشاد للإمام الصالحي الشامي ٢/ ١٧٣.

وقد ألف كثير من الأئمة الأعلام الكتب والرسائل في نجاة أبويه الكريمين صلى الله عليه وسلم وإيمانهما، وإحيائهما، أذكر من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ إرشاد الغبي في إسلام آباء النبي صلى الله عايه وسلم، تأليف أحد علماء الهند كما في ذيل الكشف.

٢ ـ الانتصار لوالدي النبي المختار صلى الله عليه وسلم للسيد المرتضى الزبيدي.

٣ ـ تحقيق آمال الراجين في أن والدي المصطفى من الناجين، لابن الجزار.

٤ ـ التعظيم والمنة في أن أبوي المصطفى في الجنة للإمام السيوطي.

٥ ـ حديقة الصفا في والدي المصطفى للإمام السيد المرتضى الزبيدي.

٦ ـ الدرج المنيفة في الآباء الشريفة للإمام السيوطي.

٧ ـ ذخائر العابدين في نجاة والدي المكرم سيد المرسلين للأسيري.

٨ ـ مرشد الهدى في نجاة أبوي المصطفى صلى الله عليه وسلم لوحدي الرومي.

٩ ـ مسالك الحنفا في والدي المصطفى صلى الله عليه وسلم للإمام السيوطي.

١٠ ـ مطلع النيرين في إثبات نجاة أبوي سيد الكونين صلى الله عليه وسلم، للمنيني.

١١ ـ نشر العَلمين المنيفين في إحياء الأبوين الشريفين للإمام السيوطي.

١٢ ـ هدايا الكرام في تنزيه آباء النبي عليه الصلاة والسلام، للبديعي.

١٣ ـ أمهات النبي صلى الله عليه وسلم، للمدائني.

١٤ ـ الأنوار النبوية في آباء خير البرية صلى الله عليه وسلم، للرفيعي.

١٥ ـ بلوغ المآرب في نجاة أبوي المصطفى وعمه أبي طالب للأزهري اللاذقي.

١٦ ـ بلوغ المرام في آباء النبي عليه الصلاة والسلام لإدريس بن محفوظ.

١٧ ـ تأديب المتمردين في حق الأبوين، للكتاني.

١٨ ـ الرد على من اقتحم القدح في الأبوين الكريمين للنجشي.

١٩ ـ سداد الدِّين وسداد الدَّين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين، للبرزنجي.

٢٠ ـ قرة العين في إيمان الأبوين، للدوايخي.

٢١ ـ القول المختار فيما يتعلق بأبوي النبي المختار صلى الله عليه وسلم، للديربي.

٢٢ ـ المقامة السندسية في الآباء الشريفة المصطفوية، للإمام السيوطي.

وقد جاء: «أن البيت يشفع يوم القيامة فيمن زاره»[1].

وتشفع الأنبياء، والعلماء، والصالحون، والملائكة، والإخوان[2]، وأهل القرآن[3].

---

٢٣ ـ الجواهر المضية في حق أبوي خير البرية صلى الله عليه وسلم، للتمرتاشي.
٢٤ ـ سبيل السلام في حكم آباء سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، لمحمد بن عمر البالي.
٢٥ ـ أمهات النبي صلى الله عليه وسلم، للمدائني.
وغيرها كثير كثير، ذكرها العلامة السيد عبد الله الحبشي في «معجم الموضوعات المطروقة»، وذكر بعضها العلامة صلاح الدين المنجد في «معجم ما ألف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم» فانظرها ثمة.

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن لهذا الحجر لساناً وشفتين يشهد لمن استلمه يوم القيامة بحق» رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم في المستدرك.

(٢) ذكر الإمام الغزالي في آخر كتابه العظيم «إحياء علوم الدين» قال: قال أنس رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن رجلاً من أهل الجنة يشرف يوم القيامة على أهل النار فيناديه رجل من أهل النار ويقول: يا فلان!! هل تعرفني؟، فيقول: لا والله ما أعرفك من أنت؟، فيقول: أنا الذي مررت بي في الدنيا يوماً فاستسقيتني شربة ماء فسقيتك، قال: قد عرفت. قال: فاشفع لي بها عند ربك؛ فيسأل الله تعالى ويقول: إني أشرفت على أهل النار، فناداني رجل من أهلها، فقال: هل تعرفني؛ فقلت: لا. من أنت؟ قال: أنا الذي استسقيتني في الدنيا فاشفع لي بها، فشفعني. فيشفعه الله تعالى فيؤمر به فيخرج من النار. والله تعالى أعلم. أخرجه ابن ماجة في سننه بسنده عن سيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه. «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» للإمام القرطبي صفحة ٤١٢.

(٣) روى ابن ماجة في سننه عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يشفع يوم القيامة ثلاثة: الأنبياء، ثم العلماء، ثم الشهداء». وروى ابن ماجة أيضاً بسنده عن عبد الله بن أبي الجدعاء: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ليدخلن الجنة بشفاعة رجل من أمتي أكثر من بني تميم. قالوا: يا رسول الله!! سواك؟ قال: سواي. قلت: أنت سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أنا سمعته.

وأدلة أهل السنة في إثبات الشفاعة للمؤمنين أوسع من أن تحصى، وما أنكرها القدرية إلا تفريعاً على قاعدة هي شر من إنكارها الشفاعة، وتلك القاعدة الفاسدة: هي اعتقادهم وجوب الجزاء على الله للمطيع على الطاعة، والعاصي على المعصية إيجاباً عقلياً على زعمهم. فهذه الحالة في إنكارها نتيجة لتلك الضلالة فنسأل الله تعالى الهداية، وأن يجعلنا ممن سبقت له العناية.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم علي صلاة»[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تصلي عليه مادام اسمي في ذلك الكتاب»[2].

= أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح غريب، ولا نعرف لابن أبي الجدعاء غير هذا الحديث الواحد.

وذكر ابن المبارك قال: أخبرنا رشدين بن سعد عن يحي عن أبي عبد الرحمن الختلي عن عبد الله بن عمرو ابن العاص عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن الصيام والقرآن يشفعان للعبد يقول الصيام: رب منعته الطعام والشراب والشهوات بالنهار فشفعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه فيشفعان». انظر: تذكرة القرطبي ٤١٤.

(١) حديث حسن: أخرجه الترمذي ٤٨٤، والبخاري في التاريخ الكبير٥/ ١٧٧، وابن حبان ٩١١، من حديث ابن مسعود.

وفي إسناده موسى بن يعقوب الزمعي سيء الحفظ، وعبد الله بن كيسان: لم يوثقه غير ابن حبان.

وله شاهد من حديث أبي أمامة أخرجه البيهقي في سننه ٣/ ٢٤٩، ولفظه: «وصلاة أمتي تعرض علي في كل يوم جمعة، فمن كان أكثرهم علي صلاة كان أقربهم مني منزلة».

وذكره الحافظ في الفتح ١١/ ١٦٧ وقال: لا بأس بسنده.

وكذا ذكره المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ٣٠٣ وقال: رواه البيهقي بإسناد حسن.

(٢) حديث: «من صلى علي في كتاب لم تزل الصلاة جارية له ما دام اسمي في ذلك الكتاب». المراد التأبيد، كقوله تعالى: ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾، قال الطبراني في =

وعن أبي بن كعب: كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا ذهب ربع الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه فقال أبي بن كعب: إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ قال: ما شئت. قال: الربع؟ قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك. قال: الثلثين؟. قال: ما شئت وإن زدت فهو خير لك. قال: يا رسول الله! أفأجعل صلاتي كلها لك؟. قال: إذاً تكفى همك ويغفر ذنبك»[1].

وعن عامر بن ربيعة رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من صلى علي صلاة صلت عليه الملائكة ما صلى، فليقلل [عبد] من ذلك أو ليكثر»[2].

= الأوسط: رواه أبو الشيخ في الثواب، والمستغفري، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: «رووه بسند فيه ضعف، ومثله يعمل به في فضائل الأعمال. وقال خاتمة العلماء المالكية» الحطاب «في معنى ذلك: يحتمل أن المراد أنه كتب الصلاة عليه في كتابه، ويحتمل أنه قرأ الصلاة عليه المكتوبة، وهو أوسع وأرجى، والأول أظهر وأقوى، نقله عن شيخ زروق. قال الشهاب الخفاجي: الأول هو المراد لأن المعنى أنه سن بذلك سنة حسنة لما كتبه وكان سبباً لقراءته، فله أجره وأجر من قرأه أجراً غير مقطوع ولا ممنون»، انتهى. نسيم الرياض ٣/ ٤٩٠.

وذكره السخاوي في «القول البديع» ص ٢٣٨، عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: أخرجه أبو القاسم التيمي في ترغيبه، ومحمد بن الحسن الهاشمي، وفي سنده من اتهم بالكذب، وقد قال ابن كثير: ليس هذا الحديث صحيح من وجوه كثيرة وقد روي من حديث أبي هريرة، ولا يصح أيضاً.

وقال الذهبي: أحسبه موضوعاً، انتهى.

(١) أخرجه الترمذي ٢٤٥٧، والحاكم ٢/ ٥١٣، والإمام أحمد ٥/ ١٣٦، من حديث أبي ابن كعب، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح، انتهى. وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه البزار كما في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٦٠ قال الهيثمي: وفيه عمر بن محمد بن صهبان، وهو متروك، انتهى.

(٢) أخرجه ابن ماجة ٩٠٧، والإمام أحمد ٣/ ٤٤٥ من حديث عامر بن ربيعة. قال البوصيري في الزوائد: إسناده ضعيف، لأن عاصم بن عبيد الله، قال فيه البخاري وغيره: منكر الحديث، انتهى. =

وعن أبي طلحة رضي الله عنه قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرأيت من بشره وطلاقته ما لم أره قط، فسألته؟ فقال: «وما يمنعني، وقد خرج جبريل آنفا، فأتاني ببشارة من ربي، فقال: إن الله تعالى بعثني إليك أبشرك أنه ليس أحد من أمتك يصلي عليك صلاة إلا صلى الله عليه وملائكته بها عشرا»[1].

وعن سعد بن أبي وقاص: «من قال حين يسمع المؤذن: «وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله، رضيت بالله ربا، وبمحمد رسولا، وبالإسلام دينا» غفر له»[2].

قلت: وفي رواية مكان «رسولاً»: «نبياً».

فينبغي أن يجمع بينهما فيقول: وبمحمد رسولاً ونبيا.

= وذكره السخاوي في «القول البديع» ص ١٠٩ ـ ١١٠، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور وابن أبي شيبة، والطيالسي، وأبي نعيم، وابن أبي عاصم، وقال: وفي سنده عاصم بن عبيد الله، وهو وإن كان واهي الحديث فقد مشاه بعضهم، وصحح له الترمذي، وحديثه هذا حسن في المتابعات.

قال المنذري وكذا حسّن شيخنا هذا الحديث، لكن قد رواه الطبراني من غير طريقه بسند لين، انتهى.

وله شاهد من حديث عبد الرحمن بن عوف، ذكره السخاوي ص ١٠٢، ونسبه لابن أبي عاصم.

وله شاهد آخر من حديث عائشة، أخرجه الضياء في «المختارة»، وأبو بكر الشافعي في فوائده، ومداره على عاصم هذا، وهو ضعيف.

انظر: «القول البديع» ص ١٠٩.

(١) حديث أبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه: صحيح: رواه النسائي ٥٠٣، وابن حبان ٩١٥، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢٠، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٣١، والدارمي ٢/ ٣١٧، وأحمد ٢/ ٢٩ و١٥٢، من حديث أبي طلحة، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وللحديث شواهد. انظر: «القول البديع» للسخاوي ص ١٠٠ ـ ١٠٧، والحاكم ١/ ٥٥٠، و«فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» لإسماعيل القاضي ١و٢.

(٢) أخرجه مسلم ٣٨٦، وأبو داود ٥٢٥، والترمذي ٢١٠، والنسائي ٢/ ٢٦، وابن ماجة ٧٢١، والإمام أحمد ١/ ١٨١ من حديث سعد بن أبي وقاص.

وروى ابن وهب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من سلم علي عشرا فكأنما أعتق رقبة»[1].

قلت: ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً من النار حتى الفرج بالفرج، كما ثبت في الحديث الصحيح[2].

وفي بعض الآثار: «ليردنَّ علي أقوام ما أعرفهم إلا بكثرة صلاتهم علي»[3].

وفي آخر: «إن أنجاكم يوم القيامة من أهوالها ومواطنها أكثركم علي صلاة»[4].

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: «الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أمحق للذنوب من الماء البارد للنار، والسلام عليه أفضل من عتق الرقاب»[5].

---

(١) لم أجد حديثاً بهذا اللفظ فيما لدي من مصادر، والله أعلم. والذي عثرت عليه بلفظ: «من سلم [على] عشرة من المسلمين فكأنما أعتق رقبة، وإن مات من يومه أوجب الجنة».
رواه ابن جرير عن عبد الله ابن عمر رضي الله عنهما. انظر: كنز العمال ٩/ ١٢١ الحديث رقم ٢٥٢٨٦.

(٢) روى الشيخان في صحيحيهما، والترمذي في سننه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله له بكل عضو منها عضواً منه من النار، حتى فرجه بفرجه». الجامع الصغير ٢/ ٤٩٧ الحديث رقم ٨٤٧٧.

(٣) يعني لما يرى في وجوههم من النور بسبب كثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.ذكره في الشفاء ٢/ ٦٥٣ ط عيسى البابي الحلبي.

(٤) يعني أن بركة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم تسهل على المصلي عليه الشدائد يوم القيامة.
وهذا الحديث رواه الأصفهاني في ترغيبه عن أنس رضي الله عنه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٥/ ٢١٩.

(٥) قال الشهاب الخفاجي في «نسيم الرياض» ما نصه: وإنما خص السلام بجعل ثوابه =

قلت: وإنما كان أفضل من عتق الرقاب ـ والله أعلم ـ لأن عتق الرقاب في مقابلة العتق من النار، ودخول الجنة، والسلام عليه في مقابلة سلام الله تعالى، وسلام من الله تعالى أفضل من مائة ألف ألف ألف جنة، فناهيك بها من منة، فنسأل الله العظيم أن [يشيد] من محبتنا في هذا النبي المنة، وأن يرزقنا مرافقته في الجنة، وأن يجعله وقايتنا من كل شر وجنة، آمين، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «ما جلس قوم مجلساً لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم حسرة، وإن دخلوا الجنة، لما يرون للثواب»(١).

= كثواب عتق الرقاب لأن السلام فيه تسليم له من سائر النقائص، ومن أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضواً منه من النار، فسلم مما يخشاه في الآخرة، فلذا جعل السلام عليه وأجره كالإعتاق وأجره، وشبهه به دون الصلاة وهذه نكتة لطيفة لا تنافي ما مر لأن وجه الشبه أقوى في المشبه. وفي «الدر المنضود» «بعد كلام الصديق رضي الله عنه هنا: وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الأنفس، أو قال: من ضرب بالسيف في سبيل الله» وله حكم المرفوع إذ مثله لا يقال من قبل الرأي.

وأخرجه التيمي وعنه أبو القاسم بن عساكر، ومن طريقه اليمن بن عساكر، بلفظ: «الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب أو قال: من ضرب بالسيف في سبيل الله» وسنده ضعيف. قيل: وإنما كان السلام عليه أفضل من عتق الرقاب لأن ثواب العتق إنما علم من جهته صلى الله عليه وسلم ولأن العتق يقابله العتق من النار، لما في الحديث الصحيح: «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عض منها عضواً منه، حتى الفرج بالفرج». والسلام عليه صلى الله عليه وسلم يقابله سلام الله على المصلي عشرا، وسلام الله عز وجل أفضل من مائة ألف ألف ألف جنة، فناهيك به من منعة، انتهى. «نسيم الرياض» ٣/ ٤٩٣ و٤٩٤.

وذكره السخاوي في «القول البديع» ص ١١٥، وقال: وكذا رويناه من طريق هبة الله ابن أحمد الميورقي، وهو عند التيمي في ترغيبه بلفظ: «الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من عتق الرقاب، وحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من مهج الأنفس، وقال: من ضرب السيف في سبيل الله» وسنده ضعيف.

(١) حديث: «ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله، ولم يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم إلا كان مجلسهم عليهم ترة يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء أخذهم». =

قلت: ويسبق ببادىء الرأي سؤال في هذا الحديث وهو: أن الجنة لا تنغيص فيها، والحسرة تنغيص بلا إشكال؟. وقد كثر سؤالي عنه، وتردد البحث كثيراً فيه، ولم يتخلص فيه جواب يثلج به الصدر، وغاية ما قيل فيه: أن يكون معنى قوله عليه الصلاة والسلام «وإن دخلوا الجنة» أي: وإن كان مآلهم إلى الجنة، وتكون الحسرة قبل دخولهم، كما ترى، فتأمله!!!.

وعن بعض أهل العلم[1] أنه قال: إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس، أجزأت عنه ما كان في ذلك المجلس.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة، **عن أبي هريرة رضي الله عنه قال**: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائياً بُلِّغْته»[2].

ويروى: «إن أنجاكم يوم القيامة من مواطنها وأهوالها أكثركم علي صلاة»[3]. صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم، وشرف وكرم.

= أخرجه أبو داود ٤٨٥٥ و٤٨٥٦ و٥٠٥٩، والترمذي ٣٣٨٠، والنسائي في الكبرى ١٠٢٣٨، وابن حبان ٥٩٠ و٨٥٣، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٩١، و٥٥٠، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» ٥٤، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٣٠، والبيهقي ٣/ ٢١٠، والإمام أحمد ٤٣٢ و٤٨٤ و٥٢٧ من حديث أبي هريرة من طرق، وصححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو على شرط مسلم كما قال الحافظ ابن القيم. انظر: جلاء الأفهام ص ١٩ ـ ٢٠.

(١) حكاه الإمام أبو عيسى الترمذي إمام الحديث وصاحب الجامع، والشمائل.

(٢) قوله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي من بعيد أعلمته».

ذكره السخاوي في «القول البديع» ص ١٤٩، وقال: أخرجه أبو الشيخ في «الثواب» له من طريق أبي معاوية عن الأعمش، عن أبي صالح عنه، ومن طريقه الديلمي، انتهى.

(٣) رواه الأصفهاني في ترغيبه بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه، وذكره السيوطي في «الدر المنثور» ٥/ ٢١٩.

وقال عليه الصلاة والسلام: «إن لله ملائكة سياحين في الأرض يبلغوني عن أمتي السلام»[1].

وقال صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا علي فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم»[2].

وعن فضالة بن عبيد قال: دخل رجل يصلي وقال: «اللهم اغفر لي وارحمني»، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعجلت أيها المصلي!، إذا صليت فقعدت، فاحمد الله تعالى بما هو أهله، وصل علي، ثم ادعه. وقال: ثم صلى رجل آخر، فحمد الله تعالى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أيها المصلي!! ادع تجب»[3].

---

(١) صحيح: أخرجه النسائي ٣/ ٤٣، وعبد الرزاق ٣١١٦، وابن حبان ٩١٤، وإسماعيل القاضي ٢١، والدارمي ٢/ ٣١٧، والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٢١، والإمام أحمد في المسند ١/ ٤٤١، من حديث ابن مسعود، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وهو كما قالا، وقد صححه ابن القيم أيضاً. انظر: جلاء الأفهام ص ٣٠.

(٢) حديث: «لا تجعلوا قبري عيداً ولا تجعلوا بيوتكم قبوراً، وصلوا علي، وسلموا حيثما كنتم فتبلغني صلاتكم وسلامكم» رواه الحكيم الترمذي عن علي بن الحسين عن أبيه عن جده. انظر كنز العمال ١/ ٤٩٨، الحديث رقم ٢١٩٩.

(٣) حديث فضالة بن عبيد ولفظه: «سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاة لم يحمد الله ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجل هذا»، ثم دعاه، فقال له: أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بعد بما شاء». جيد: رواه أبو داود في السنن ١٤٨١، والترمذي ٣٤٧٦، و٣٤٧٧، والنسائي ٣/ ٤٤، وابن حبان ١٩٦٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٢٣٠، و٢٦٨، والبيهقي ٢/ ١٤٧ و١٤٨، وإسماعيل القاضي ١٠٦، والإمام أحمد ٦/ ١٨، من حديث فضالة بن عبيد بسند جيد، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح، انتهى.

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: كنت أصلي، فلما جلست، بدأت بالثناء على الله تعالى، ثم الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم دعوت لنفسي، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «تعطه، سل تعطه».

ورويـنا في الترمذي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة» قال الراوي[1]: وأظنه قال: «أو أحدهما»[2].

ورويـنا في الترمذي أيضاً قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يسلم علي إلا رد الله علي روحي حتى أرد عليه السلام»[3].

قلت: يؤخذ من هذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم حي على الدوام، وذلك أنه محال أن يخلو الوجود كله من واحد يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم في ليل أو نهار.

فإن قلت: فقوله عليه الصلاة والسلام «إلا رد الله علي روحي» لا يلتئم مع كونه عليه الصلاة والسلام حياً على الدوام، بل يلزم منه أن تتعدد حياته ووفاته في أقل من ساعة، إذ الوجود لا يخلو من مسلم يسلم عليه كما تقدم، بل يتعدد الكلام في الساعة الواحدة كثيراً؟.

---

(١) هو عبد الرحمن بن إسحاق.

(٢) صحيح: أخرجه الترمذي ٣٥٤٥، وابن حبان ٩٠٨، وإسماعيل القاضي ١٦، والإمام أحمد ٢/ ٢٥٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، بإسناد صحيح.
وللحديث شواهد. وأخرج مسلم عجزه برقم ٢٥٥١ من حديث ابي هريرة.

(٣) حديث: «ما من مسلم يسلم علي إلا رد الله إلي روحي حتى أرد إليه السلام». أخرجه أبو داود ٢٠٤١، والإمام أحمد ٢/ ٥٢٧، من حديث أبي هريرة سند جيد.وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٦٢ من طريق آخر وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وفيه عبد الله بن يزيد الاسكندراني، ولم أعرفه، ومهدي بن جعفر: ثقة، وفيه خلاف، وبقية رجاله ثقات، انتهى.

فالجواب: ـ والله أعلم ـ أن نقول: المراد بالروح هنا: النطق مجازاً، فكأنه قال عليه الصلاة والسلام: «إلا رد الله إلي نطقي» وهو حي على الدوام كما تقدم، لكن لا يلزم من حياته نطقه، فالله سبحانه وتعالى يرد عليه النطق عند سلام كل مسلم.

وعلاقة المجاز أن النطق من لازمه وجود الروح، كما أن الروح من لازمه وجود النطق بالفعل أو القوة، فعبر عليه الصلاة والسلام بأحد المتلازمين عن الآخر. ومما يحقق ذلك أن عود الروح لا يكون إلا مرتين، عملاً بقوله تعالى: ﴿قَالُوا رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ﴾[1].

فائدة:

اختلف في معنى هذه الآية؛ فقيل: الموتة الأولى كونهم نطفة في أصلاب آبائهم، لأن النطفة ميتة، والحياة الأولى في الأصل، والحياة الثانية إحياء الله تعالى إياهم للبعث، فهاتان موتتان، وحياتان.

ويقال: الموتة الأولى: التي تقع بهم في الدنيا بعد الحياة.

والحياة الأولى: إحياء الله تعالى إياهم في القبر لمساءلة منكر ونكير.

والموتة الثانية: إماتة الله تعالى إياهم بعد المساءلة.

والحياة الثانية: إحياء الله تعالى إياهم للبعث.

وقيل: الموتة الأولى هي التي كانت بعد إحياء الله تعالى إياهم في الذر، إذ سألهم: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾[2]، ثم أماتهم بعد ذلك، فهذه هي الموتة الأولى، ثم أحياهم بعد إخراجهم إلى الدنيا، ثم أماتهم ثانية، ثم بعثهم إذ شاء، فهاتان موتتان وحياتان، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) سورة غافر ـ الآية ١١.

(٢) سورة الأعراف ـ الآية ١٧٢.

وروينا عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ما من عبد يصلي علي صلاة تعظيماً لحقي، إلا خلق الله من ذلك القول ملكاً له جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب، ويقول الله له صل على عبدي كما صلى على نبيي، فهو يصلي عليه إلى يوم القيامة»[1].

وروينا فيه أيضاً، عن أبي سعيد الخدري، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أيما عبد كسب مالاً حلالاً، فأطعم نفساً، أو كساها، ممن دونه من خلق الله تعالىٰ، فإن له زكاة، وأيما رجل لم يكن عنده صدقة فليقل: «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وصل على المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات» فإنه كفارة له»[2].

وفيه أيضاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي من أمتي صلاة مخلصاً بها من نفسه صلى الله عليه بها عشر صلوات، ورفعه بها عشر درجات، وكتب له بها عشر حسنات، ومحا عنه بها عشر سيئات»[3].

---

(١) رواه ابن شاهين في «الترغيب» له، والديلمي في «مسند الفردوس» وابن بشكوال، وذكره بلفظه في «مسالك الحنفا» في النوعْ الثاني في ذكر أحاديث قيل إنها من الموضوعات والمناكير، وقال بعده: وهذا حديث منكر ـ والمنكر من أقسام الحديث الضعيف الذي يعمل به في فضائل الأعمال كما هو معلوم لدى أهل الحديث رضي الله عنهم ـ.

(٢) حديث: «أيما رجل لم يكن عنده صدقة فليقل في دعائه: «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، وصل على المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، فإنها له زكاة»».
أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ١٢٩ ـ ١٣٠، والديلمي ١٣٩٥، وأبو يعلى ١٣٩٧، من حديث أبي سعيد الخدري، وإسناده ضعيف. في إسناده درّاج، وهو ضعيف في روايته عن أبي الهيثم.
قال ابن عدي نقلاً عن الإمام أحمد: أحاديثه مستقيمة إلا ما كان عن أبي الهيثم عن أبي سعيد، انتهى. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٦٧ وقال: رواه أبو يعلى، وإسناده حسن، انتهى.

(٣) أخرجه النسائي في الكبرى ٩٨٩٣، من حديث أبي بردة بن نيار و٩٨٩٢ من حديث سعيد ابن عمير عن أبيه.
=

وفيه أيضاً: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي في يوم ألف مرة لم يمت حتى يرى مقعده من الجنة»[1].

وروينا فيه أيضاً عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من مسلمين يلتقيان فيصافح أحدهما الآخر، ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يبرحا حتى تغفر ذنوبهما»[2].

وفي رواية: «إلا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر».

وأخبرني بعض الفقراء المباركين قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم، فقلت: يا رسول الله!! أنت قلت: «ما من عبدين متحابين في الله يلتقيان ويصافح أحدهما صاحبه، فقال النبي صلى الله

= وذكره بنحوه الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٦٢، وقال: رواه البزار، ورجاله ثقات، ورواه الطبراني إلا أنه قال: «ما صلى علي عبد من أمتي صادقاً بها في قلب نفسه» وزاد: «وكتب له عشر حسنات».

وذكره السخاوي في «القول البديع» ص ١٠٤، وقال: «رواه ابن أبي عاصم في الصلاة له، والبيهقي في الدعوات، والطبراني، وليس عنده لفظ» صلاة، ورجاله ثقات ..، انتهى.

(١) ذكره السخاوي في «القول البديع» وقال: رواه ابن شاهين في ترغيبه، وغيره، وابن بشكوال من طريقه، وابن سمعون في أماليه، وأخرجه الضياء في «المختارة» وقال: لا أعرفه إلا من حديث الحكم ابن عطية، قال الدارقطني: حدث عن ثابت أحاديث لا يتابع عليها، وقال أحمد: لا بأس به، إلا أن أبا داود الطيالسي روى عنه أحاديث منكرة. قال السخاوي: وبالجملة هو حديث منكر، كما قاله شيخنا، انتهى.

(٢) حديث أنس ولفظه: «ما من عبدين متحابين يستقبل أحدهما الآخر ويصليان على النبي صلى الله عليه وسلم إلا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما، ما تقدم منها وما تأخر».

ضعيف: أخرجه أبو يعلى ٢٩٦٠، من حديث أنس، وفي إسناده مطر الوراق: صدوق، ولكنه كثير الخطأ، انتهى.

وفيه أيضاً: درست بن حمزة، ضعّفه الدارقطني، وقال البخاري: درست عن مطر لا يتابع على حديثه، فالحديث إسناده ضعيف. وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ١٠/ ٢٧٥ وقال: وفيه درست ابن حمزة، ضعيف.

عليه وسلم: «إلا لم يتفرقا حتى تغفر ذنوبهما ما تقدم منها وما تأخر»، «والدعاء بين الصلاتين علي لا يرد» صلي الله عليه وسلم.

وفيه أيضاً: عن عبد المهيمن بن عباس بن سهل بن سعد عن أبيه، عن جده، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة لمن لا يصلي علي»[1].

قال المعمري: وحدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا شريك عن أبي جعفر، قال: قال أبو مسعود الأنصاري: ما أرى صلاة لي تمت إلا أصلي فيها على محمد النبي صلى الله عليه وسلم، وآل محمد صلى الله عليه وسلم.

وعن عبد المهيمن أيضاً، أسنده إلى جده: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه، ولا صلاة لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم»[2].

---

(١) حديث «لا صلاة لمن لم يصل على نبيه» صلى الله عليه وسلم.
أخرجه الدارقطني ١/ ٣٥٥ من حديث سهل بن سعد، وفي إسناده عبد المهيمن بن عباس: لا يحتج به. انظر: «جلاء الأفهام» ص ٢٠٥.

(٢) حديث «لا صلاة لمن لا وضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه، ولا صلاة لمن لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، ولا صلاة لمن لا يحب الأنصار».
أخرجه ابن ماجة ٤٠٠، والديلمي في مسند الفردوس ٧٩٣٨ «دون ذكر الأنصار» من حديث سهل ابن سعد.
قال البوصيري في «مجمع الزوائد»: ضعيف، لاتفاقهم على ضعف عبد المهيمن، وقال السندي: لكن لم ينفرد به عبد المهيمن، فقد تابعه عليه ابن أخي عبد المهيمن، رواه الطبراني في المعجم الكبير، انتهى.
وأخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» كما في «مجمع الزوائد» ١/ ٢٢٨، من حديث أبي سبرة، لكن عجزه بلفظ: «ولا يؤمن بالله، من لا يؤمن بي، ولا يؤمن بي من لا يحب الأنصار».
وأخرجه الإمام أحمد ٤/ ٧٠، و٦/ ٣٨٢ عن رباح بن عبد الرحمن بن حويطب قال: حدثتني جدتي أنها سمعت أباها سعيد بن زيد... فذكره.

قلت: معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه أي: لا وضوء كامل الفضيلة، والتسمية عندنا من الفضائل، ولا أعلم من قال بوجوبها، فتعين حمل الحديث على ما تقدم، فهذا مثل قوله صلى الله عليه وسلم: «لا صلاة لجار المسجد إلا في المسجد»[1]. وكذا قوله: «لا صلاة لمن لم يصل علي».

والصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة، لا يسجد لها من تركها، والله أعلم.

فصل

في من رئي في المنام على حالة حسنة بسبب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وشرف وكرّم ومجّد وعظّم ووالى عليه وأنعم

ذكر شيخ المسلمين أبو عبد الله محمد الشهير بابن النعمان[2] ـ قدس الله روحه ـ في كتابه الملقب بـ «مصباح الظلام»: أن جماعة من العلماء لا يحصون، رؤوا في المنام على حالة حسنة بسبب صلاتهم على النبي صلى الله عليه وسلم؛ لأنهم لما رأوهم على تلك الحالة الحسنة سئلوا، فقالوا: ذلك بكثرة صلاتنا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

منهم: الإمام الشافعي رضي الله عنه: رئي في المنام؛ فقيل له: ما فعل الله بك؟.

---

(١) رواه الدارقطني عن جابر، وعن أبي هريرة رضي الله عنهما، ورمز السيوطي لضعفه. الجامع الصغير ٢/ ٦٤٥ الحديث رقم ٩٨٩٨.

(٢) الإمام القدوة الزاهد أبو عبد الله محمد بن موسى بن النعمان التلمساني المعروف بابن النعمان، قدم الاسكندرية شاباً، فسمع بها من محمد بن عماد، والصفراوي، وكان عارفاً بمذهب مالك، راسخ القدم في العبادة والنسك، أشعرياً منحرفاً عن الحنابلة، توفي في رمضان، سنة ثلاث وثمانين وستمائة، ودفن بالقرافة، وشيعه أمم. انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٧/ ٦٧٠، و«العبر» ٥/ ٣٤٦، و«مرآة الجنان» ٤/ ٢٠٠، و«النجوم الزاهرة» ٧/ ٣٦٤.

قال: نعّمني وغفر لي، وزففت إلى الجنة كما تزف العروس، ونثر علي كما ينثر على العروس. فقلت: بم بلغت هذا؟. فقال قائل: بقوله في كتاب «الرسالة»: «وصلى الله على محمد، عدد ما ذكره الذاكرون، وعدد ما غفل عنه الغافلون».

قال: فلما أصبحت، نظرت إلى «الرسالة» فوجدت الأمر كما رأيت.

قلت: وهكذا رويناه في كتاب «القربة» لابن بشكوال.

قال: ورئي أبو العباس أحمد بن منصور الحافظ في النوم؛ عليه حلة، وعلى رأسه تاج مكلل بالجوهر. فقيل له: ما فعل الله بك؟. قال: غفر لي، وأكرمني، وتوجني، وأدخلني الجنة. فقيل له: بم ذا؟. قال: بكثرة صلاتي على النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال خلف صاحب الخلقان: كان لي صديق يطلب معي الحديث، فمات. فرأيته في منامي، وعليه ثياب خضر جدد، يجول فيها، [فقلت له:] ألست كنت تطلب معي الحديث؟ فما الذي أرى؟. قال: كنت أكتب معكم الحديث، فلم يمر حديث فيه ذكر محمد صلى الله عليه وآله وسلم إلا كتبت في أسفله: «صلى الله عليه وسلم»؛ فكافأني ربي بهذا الذي ترى.

وقال عبد الله القواريري(١): مات رجل جار لنا، وكان ورّاقاً، فرأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟. قال: غفر لي. [قلت:] بم ذا؟.

قال: كنت إذا كتبت النبي صلى الله عليه وسلم، كتبت: «صلى الله عليه وسلم».

---

(١) عبد الله بن عمر القواريري البصري، الحافظ، أبو سعيد، روى عن حماد بن زيد وطبقته فأكثر.
وقال صالح جزرة: هو أعلم من رأيت بحديث أهل البصرة. توفي رضي الله عنه سنة خمس وثلاثين ومائتين من الهجرة.

ورئي [علي بن] الحسن بن شقيق[1] بعد موته في المنام على حالة حسنة. فقيل له: بم نلت هذا؟.

قال: بكثرة صلاتي على النبي صلى الله عليه وسلم.

وروينا في كتاب «القربة» لابن بشكوال: أن أبا بكر بن مجاهد المقريء[2] أتى إليه الشبلي[3]، فدخل إليه إلى مسجده، فقام إليه. فتحدث أصحاب ابن مجاهد بحديثهما، وقالوا: أنت لم تقم لعلي بن عيسى الوزير، وتقوم للشبلي؟.

فقال: ألا أقوم لمن يعظمه رسول الله صلى الله عليه وسلم؟. رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم، فقال لي: يا أبا بكر!!! إذا كان في غد فسيدخل [عليك] رجل من أهل الجنة، فإذا دخل فأكرمه.

---

(١) محدّث مرو علي بن الحسن بن شقيق. روى عن أبي حمزة السكري، وطائفة. وعنه البخاري وغيره، وكان محدّث مرو، كثير الكتب، كتب الكثير حتى كتب التوراة، والإنجيل، وجادل اليهود والنصارى.
توفي رضي الله عنه سنة خمس عشر ومائتين من الهجرة. «شذرات الذهب ٣/ ٧٢».

(٢) ابن مجاهد مقريء العراق، أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد: روى عن سعدان بن نصر، والرمادي، وخلق كثير. وقرأ على قنبل، وأبي الزعراء، وجماعة، وكان ثقة بصيراً بالقراءات وعللها، عديم النظير. توفي رحمه الله تعالى في شعبان سنة أربع وعشرين وثلاثمائة من الهجرة. «شذرات الذهب» ٤/ ١٢٨.

(٣) أبو بكر الشبلي: دلف بن جحدر، وقيل: ابن جعفر نسبة إلى قرية شِبْلِيَّة، إحدى قرى أسروشنة من بلاد ما وراء النهر، خراساني الأصل، بغدادي المولد والمنشأ، جليل القدر، مالكي المذهب، عظيم الشأن، صحب الجنيد وطبقته، يبالغ في تعظيم الشرع المكرم، وإذا دخل رمضان جدّ في الطاعات، ويقول: هذا شهر عظّمه ربي فأنا أولى بتعظيمه. سئل عن حديث: «خير كسب المرء عمل يمينه» فقال: إذا كان الليل فخذ ماء، وتهيأ للصلاة، وصلِّ ما شئت ومدَّ يدك، وسل الله تعالى. فذلك كسب يمينك.
توفي رضي الله عنه سنة ٣٣٤ من الهجرة. «طبقات السلمي ٣٣٧، طبقات ابن الملقن ٢٠٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦».

قال ابن مجاهد: فلما كان بعد ذلك بليلتين، فقال لي: يا أبا بكر أكرمك الله كما أكرمت رجلاً من أهل الجنة. فقلت: يا رسول الله!! بم استحق الشبلي هذا منك؟. فقال: هذا رجل يصلي الصلوات، يذكرني إثر كل صلاة، ويقرأ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾[١]، منذ ثلاثين سنة، أفلا أكرم من فعل هذا؟.

ورئي مسطح الصوفي بعد وفاته؛ فقيل له: ما فعل الله بك؟. فقال: غفر لي. قيل: بأي شيء؟. قال: استمليت على بعض المحدثين مسنداً، فصلى الشيخ على النبي صلى الله عليه وسلم، فصليت أنا، ورفعت صوتي، فصلى أهل المجلس عليه ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ، فغفر لنا في ذلك اليوم.

وعن عبد الواحد بن زيد[٢] قال: خرجت حاجاً؛ فصحبني رجل كان لا يقوم ولا يقعد، ولا يذهب ولا يجيء، إلا صلى على النبي صلى الله عليه وآله وسلم. فقلت له في ذلك؟، فقال: أخبرك. خرجت منذ سنوات إلى مكة، ومعي أبي، فلما انصرفنا، قِلْنا[٣] في بعض المنازل. فبينا أنا نائم؛ إذ أتاني آت، فقال: قم، فقد مات أبوك، وسود وجهه!!!. فقمت

---

(١) سورة التوبة ـ الآية ١٢٨.

(٢) هو عبد الواحد بن زيد ـ وقيل ابن زياد ـ العبدي، مولاهم، أبو بشر البصري، أحد الأعلام، يروي عن ليث بن أبي عامر وغيره، وهو شيخ الصوفية في وقته، وأعظم من لحق الحسن وغيره، وكان عابداً قانتاً، زاهداً واعظاً رائداً، كثير الصلاة والصوم، وعظ يوماً فمات في مجلسه أربعة أنفس قبل أن يقوم، صلى الصبح بوضوء العتمة أربعين سنة، وكان مجاب الدعوة. من كراماته أنه أصابه الفالج، فدعا الله تعالى أن يطلقه في وقت الوضوء، فكان إذا أراد الوضوء انطلق، فإذا فرغ عاد مفلوجاً. مات رضي الله عنه سنة سبع وسبعين ومائة. انظر: طبقات ابن الملقن ١٨٣، الكواكب الدرية للمناوي ٢٤٥، خلاصة تذهيب الكمال صفحة ٢٠٩.

(٣) من «القيلولة» وهو النوم قبل الظهر.

مذعوراً، فكشفت الثوب عن وجهه، فإذا هو أسود الوجه، فدخلني من ذلك رعب عظيم، فبينا أنا على ذلك من الغم إذ غلبتني عيناي؛ فنمت، فإذا أنا على رأس أبي أربعة سودان معهم أعمدة من حديد عند رأسه، وعند رجليه، وعن يمينه، وعن شماله، إذ أقبل رجل حسن الوجه بين ثوبين أخضرين، فقال لهم: تنحوا. فرفع الثوب عن رأسه، فمسح بيده وجهه، ثم أتاني فقال: قم، قد بيَّض الله وجه أبيك. فقلت: من أنت بأبي أنت وأمي؟. قال: أنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ، فكشفت عن وجه أبي، فإذا هو أبيض الوجه، فأصلحت من شأنه، ودفنته.

وروينا في كتاب «القربة» لابن بشكوال بسنده إلى أبي نعيم قال: حدثنا سفيان الثوري قال: بينما أنا حاج، إذ دخل شاب حاج لا يرفع قدماً ولا يضع أخرى إلا وهو يقول: «اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد». فقلت: أتعلم ما تقول يا هذا؟. قال: من أنت؟. قلت: أنا سفيان الثوري. قال: سفيان العراقي؟. قلت: نعم. قال: وهل عرفت الله؟. قلت: نعم. قال: وكيف عرفته؟. قلت: بأنه يولج الليل في النهار، ويولج النهار في الليل، ويصور الولد في الرحم. قال: يا سفيان!!! ما عرفت الله حق معرفته!. قلت: فكيف تعرفه؟. قال: يفسخ العزم والهم[1]، ونقض العزيمة، هممت ففسخ همتي، وعزمت فنقض عزمي، فعرفت أن لي رباً يدبرني. قال: قلت: فما صلاتك على النبي صلى الله عليه وسلم؟. قال: كنت حاجاً، ومعي والدتي، فسألتني أن أدخلها البيت[2]، فأدخلتها، فوقعت وتورّم بطنها، واسودَّ وجهها، فجلست عندها وأنا حزين، فرفعت يدي نحو السماء، فقلت: يا رب!!! هكذا تفعل بمن دخل بيتك؟، فإذا غمامة قد ارتفعت من قبل تهامة، وإذا رجل عليه ثياب بيض، فدخل

(١) الهم هو العزم على فعل شي أو نية التوجه نحو عمل ما، وقد قيل لبعض العارفين: بم عرفت ربك؟ قال: بنقض العزائم.

(٢) أي البيت الحرام، مكة.

البيت، فأمرّ يده على وجهها فابيضَّ، وأمرّها على بطنها فسكن الورم، ثم مضى ليخرج؛ فتعلقت بثوبه؛ فقلت: منْ أنت الذي قدر فرّجت عني؟، فقال: أنا نبيك محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقلت: يا رسول الله!! أوصني. قال: لا ترفع قدماً، ولا تضع أخرى إلا وتقول: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد».

وروينا فيه أيضاً: بسنده إلى **أحمد بن محمد الصوفي**[1] قال: وعن حذيفة قال: «إن الصلاة [غلى] النبي صلى الله عليه وسلم لتدرك الرجل وولده وولد ولده».

وعن **عبد الله بن عيسى** قال: كان يقال: «من قرأ القرآن، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم، ودعا الله، فقد التمس الخير من مظانه».

---

(١) أبو سعد أحمد بن محمد المالِيني ـ نسبة إلى مالين قرية مجتمعة من أعمال هراة ـ أحمد بن محمد بن أحمد ابن عبد الله الهروي الصوفي، الحافظ، الثقة، المتقن، كان يدعى بطاووس الفقراء. قال عنه الخطيب: كان ثقة، متقناً، صالحاً. وقال غيره: سمع بخراسان، والحجاز، والشام، والعراق، ومصر، وحدث عن أبي أحمد بن عدي وطبقته، وكتب الكتب الطوال، وأكثر التطواف إلى أن مات، وتوفي بمصر سابع شوال، سنة اثنتي عشرة وأربعمائة من الهجرة. انظر: «شذرات الذهب ٥/ ٦٥، وتاريخ بغداد ٤/ ٣٧١ وما بعدها، والعبر ٣/ ١٠٩».

الباب الثالث

في كيفية الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، والتسليم وما جاء في ذلك، ويترتب عليه من الأجر العظيم

روينا في الصحيحين، عن عبد الرحمن بن أبي ليلى قال: لقيني كعب بن عجرة فقال: ألا أهدي لك هدية؟، إن النبي صلى الله عليه وسلم خرج علينا فقلنا: يا رسول الله، قد علمنا كيف نسلم عليك، فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد»[(١)].

وعن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله!! كيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: «اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على ابراهيم، وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم، إنك حميد مجيد»[(٢)].

وفي رواية مالك عن أبي مسعود الأنصاري قال: قولوا: «اللهم صل على محمد وعلى آله، كما صليت على آل ابراهيم، وبارك على محمد

---

(١) أخرجه البخاري ٣٣٧٠، و٤٧٩٧، ومسلم ٤٠٦، وأبو داود ٩٧٦ و٩٧٧، والترمذي ٤٨٣، والنسائي ٣/٤٧، وابن ماجة ٩٠٤، والشافعي ١/٩٢، والإمام أحمد في المسند ٤/٢٤١ من حديث كعب بن عجرة.

(٢) صحيح: أخرجه البخاري ٣٣٦٩ و٦٣٦٠، وأبو داود ٩٧٩، والنسائي ٣/٤٩، وابن ماجة ٩٠٥، والإمام أحمد ٥/٤٢٤، من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه.

وعلى آل محمد كما باركت على آل ابراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد».

قال القاضي أبو الفضل: اختلف أرباب المعاني في فائدة قوله صلى الله عليه وسلم: «كما صليت على ابراهيم وآل ابراهيم» على تأويلات كثيرة أظهرها: أن نبينا صلى الله عليه وسلم سأل ذلك لنفسه وأهل بيته ليتم النعمة عليهم، والبكرة، كما أتمها على ابراهيم. وقيل: بل سأل لأمته ليثابوا على ذلك. **وقيل**: ليبقى لهم ذلك إلى يوم الدين، ويجعل لسان صدق في الآخرين، كما فعله لابراهيم. وقيل: بل سأله ذلك له ولأمته. **وقيل**: كان ذلك قبل أن يعرف عليه الصلاة والسلام بأنه أفضل ولد آدم، ويطلع على منزلته. وقيل: بل سأل أن يصلى عليه صلاة يتخذه بها خليلاً، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الصحيح، في آخر أمره: «ولكن صاحبكم خليل الرحمن»[(١)]. وقد جاء أنه «حبيب الرحمن». وقال أيضاً: «أنا حبيب الله ولا فخر»[(٢)]. ذكره الترمذي، فهو الخليل والحبيب.

وقد اختلف العلماء أيهما أشرف، أو هما سواء، أو بمعنى؟. وفضل أكثرهم رتبة المحبة.

قلت: ثم لم يزل الناس يوردون في هذا الحديث السؤال المشهور وهو: أن المشبه به أعلى من المشبه، ونبينا عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم أفضل الأنبياء والمرسلين إجماعاً، فكيف تكون الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم مشبهة بالصلاة على ابراهيم عليه الصلاة والسلام؟.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ـ كتاب فضائل الصحابة ـ باب قول النبي صلى الله عليه وسلم «لو كنت متخذاً خليلاً» ٥/٥، عن البراء بن عازب.

(٢) رواه الترمذي في السنن الكبرى ٣٦١٦.

وقد اختلفت الأجوبة في ذلك، وقد استودعتها في «رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام» فلينظرها هناك من أرادها، لكن نذكر هنا بعضها:

فقيل: التشبيه إنما وقع في الصلاة على الآل، لا على النبي صلى الله عليه وسلم، فكان قولنا: «اللهم صل على محمد» مقطوع من التشبيه، وقوله: «وعلى آل محمد» متصل بما بعده، والله أعلم.

وعن عقبة بن عامر من حديثه: «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك» وذكر معناه.

وروينا لابن بشكوال قال: أخبرنا الإمام أبو بكر بن محمد بن عبد الله، وعدّهنّ في يدي بمدينة إشبيلية أول ما لقيته بها، قال: أخبرنا أبو الحسين المبارك ابن عبد الجبار، وعدّهنّ في يدي قال: أخبرنا الحسن بن محمد الخلال، وعدّهنّ في يدي، قال: حدثنا أبو القاسم علي بن الحسين ابن [العوزفي] الكوفي، وأنا سألته عنه، فحدثنا لفظاً، وعدّهنّ في يدي، قال الخلال: وحدثنا العوزفي أيضاً قال: وحدثنا أبو الهيثم أحمد بن محمد بن عون الكندري، وعدّهنّ في يدي، أخبرنا علي بن أحمد، والحسين العجلي، وعدّهنّ في يدي، حدثنا جرب بن الحسين الطحاوي، وعدّهنّ في يدي، حدثني عمرو بن خالد، وعدّهنّ في يدي، حدثنا زيد ابن علي، وعدّهنّ في يدي، حدثنا الحسين بن علي، وعدّهنّ في يدي، حدثنا علي بن أبي طالب، وعدّهنّ في يدي، حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعدّهنّ في يدي، قال: عدّهنّ في يدي جبريل عليه السلام، قال جبريل: هكذا نزلت من عند رب العزة: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، إنك حميد مجيد.

-اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد»[1].

[اللهم وسلم على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم، إنك حميد مجيد][1].

وروينا في كتاب «الشفا»: **عن أبي هريرة رضي الله عنه**، عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يكتال بالمكيال الأوفى إذا صلى علينا أهل البيت فليقل: «اللهم صل على محمد [النبي]، وأزواجه أمهات المؤمنين، وذريته، وأهل بيته، كما صليت على ابراهيم، إنك حميد مجيد»[2].

وفي رواية زيد بن خارجة الأنصاري: سألت النبي صلى الله عليه وسلم: كيف نصلي عليك؟.

فقال: صلوا واجتهدوا في الدعاء، ثم قولوا: «اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد»[3].

---

(١) ذكره القاضي عياض في «الشفا»، وقال الخفاجي في نسيم الرياض ٣/ ٥٢١: قال السيوطي في المجامع الكبير: قال الحاكم: بلغنا هذا الحديث وإسناده ضعيف.
وأخرجه الديلمي، وابن منده، والترمذي، وقال العراقي: ضعيف جداً. وعمرو بن خالد كذاب وضاع، وكذا ابن مساور، وحرب بن الحسن أورده الأزدي في الضعفاء. وقال حديثه ليس بذاك.
وقال ابن حجر في أماليه: اعتقادي أنه موضوع.
وذكره الحافظ السخاوي في «القول البديع» ص ٣٨ ـ ٣٩.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من المخطوط الأصل استكملناه من: «الشفا» ٢/ ٦٤٢.

(٣) أخرجه ابن عدي في «الكامل» ٢/ ٤٢٤، من حديث علي، وفي إسناده حبان بن يسار، صدوق قد اختلط، كما في التقريب.
وذكره السخاوي في «القول البديع» ص ٤٣، ونسبة للنسائي في مسند علي، وابن عبد البر، وقال: وفي سنده راو مجهول، وآخر قد اختلط في آخر عمره.
وأخرجه أبو داود ٩٨٢، والبيهقي في الشعب ١٥٠٤، من حديث أبي هريرة، وفي إسناده حبان بن يسار، صدوق قد اختلط.
والمكيال: آلة الكيل، والأوفى: الوافي التام؛ أي من أحب أن يأتي بأحسن صلاة وأعظمها، أو من أراد أن ينال أجراً لا يساويه فيه غيره فليقل.. إلخ.

وعن سلامة الكندي: كان **علي رضي الله عنه** يعلمنا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم داحي المدحوات، وباريء المسموكات، وجبار القلوب على فطرتها، شقيها وسعيدها، اجعل شرائف صلواتك، ونوامي بركاتك، ورأفة تحننك على محمد عبدك ورسولك، الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، والمعلن الحق بالحق، والدامغ لجيشات الأباطيل، كما حمل فاضطلع بأمرك لطاعتك، مستوفزاً في مرضاتك، بغير نكل في قدم، ولا وهن في عزم، واعياً لوحيك، حافظاً لعهدك، ماضياً على نفاذ أمرك، حتى أورى قبساً لقابس، آلاء الله تصل بأهله أسبابه، به هديت القلوب بعد خوضات الفتن والإثم، وأنهج موضحات الأعلام، ونائرات الأحكام، ومنيرات الإسلام، فهو أمينك المأمون، وخازن علمك المخزون، وشهيدك يوم الدين، وبعيثك نعمة، ورسولك بالحق رحمة.

اللهم افسح له في عدنك، واجزه مضاعفات الخير من فضلك، مهنّئات له غير مكدرات، من فوز ثوابك المحلول، وجزيل عطائك المعلول.

اللهم أعل على بناء الناس بناءه، وأكرم مثواه لديك ونزله، وأتم له نوره، واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة، ومرضي المقالة، ذا منطق عدل، وخطة فصل، وبرهان عظيم»[(١)].

وعنه[(٢)] أيضاً: في «الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم»:

---

(١) أخرجه النسائي ٣/٤٩، والإمام أحمد ١/١٩٩، وإسماعيل بن إسحاق في «فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم» ص ٦٩، من حديث زيد بن خارجة بإسناد جيد، إلا أن اسماعيل قال: من حديث زيد بن حارثة. والديلمي في مسند الفردوس، وأبو نعيم، والطحاوي والبغوي، وذكره القاضي عياض في الشفا ٢/٦٤٣.

(٢) انظر: «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» للقاضي عياض ٢/٦٤٣ طبعة عيسى الحلبي، وكذا تفسير ابن كثير ٦/٤٥٢ وقبله قال: حديث آخر موقوف، رويناه من طريق سعيد بن =

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾.

لبيك اللهم ربي وسعديك، صلوات الله البر الرحيم، والملائكة المقربين، والنبيين والصديقين، والشهداء والصالحين، وما سبح لك من شيء يا رب العالمين، على محمد بن عبد الله، خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، الشاهد البشير الداعي إليك بإذنك السراج المنير، وعليه السلام»[١].

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «اللهم اجعل صلواتك، وبركاتك، ورحمتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين، محمد عبدك ورسولك، إمام الخير، ورسول الرحمة.

اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرون.

اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم، إنك حميد مجيد، وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم إنك حميد مجيد[٢].

وكان الحسن البصري يقول: «من أراد أن يشرب بالكأس الأوفى[٣] من حوض المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فليقل: «اللهم صل على محمد وعلى آله وأصحابه، وأولاده، وأزواجه، وذريته، وأهل بيته،

= منصور، وزيد بن الحباب، ويزيد بن هارون، ثلاثتهم عن نوح بن قيس: حدثنا سلامة الكندي... إلخ.

(١) أي عن الإمام علي رضي الله عنه.

(٢) ذكره في الشفاء ٢/٦٤٦.

(٣) رواه ابن ماجة، والبيهقي في «شعب الإيمان» في كيفية أخرى للصلاة عليه: سنن ابن ماجة: ٢٩٣.

(٤) قوله بالكأس الأوفى: أي بالحظ الأعلى.

وأصهاره، وأنصاره، وأشياعه[1]، ومحبيه، وأمته، وعلينا معهم أجمعين، يا أرحم الراحمين.

وعن طاووس، **عن ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه كان يقول**: «اللهم تقبل شفاعة محمد الكبرى، وارفع درجته العليا، وآته سؤله في الآخرة والأولى، كما آتيت ابراهيم وموسى»[2].

وعن وهيب بن الورد أنه كان يقول في دعائه: «اللهم أعط محمداً أفضل ما سألك لنفسه، وأعط محمداً أفضل ما سألك له أحد من خلقك، وأعط محمداً أفضل ما أنت مسئول له إلى يوم القيامة».

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أنه كان يقول: «إذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأحسنوا الصلاة عليه، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه، وقولوا: اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير، ورسول الرحمة.

اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرون، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على ابراهيم إنك حميد مجيد.

اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم إنك حميد مجيد»[3].

قال صاحب «علم الأعلام»: **وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا فرغ من صلاته حمد الله، وأثنى عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ثم يقول**:

---

(١) أي: أتباعه.

(٢) ذكره في الشفا ٢/٦٤٧.

(٣) موقوف: أخرجه ابن ماجة ٩٠٦، عن ابن مسعود. قال البوصيري في «مجمع الزوائد» رجاله ثقات، إلا أن المسعودي اختلط بآخر عمره، ولم يتميز حديثه الأول من الآخر، فاستحق الترك، كما قال ابن حبان.

«**اللهم** إني أسألك بأفضل مسألتك، وبأحب أسمائك إليك، وأكرمها عليك، وبما مننت به علينا بمحمد نبينا صلى الله عليه وسلم، واستنقذتنا به من الضلالة، وأمرتنا بالصلاة عليه، وجعلت صلاتنا عليه درجة وكفارة، ومنّاً من عطائك، فأدعوك تعظيماً لأمرك، واتباعاً لوصيتك، وتنجيزاً لموعودك، بما يجب لنبينا صلى الله عليه وسلم علينا في أداء حقه قبلنا، وأمرت العباد بالصلاة عليه فريضة افترضتها، فنسألك بجلال وجهك، ونور عظمتك، أن تصلي أنت وملائكتك على محمد عبدك ورسولك، ونبيك، وصفيك، أفضل ما صليت به على أحد من خلقك، إنك حميد مجيد.

اللهم ارفع درجته، وأكرم مقامه، وثقل ميزانه، وأجزل ثوابه، وأفلج حجته، وأظهر ملته، وأضيء نوره، وأدم كرامته، وألحق به من ذريته وأهل بيته ما تقر به عينه، وعظمه في النبيين الذين خلوا قبله.

اللهم اجعل سيدنا محمداً أكثر النبيين تبعاً، وأكثرهم أزراء، وأفضلهم كرامة ونوراً، وأعلاهم درجة، وأفسحهم في الجنة منزلا، وأفضلهم ثوابا، وأقربهم مجلساً، وأثبتهم مقاماً، وأصوبهم كلاما، وأنجحهم مسألة، وأفضلهم لديك نصيباً، وأعظمهم فيما عندك رغبة، وأنزله الفردوس من الدرجات العلا.

اللهم اجعل محمداً أصدق قائل، وأنجح سائل، وأول شافع، وأفضل مشفع، وشفعه في أمته شفاعة يغبطه فيها الأولون والآخرون، وإذا ميزت بين عبادك بفصل القضاء اجعل سيدنا محمداً في الأصدقين قيلا، والأحسنين عملا، وفي المهديين سبيلا.

اللهم اجعل نبينا لنا فرطا، وحوضه لنا موردا.

اللهم احشرنا في زمرته، واستعملنا بسنته، وتوفنا على ملته، واجعلنا في زمرته وحزبه.

اللهم اجمع بيننا وبينه كما آمنا به ولم نره، ولا تفرق بيننا وبينه حتى تدخلنا مدخله، وتجعلنا من رفقائه، مع المنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسن أولئك رفيقا.

اللهم صل على سيدنا محمد نور الهدى، والقائد إلى الخير، والداعي إلى الرشد، نبي الرحمة، وإمام المتقين، ورسول رب العالمين، كما بلغ رسالتك، وتلا آياتك، ونصح لعبادك، وأقام حدودك، ووفى بعهدك، وأنفذ حكمك، وأمر بطاعتك، ونهى عن معصيتك، ووالى وليك الذي تحب أن تواليه، وعادى عدوك الذي تحب أن تعاديه، وصلى الله على محمد.

اللهم صل على جسده في الأجساد، وعلى روحه في الأرواح، وعلى موقفه في المواقف، وعلى مشهده في المشاهد، وعلى ذكره إذا ذكر، صلاة منا على نبينا.

اللهم أبلغه منا السلام، كما ذكر السلام، والسلام على النبي ورحمة الله وبركاته.

اللهم صل على ملائكتك المقربين، وعلى أنبيائك المطهرين، وعلى رسلك المرسلين، وعلى حملة عرشك أجمعين، وعلي جبريل وميكائيل، وملك الموت، ورضوان، ومالك، وصلِّ اللهم على الكرام الكاتبين، وعلى أهل طاعتك أجمعين، من أهل السماوات وأهل الأرضين.

اللهم آت أهل بيت نبيك صلى الله عليه وسلم أفضل ما آتيت بيوتات المرسلين، واجز أصحاب نبيك صلى الله عليه وسلم أفضل ما جزيت أحداً من أصحاب المرسلين.

اللهم اغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات، الأحياء منهم والأموات، ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا، ربنا إنك رؤوف رحيم».

وعن زين العابدين بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم: أنه صلى في الملتزم بين الحجر، ثم دعا، ثم قال:

«**اللهم** صل على آدم بديع فطرتك، وبكر حجتك، ولسان قدرتك، الخليفة في بسيطتك، والمستعيذ بذمتك من متين عقوبتك، وساحب شعر رأسه تذللاً في حرمك لغوثك، والمنشأ من التراب فنطق إعراباً بوحدانيتك، وأول مجتبى للتوبة برحمتك، صلِّ على نبيك الخالص من صفوتك، العابد المأمون على مكنون سريرتك، بما أوليته من نعمتك ومعونتك، وعلى من بينهما من النبيين والصديقين المكرمين.

وأسألك اللهم حاجتي التي بيني وبينك، لا يعلمها أحد دونك.

وصلى الله على محمد، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً كثيراً.

وفيما يؤثر عن الصادق، عن الباقر قال: **كان زين العابدين علي بن الحسين** إذا أراد أن يصلي على جده صلى الله عليه وسلم يقول ـ والناس يسمعونه ـ:

«**اللهم** صل على محمد في الأولين والآخرين، وصل على محمد إلى يوم الدين، اللهم صل على محمد شاباً فتيا، وصل على محمد كهلاً مرضيا، وصل على محمد رسولاً نبيا.

اللهم صل على محمد حتى ترضى، وصل على محمد بعد الرضا، وصل على محمد أبداً أبدا.

اللهم صل على محمد كما أمرتنا بالصلاة عليه، وصل على محمد كما تحب أن يصلى عليه، وصل على محمد كما أردت أن يصلى عليه.

اللهم صل على محمد عدد خلقك، وصل على محمد رضا نفسك، وصل على محمد زنة عرشك، وصل على محمد مداد كلماتك التي لا تنفد.

اللهم وأعط محمداً الوسيلة والفضل والفضيلة، والدرجة الرفيعة.

اللهم عظِّم برهانه، وأفلج حجته، وأبلغه مأموله في أهل بيته، وأمته.

اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورأفتك ورحمتك على سيدنا محمد حبيبك، وصفيك، وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

اللهم صل على سيدنا محمد بأفضل ما صليت على أحد من خلقك، وبارك على سيدنا محمد مثل ذلك، وارحم سيدنا محمداً مثل ذلك، وسلم على سيدنا محمد مثل ذلك.

اللهم صل على سيدنا محمد في الليل إذا يغشى، وصل على سيدنا محمد في النهار إذا تجلى، وصل على سيدنا محمد في الآخرة والأولى.

اللهم صل على سيدنا محمد الصلاة التامة، وبارك على سيدنا محمد البركة التامة، وسلم على سيدنا محمد السلام التام.

اللهم صل على سيدنا محمد إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة.

اللهم صل على سيدنا محمد أبد الآبدين، ودهر الداهرين.

اللهم صل على سيدنا محمد النبي الأمي العربي القرشي الهاشمي، الأبطحي التهامي، المكي صاحب التاج والهراوة، والجهاد والمغنم، صاحب الخير والمنبر، صاحب السرايا والعطايا، والآيات المعجزات، والعلامات الباهرات، والمقام المحمود، والحوض المورود، والشفاعة والسجود للرب المعبود.

اللهم صل على سيدنا محمد بعدد من صلى عليه، وبعدد من لم يصل عليه.

قلت: وفي «الشفا» لابن سبع رحمه الله تعالى: أن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يُجلس بينه وبين أبي بكر أحداً، فجاء رجل يوماً فأجلسه عليه الصلاة والسلام بينهما؛ فتعجب الصحابة من ذلك. فلما خرج، قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا يقول في صلاته علي:

«**اللهم** صلِّ على محمد كما أمرتنا أن نصلي عليه، **اللهم** صلِّ على سيدنا محمد كما هو أهله، **اللهم** صلِّ على سيدنا محمد كما تحب وترضى له».

أو نحو هذا.

وروينا في كتاب «القربة» لابن بشكوال بسنده إلى أبي بكر بن الكاتب الصوفي قال: سمعت أبا الحسن الكرخي صاحب معروف الكرخي يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ويقول في صلاته:

«**اللهم** صل على سيدنا محمد ملء الدنيا وملء الآخرة».

وقد تقدم في الباب الذي قبل هذا أن الشافعي رحمة الله عليه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم:

«**اللهم** صلِّ على سيدنا محمد عدد ما ذكره الذاكرون، وصلِّ على سيدنا محمد كلما غفل عن ذكره الغافلون».

ولما قاربنا[1] المدينة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ ألهمت إلى هذه الصلاة التي أذكرها وهي في خصائصه صلى الله عليه وسلم أو جلها، وهي:

«**اللهم** صلِّ على سيدنا محمد الذي أشرقت بنوره الظلم. **اللهم** صلِّ على سيدنا محمد المبعوث رحمة لكل الأمم. **اللهم** صلِّ على سيدنا محمد المختار للسيادة والرسالة قبل خلق اللوح والقلم. **اللهم** صلِّ على سيدنا محمد الموصوف بأفضل الأخلاق والشيم. **اللهم** صلِّ على سيدنا محمد المخصوص بجوامع الكلم وخواص الحكم. **اللهم** صلِّ على سيدنا محمد الذي كان لا تنتهك في مجالسه الحرم، ولا يعفى عمن ظلم.

---

(١) يقصد المصنف نفسه رضي الله عنه لما زار الحبيب الأعظم والرسول الأكرم صلى الله عليه وسلم، لا حرمنا الله زيارته وشفاعته في الدنيا والآخرة آمين، لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمين.

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذي كان إذا مشى تظلله الغمامة حيث ما تيمم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذي انشق له القمر وكلمه الحجر وأقر برسالته وصمم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذي أثنى عليه رب العزة نصاً في سالف القدم. اللهم صلِّ على سيدنا محمد الذي يصلي عليه ربنا في محكم كتابه وأمر أن يُصَلَّى عليه ويُسَلَّم.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وأزواجه، ما انهَلَّتِ الدِّيَم، وما جرَّت على المذنبين أذيال الكرم، وسلم تسليماً، وشرّف، وكرّم».

وكتبها جماعة، وحفظوها، ثم أخبرت بعد ذلك: أن بعض طلبة العلم المباركين من أصحابنا المالكية، رأى في المنام أنه يصلي بها على منبر النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، والحمد لله.

وأخبرني الشيخ الصالح موسى الضرير ـ رحمه الله تعالى ـ: أنه ركب في البحر؛ قال: وقامت علينا ريح تسمى: «الأقلابية» قلَّ من ينجو منها من الغرق، وضج الناس خوفاً من الغرق، قال: فغلبتني عيناي، فنمت، فرأيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقول: قل لأهل المركب يقولون ألف مرة:

«اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات، وتقضي لنا بها جميع الحاجات، وتطهرنا بها من جميع السيئات، وترفعنا بها عندك أعلى الدرجات، وتبلغنا بها أقصى الغايات من جميع الخيرات في الحياة وبعد الممات».

قال: فاستيقظت، وأعلمت أهل المركب بالرؤيا، فصلينا بها نحو ثلاثمائة مرة؛ ففرج عنا، هذا أو قريب منه، صلى الله عليه وسلم.

فصل

وأما السلام، فكما علَّمه صلى الله عليه وآله وسلم في التشهد: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

قال القاضي أبو الفضل: [و]في تشهد علي[1] رضي الله عنه:

«السلام على نبي الله، السلام على أنبياء الله ورسله، السلام على رسول الله، السلام على محمد بن عبد الله، السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات، من غاب منهم، ومن شهد.

اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته، واغفر لأهل بيته، واغفر لي ولوالدي وما ولدا، وارحمهما.

السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته».

قال القاضي: جاء في هذا الحديث عن علي: الدعاء للنبي صلى الله عليه وسلم بالغفران[2].

---

(١) في «نسيم الرياض» ٣/٤٤٨: هذا لم نر من رواه عن علي رضي الله عنه. وفي «شرح القاري» ٣/٤٤٨ على هامش نسيم الرياض: هذا غير معروف سنده.
انظر «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ٢/٦٤٨ ط عيسى البابي الحلبي.

(٢) وقد ذهب أبو عمر بن عبد البر وغيره: إلى أنه لا يدعى للنبي صلى الله عليه وسلم بالرحمة، وإنما يدعى له بالصلاة والبركة التي تختص به، ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة، لأن غيره صلى الله عليه وسلم ليس بمعصوم فهو محتاج لمغفرة الله ورحمته، أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو معصوم، وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.
والمغفرة كما قال الراغب: إلباس الشيء ما يصونه، فهي من الله صون عبده عن مس العذاب، والدعاء بها له صلى الله عليه وسلم من أمته لا ينبغي، لإيهامه القصور من المدعو له بالرحمة. وورد عليه حديث «اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً» وسيأتي. =

قلت: وفيه الدعاء أيضاً لوالدي علي بالمغفرة والرحمة؛ أما أمه فاطمة بنت أسد، فأسلمت في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصلى عليها، ونزل في قبرها رضي الله عنها[1].

وأما أبو طالب فلا إشكال في كفره، فتأمله[2].

= وانظر: الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم ٢/٦٤٨ ط عيسى البابي.

(١) وكفنها رسول الله صلى الله عليه وسلم في قميصه، واضطجع في قبرها، وقال: جزاك الله من أم خيراً. لأنها ربته صلى الله عليه وسلم، وأحسنت صنيعها معه. كما ذكره الطبري في الرياض النضرة. وإنما اضطجع صلى الله عليه وسلم في قبرها ليخفف عنها ضغطة القبر، كما صرح به في الحديث.

(٢) بل قد جاء عن جمع من العلماء القول بإيمانه، نذكر منهم على سبيل المَثال لا الحصر:

١ ـ إتحاف الطالب بنجاة أبي طالب ـ لجنّون.

٢ ـ أسنى المطالب في نجاة أبي طالب ـ للعلامة أحمد زيني دحلان.

٣ ـ إيمان أبي طالب ـ للمفيد.

٤ ـ بغية الطالب لإيمان أبي طالب ـ للبرزنجي.

٥ ـ الرد على الذاهب في تكفير أبي طالب ـ للحائري.

٦ ـ فيض الواهب في نجاة أبي طالب ـ للجورومي.

٧ ـ منية الطالب في إيمان أبي طالب للخزاعي.

٨ ـ الحجة على الذاهب في إيمان أبي طالب للخزاعي.

الباب الرابع

في المواطن التي تستحب الصلاة
على النبي صلى الله عليه وسلم فيها ويعظم الأجر عليها

اعلم أن المواطن التي تستحب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيها قسمان؛ زمانية ومكانية: **أما الزمانية:**

فمنها: ليلة الجمعة ويوم الجمعة:

روينا في كتاب القربة لابن بشكوال، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا كان يوم الخميس بعث الله ملائكة معهم صحف من فضة، وأقلام من ذهب يكتبون يوم الخميس وليلة الجمعة أكثر الناس صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم»(١).

وفيه: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلاة علي نور على الصراط؛ فمن صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفرت له ذنوب ثمانين سنة»(٢).

وفيه أيضاً: عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «أكثروا الصلاة علي في الليلة الزهراء واليوم الأزهر، فإن صلاتكم

---

(١) رواه ابن عساكر بسنده عن أبي هريرة «انظر: كنز العمال ١/ ٤٩٤ الحديث رقم ٢١٧٧».

(٢) رواه الأزدي في «الضعفاء» والدارقطني في الأفراد عن أبي هريرة رضي الله عنه. «كنز العمال ١/ ٤٩٠ الحديث رقم ٢١٤٩».

تعرض علي فأدعو لكم وأستغفر»[1]. «الليلة الزهراء ليلة الجمعة، واليوم الأزهر يوم الجمعة».

وفيه أيضاً قال: كتب عمر بن عبد العزيز: «انشروا العلم فإن [غائلة][2] العلم النسيان، وأكثروا الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم [يوم الجمعة]»[3].

وفيه أيضاً: قال لنا ابن وضاح: بلغني أن من قال عشية يوم الخميس بعد العصر: «اللهم رب الشهر الحرام، والمشعر الحرام، والركن والمقام، ورب الحل والحرم، أقريء سيدنا محمداً منا السلام «إلا بعث الله ملكاً يبلغه عنه يقول: إن فلان بن فلان يبلغك السلام».

قال: وروينا عن سهل بن عبد الله أنه قال: من قال يوم الجمعة بعد العصر «اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آله وسلم»؛ ثمانين مرة، غفرت له ذنوب ثمانين سنة»[4].

وعن أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إن أقربكم مني مجلساً يوم القيامة أكثركم علي صلاة في الدنيا، من صلى علي في يوم الجمعة وليلة الجمعة [مائة مرة] قضى الله له مائة حاجة؛ سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما تدخل عليكم

---

(١) رواه البيهقي في السنن بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، وابن عدي عن أنس، وسعيد بن منصور في سننه عن الحسن وخالد بن معدان مرسلاً. كنز العمال ١/ ٤٨٨ الحديث رقم ٢١٣٩.

(٢) الغول: كل ما اغتال الإنسان فأهلكه، والنسيان غول العلم، لأنه يغتاله ويذهب به.

(٣) ذكره في «القول البديع» صفحة ١٨٩.

(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «من صلى علي يوم الجمعة ثمانين مرة غفر له ذنوب ثمانين سنة. قيل: يا رسول الله كيف؟ قال: يقول: «اللهم صل على محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي، ويعقد واحدة» ذكره الحافظ السخاوي في القول البديع ص ١٨٧ وقال: أخرجه الخطيب، وذكره ابن الجوزي في الأحاديث الواهية.

الهدايا، يخبرني من صلى علي باسمه ونسبه إلى عشيرته، فأثبته عندي في صحيفة بيضاء»(١).

وروينا في كتاب: «الشفا» للقاضي أبي الفضل رحمه الله تعالى: عن أوس الثقفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، قالوا: يا رسول الله!!، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ ـ أي: بليت ـ فقال: إن الله عز وجل حرّم على الأرض تأكل أجساد الأنبياء»(٢).

وقال بعضهم: «أن تأكل أجساد الأنبياء».

رواه أبو داود وابن ماجة، وقد تقدم أن العلماء والشهداء كذلك، وقد صح وقد كشف عن غير واحد من العلماء والشهداء فوجدوا لم تتغير أجسادهم؛ حتى الحناء وجدت في بعضهم لم تتغير عن حالها.

ومنها: عند سماع الأذان: كما تقدم؛ فيقال:

---

(١) قال السيوطي في «الحاوي للفتاوي» ٢/٢٤٨: وأخرج البيهقي في «حياة الأنبياء»، والأصبهاني في «الترغيب» عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي مائة في يوم الجمعة، وليلة الجمعة، قضى الله له مائة حاجة، سبعين من حوائج الآخرة، وثلاثين من حوائج الدنيا، ثم وكل الله بذلك ملكاً يدخله علي في قبري، كما يدخل عليكم الهدايا، إن علمي بعد موتي كعلمي في الحياة»، ولفظ البيهقي: «يخبرني من صلى علي باسمه ونسبه فأثبته عندي في صحيفة بيضاء» انتهى. وعزاه في «الدر المنثور» ٦/٦٥٤ للمصنف في «الشعب» وابن عساكر، وابن المنذر في «تاريخه». وأورده الحافظ السبكي في «شفاء السقام» ص ١٨٢ من طريق البيهقي، وانظر: السخاوي «القول البديع» ص ١٥١، والبيهقي: «حياة الأنبياء» ص ٣٦. و«كنز العمال ١/٥٠٦ الحديث رقم ٢٢٣٧».

(٢) أخرجه أبو داود ١٠٤٧، والنسائي ٣/٩١ ـ ٩٢، وابن ماجة ١٠٨٥، وابن حبان ٩١٠، والحاكم في المستدرك ١/٢٧٨، وإسماعيل القاضي ٢٢، والدارمي ١/٣٦١، والإمام أحمد ٤/٨، من حديث أوس بن أوس، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وله شاهد من حديث أبي هريرة، وآخر من حديث أبي الدررداء.

«اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته إنك لا تخلف الميعاد».

ومنها: تشهد الصلاة بعد التشهد الأخير وقبل السلام: كما تقدم.

وروى فضالة بن عبيد صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلاً يدعو في صلاة لم يحمد الله، ولم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عجل هذا»، ثم دعاه، فقال له: أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتحميد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يدعو بعد بما شاء»[1].

ويروى: «بحمد الله» وهو واضح.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «الصلاة والدعاء معلق بين السماء والأرض[2]، لا يصعد منه إلى الله تعالى شيء حتى يصلى على النبي صلى الله عليه وسلم»[3].

وعن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه، قال: «وعلى آل محمد»[4].

---

(١) جيد: أخرجه أبو داود ١٤٨١، والترمذي ٣٤٧٦ و٣٤٧٧، والنسائي ٣/ ٤٤، وابن حبان ١٩٦٠، والحاكم ١/ ٢٣٠ و٢٦٨، والبيهقي ٢/ ١٤٧ ـ ١٤٨، وإسماعيل القاضي ١٠٦، والإمام أحمد ٦/ ١٨ من حديث فضالة بن عبيد بسند جيد، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وقال الترمذي: حسن صحيح، انتهى.

(٢) قوله «معلق» أي موقوف قبوله؛ أي كل واحد منهما معلق.

(٣) حديث: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك صلى الله عليه وسلم» موقوف أخرجه الترمذي ٤٨٦، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله، وفي إسناده أبو قرة الأسدي: مجهول.

(٤) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من دعاء إلا بينه وبين السماء حجاب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم فإذا =

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا أراد أحدكم أن يسأل الله تعالى شيئاً فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو أهله، ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم يسأل، فإنه أجدر أن ينجح»[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تجعلوني كقدح الراكب، إن الراكب يملأ قدحه، فإذا فرغ وعلّق معاليقه، فإن كان فيه ماء شرب حاجته، أو الوضوء توضأ، وإلا أهراق القدح، فاجعلوني في أول الدعاء، وفي أوسطه، ولا تجعلوني في آخره»[2].

= صلي على النبي محمد صلى الله عليه وسلم انخرق الحجاب، واستجيب الدعاء، وإذا لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم لم يستجب الدعاء».
الراجح وقفه: أخرجه الديلمي في الفردوس ٦١٤٨، وفي زهر الفردوس ٤/ ٢٣، من حديث علي، وفي إسناده الحارث الأعور متهم بالكذب، انظر الكامل لابن عدي ٢/ ٦٠٤.
وأخرج الطبراني في الأوسط كما في «مجمع الزوائد» ١٠/ ١٦٠ عن علي قال: «كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وآل محمد».
قال الهيثمي: ورجاله ثقات، انتهى.
وذكره المنذري في الترغيب ٣/ ١٦٥ وقال: ورفعه بعضهم، والموقوف أصح، انتهى.

(١) في حديث رواه عبدالرزاق، والطبراني، وابن أبي الدنيا بسند صحيح، وأورده القاضي عياض في «الشفا» ٢/ ٦٣٤.

(٢) أخرجه البيهقي في «الشعب» ١٥٧٨، والديلمي في مسند الفردوس ٧٤٥٢، والبزار كما في مجمع الزوائد ١٠/ ١٥٥، من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.
قال الهيثمي: وفيه موسى بن عبيدة، وهو ضعيف، انتهى، وانظر: «الشفا» ٢/ ٦٣٤.
وذكره السخاوي في «القول البديع» ص ٢١٢ وزاد نسبته إلى عبد بن حميد، وعبد الرزاق في جامعه، وابن أبي عاصم في الصلاة له، وأبي نعيم في «الحلية»، والطبراني، وقال: كلهم من طريق موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف.
والحديث غريب، وقد رواه سفيان بن عيينة في جامعه من طريق يعقوب بن زيد يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا تجعلوني كقدح الراكب، اجعلوني أول دعائكم وأوسطه وآخره» وسنده مرسل أو معضل، فإن كان يعقوب أخذه من غير موسى تقوّت به رواية موسى والعلم عند الله تعالى، انتهى «السخاوي».

وقال ابن عطاء الله[1] **رضي الله عنه**: للدعاء أركان، وأجنحة، وأسباب، وأوقات[2]؛ فإن وافق أركانه قوي، وإن وافق [أجنحته طار في السماء، وإن وافق مواقيته فاز، وإن وافق][3] أسبابه أنجح[4].

فأركانه: حضور القلب، والرقة، والاستكانة، والخشوع، وتعلق القلب بالله تعالى، وقطعه من الأسباب.

وأجنحته: الصدق[5].

ومواقيته: الأسحار[6].

وأسبابه: الصلاة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

[**وفي الحديث**: «الدعاء بين الصلاتين علي لا يرد»[7].

---

(١) أبو العباس سيدي أحمد بن محمد بن سهل الآدمي من أجل مشايخ الصوفية، صاحب الحكم العطائية، والتنوير، وغيرها من الكتب القيمة النافعة للسالك والمتجرد، توفي رضي الله عنه سنة تسع وثلاثمائة من الهجرة.

(٢) أركان: أي أمور مهمة لابد منها. وأجنحة: جناح الطير كاليد للإنسان يحصل بها ما يريد. شبه ما هو مقدمة لقبوله ورفعه إلى السماء بالأجنحة للطائر. وأسباب: وسائل للوصول إلى المطلب والفوز به. وأوقات مخصوصة: يكون فيها أسرع إجابة كأوقات الصلاة.

(٣) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، استكمل من «الشفا» للقاضي عياض ١/ ٦٣٥.

(٤) قوله مواقيته أي وقع في أوقاته، وقوله: أنجح: أي تم وكمل نجاحه وسعادته، وظفر بطلبته.

(٥) وذلك بأن يوقن أن لا مانع ولا معطي غير الله سبحانه وتعالى، وفي الحديث «الصدق يهدي إلى البر» فالصدق معناه خلوص النية، والطوية.

(٦) الأسحار: أواخر الليل.

(٧) أي لا يرد بلا إجابة، بل يستجاب قطعاً، وقد قال الشيخ العارف بالله تعالى أبو سليمان الداراني رضي الله عنه، وعنًا به: إذا سألت الله حاجة فابدأه بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم ادع بما شئت، ثم اختم بالصلاة عليه صلى الله عليه وسلم، فإنه سبحانه بكرمه يقبل الصلاتين وهو أكرم من أن يدع ما بينهما».

وفي حديث آخر: «كل دعاء محجوب دون السماء؛ فإذا جاءت الصلاة علي[1] صعد الدعاء][2].

وفي حديث ابن عباس الذي رواه حنش[3]: فقال في آخره: «واستجب دعائي، ثم تبدأ بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، [فتقول: اللهم إني أسألك] أن تصلي على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك أفضل ما صليت على أحد من خلقك أجمعين، [آمين].

ومنها: عند ذكره وسماع اسمه، أوكتابته، [أو عند الأذان[4]]:

لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي»[5].

---

(١) أي: ذكرت معه وصلي علي فيه.

(٢) عن علي قال: كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ وآل محمد». قال الهيثمي: ورجاله ثقات، انتهى. وذكره المنذري في «الترغيب والترهيب» ٣/ ١٦٥، وقال: ورفعه بعضهم، والموقوف أصح، انتهى.

(٣) هو حنش بن عبد الله، وثقه أبو زرعة وغيره، توفي سنة مائة للهجرة.

(٤) أي بعده وهو مستحب للمؤذن وسامعه، لما رواه مسلم أنه صلى الله عليه وسلم قال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة، صلى الله عليه بها عشرا»، وهل يقتصر على الصلاة، ويذكر معها السلام؟ لما ذكروه من كراهة الاقتصار عليها مطلقاً للآية السالفة كما صرح به النووي، وقال غيره: يقتصر عليها، لظاهر حديث مسلم. قال الخيضري في «اللواء المعلم»: وتستحب الصلاة عليه أيضاً صلى الله عليه وسلم، بعد الإقامة، لما رواه الطبراني في كتاب الدعاء عن أبي الدرداء أنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استمع المؤذن يقيم يقول: «اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمداً سؤله يوم القيامة»، يسمعها من حوله، ويحب أن يقولوا مثله، وهذا مما سكتوا عنه، انتهى.انظر: نسيم الرياض للخفاجي ٣/ ٤٦١.

(٥) صحيح: أخرجه الترمذي ٣٥٤٥، وابن حبان ٩٠٨، واسماعيل القاضي ١٦، والإمام أحمد ٢/ ٢٥٤، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد صحيح. وللحديث شواهد. وأخرج مسلم عجزه برقم ٢٥٥١ من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

وكره ابن حبيب(١) ذكر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عند الذبح(٢).

وكره سحنون(٣) الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم عند التعجب(٤)؛ وقال: لا يصلى عليه إلا على طريق الاحتساب(٥) وطلب الثواب.

وقال أصبغ(٦) عن ابن القاسم: موطنان لا يذكر فيهما إلا الله: الذبيحة، والعطاس؛ فلا تقل فيها بعد ذكر الله: محمد رسول الله.

ولو قال عبد بعد ذكر الله: «وصلى الله على محمد»، لم يكن تسمية له مع الله(٧).

---

(١) هو عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي، من ولد العباس بن مرداس، الصحابي، هو فقيه نحوي، طبيب، مفسر، محدِّث، توفي سنة ثمان أو تسع وثمانين ومائتين.

(٢) وهو مذهب مالك رضي الله عنه؛ وإنما كرهه لئلا يكون مما أهل به لغير الله تعالى، وإلى هذا ذهب الحنفية أيضاً. وخالفهم الإمام الشافعي رضي الله عنه، فقال في «الأم» وتسن التسمية على الذبيحة عند الذبح باسم الله، ولا أكره أن يقول: وصلى الله على رسول الله؛ بل أحبه.

(٣) الفقيه المالكي المشهور واسمه عبد السلام بن عبد السلام التنوخي وهو بمرتبة من الكمال فضلاًوزهداً وسماحة.ولد في رمضان سنة ستين أو إحدى وستين ومائة، وتوفي لتسع خلون من رجب سنة أربعين ومائتين من الهجرة، وعمره ثمانون سنة كما في الميزان.

(٤) عند التعجب: أي لرؤية أمر عجيب، وهو مذهب الإمام مالك رحمه الله تعالى، وإليه ذهب الشافعي رضي الله عنه.

(٥) أي من غير سبب، خالصاً لوجه الله تعالى.

(٦) أبو عبد الله بن أصبغ بن فرح بن سعيد بن نافع الأموي مولى عمر بن عبد العزيز المصري الفقيه الجليل المحدِّث، روى عنه البخاري، وغيره، وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين من الهجرة.

(٧) ولكنه صلاة عليه صلى الله عليه وسلم بنية التقرب إلى الله تعالى بالصلاة عليه، فلا يكره، وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: «من عطس فقال: الحمد لله على كل حال، وصلى الله على محمد، وعلى أهل بيته، أخرج =

وقاله أشهب[1]؛ وقال: لا ينبغي أن تجعل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استناناً[2].

فصل

وأما المكان:

فعند دخول المسجد: قال أبو اسحق بن شعبان: وينبغي لمن دخل المسجد أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى آله، ويترحم عليه، وعلى آله، ويبارك عليه وعلى آله، ويسلم تسليماً؛ ويقول: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك»[3].

= الله عز وجل من منخره الأيسر طائراً يقول: اللهم اغفر لقائلها» أخرجه الديلمي في مسند الفردوس، بسند لا بأس به. وعطس رجل عند ابن عمر رضي الله عنهما فحمد الله تعالى، فقال له: لقد بخلت هلا حيث حمدت الله صليت على نبيه؟ ولذا رجع البيهقي استحباب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم عند العطاس، وإليه ذهب جماعة، وقال الآخرون: لا يستحب، ولكل موطن ذكر يخصه، واستدلوا بحديث: «لا تذكروني في ثلاث مواطن، عند العطاس والذبيحة، والتعجب» وروي بعد تسمية الطعام، أخرجه الديلمي في مسنده، وفيه من اتهم بالوضع. وقال الخيضري في اللواء المعلم: يستحب لمن تعجب أن يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم ذكره سيخنا وقال: أخذته من نص الشافعي رحمه الله تعالى، في قوله: «أحب أن تكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في كل الحالات»، فدخل في عمومه.

(١) هو أشهب بن عبد العزيز بن داود، أبو عمر القيسي المصري، وهو أحد فقهاء مصر المالكية، توفي بعد الشافعي بثمانية عشر يوماً، وله أربع وستون سنة «توفي سنة ثلاث أو أربع ومائتين».

(٢) استناناً: سنة واستحساناً وطريقة، لأنه تشريع فيما لم ينقل، وذلك خلافاً للشافعي رضي الله عنه حيث قال: «لا أكره مع التسمية على الذبيحة أن يقول: صلى الله على محمد وسلم، بل أحب ذلك».

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أحدكم المسجد فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك، فإذا خرج، فليسلم على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل: اللهم أجرني من الشيطان». صحيح: أخرجه مسلم ٧١٣، والنسائي ٢/٥٣، وابن حبان ٢٠٤٩، =

وإذا خرج فعل مثل ذلك، وجعل موضع «رحمتك»: «فضلك»[1].

تنبيه:

جاء قوله عند الخروج من المسجد: «وافتح لي أبواب فضلك» موافقاً لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[2].

قال المفسرون: إنه للإباحة لطلب الرزق، وهو مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَٱصْطَادُوا۟﴾[3].

= والبيهقي ٢/ ٤٤١، والإمام أحمد ٣/ ٤٩٧ و٥/ ٤٢٥، من حديث أبي حميد، وأبي أسيد، وانظر: جلاء الأفهام ص ١٣.

(١) عن عبد الله بن الحسن عن أمه رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لفاطمة ابنته رضي الله عنها: «إذا دخلتِ المسجد فقولي: بسم الله، والحمد لله، اللهم صل على محمد وسلم، اللهم اغفر لي وسهل لي أبواب رحمتك، فإذا خرجتِ من المسجد فقولي كذلك - إلا أنه قال: «وسهل لي أبواب رزقك». أخرجه الترمذي ٣١٤، وابن ماجة ٧٧١، وابن السني ٨٦، والإمام أحمد ٥/ ٤٢٥، لكن عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدتها فاطمة الكبرى رضي الله عنهم أجمعين قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دخل المسجد صلى على محمد وسلم وقال: رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك، وإذا خرج صلى على محمد وسلم، وقال: رب اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب فضلك» قال الترمذي: حديث فاطمة حديث حسن، وليس إسناده بمتصل، وفاطمة بنت الحسين لم تدرك فاطمة الكبرى. وله شاهد من حديث أبي هريرة أخرجه النسائي في السنن الكبرى ٩٩١٨ وابن ماجة ٧٧٣، وقال البوصيري في مجمع الزوائد: إسناده صحيح، ورجاله ثقات، انتهى. وله شاهد آخر أخرجه ابن السني ٨٨ عن أنس. وآخر من حديث ابن عمر أخرجه ابن السني أيضاً ٨٩، وذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٢/ ٣٢.
وقال: رواه الطبراني وفيه سالم ابن عبد الأعلى، وهو متروك، وفيه الوليد بن القاسم، وثقه بعضهم وجرحه آخرون.

(٢) سورة الجمعة - الآية ١٠.

(٣) سورة المائدة - الآية ٢.

وروي عن أنس، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ذلك الفضل المبتغى طلب العلم.

والذي يظهر لي أن في الآية حثاً على الصلاة، وترغيباً فيها، وأنه يكون بسببها تتيسر الأرزاق، وأن المعنى: وابتغوا من [فضل] الله تنالوه ميسراً بسبب الصلاة المتقدمة.

قيل: وقد جاء أن البركة بين أقدام المصلي، والله سبحانه وتعالى أعلم.

وقال عمرو بن دينار في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾[1]. قال: إن لم يكن فيها أحد فقل: «السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على أهل البيت ورحمة الله وبركاته». [قال ابن عباس: المراد بالبيوت هنا المساجد][2].

وقال النخعي: إذا لم يكن في المسجد أحد فقل: «السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وإذا لم يكن في البيت أحد فقل: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

---

(١) سورة النور ـ الآية ٦١.

(٢) قال القرطبي في تفسيره: بعد أن ذكر هذا الخبر كله عن عمرو بن دينار قال: إذا دخلت المسجد فقل: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.
وقيل: المراد بالبيوت: البيوت المسكونة؛ أي: فسلموا على أنفسكم؛ ويسلم المرء على نفسه بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.
قال ابن العربي: القول بالعموم في البيوت هو الصحيح، ولا دليل على التخصيص، وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه.
انظر: تفسير القرطبي ٣١٨/١٢، أحكام القرآن لابن العربي المعافري ١٣٩٦/٣ و١٣٩٧.

وعن علقمة: إذا دخلتُ المسجد أقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، صلى الله وملائكته على محمد»[١].

ونحوه عن كعب: إذا دخل[٢]، وإذا خرج، ولم يذكر الصلاة[٣].

واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله إذا دخل المسجد.

وروينا في كتاب» القربة «عن عقبة بن عامر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للمساجد أوتاداً جلساؤهم الملائكة إن غابوا فقدوهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن رأوهم ترحبوا بهم، وإن طلبوا حاجة أعانوهم، فإذا جلسوا حفت بهم الملائكة من لدن أقدامهم إلى عنان السماء، بأيديهم قراطيس الفضة، وأقلام من الذهب يكتبون الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، يقولون: اذكروا رحمكم الله، زيدوا زادكم الله، فإذا استفتحوا الذكر، فتحت أبواب السماء، واستجيب لهم الدعاء، واطلع عليهم الحور العين، ما لم يخوضوا في حديث غيره أو يتفرقوا، فإذا تفرقوا قام الزوار يلتمسون حلق الذكر»[٤].

---

(١) أي: أجمع بين الصلاة والسلام عليه صلى الله علية وآله وسلم.

(٢) أي إذا دخل المسجد، وإذا خرج منه.

(٣) أي: لم يذكر الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهي مستحبة أيضاً.

(٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن للمساجد أوتاداً الملائكة جلساؤهم، إن غابوا يفتقدوهم، وإن مرضوا عادوهم، وإن كانوا في حاجة أعانوهم، ثم قال: جليس المسجد على ثلاث خصال: أخر مستفاد، أو كلمة حكمة، أو رحمة منتظرة».

رواه الإمام أحمد بسنده عن ابن لهيعة، والحاكم في المستدرك من حديث عبد الله بن سلام، وقال: صحيح على شرطهما. انظر: الترغيب والترهيب للحافظ المنذري ١/ ٢٢٠.

ومن مواطن الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم التي مضى عليها عمل الأمة، ولم ينكروها، الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله، في الرسائل، وما يكتب عند البسملة:

قال القاضي أبو الفضل: ولم يكن هذا في الصدر الأول؛ وأحدث عند ولاية بني هاشم، فمضى به عمل الناس في أقطار الأرض[١].

ومنهم من يختم به أيضاً الكتب.

وقد تقدم قوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له ما دام اسمي في ذلك الكتاب»[٢].

فصل

ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم: تشهد الصلاة:

عن عبد الله بن مسعود، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إذا صلى أحدكم فليقل: «التحيات لله، والصلاة والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين؛ فإنكم إذا قلتموها أصابت كل عبد صالح في السماء والأرض»[٣].

---

(١) يعني بني العباس، واختلف في أول من كتبه؛ فقيل: السفاح عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وقيل: هارون الرشيد، وأورد عليه أن الكلاعي قال في كتاب الاكتفاء عن الواقدي بسنده أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كتب في ردة بني سليم إلى طريقة بن حاجر عامله، ما صورته: «بسم الله الرحمن الرحيم، من أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلى طريقة بن حاجر،،، سلام عليك فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو، وأسأله أن يصلي على محمد صلى الله تعالى عليه وسلم... إلخ»، فهذا يدل على أن أول من فعله الصديق، إلا أنه ترك ذلك في زمن بني أمية. وفي الأذكار مثله، وهو يدل على أنه سنة قديمة. ذكره الخفاجي في «نسيم الرياض» ٣/٤٦٦.

(٢) مر تخريجه.

(٣) رواه البخاري في صحيحه: ١/٢١١، والبيهقي ٢/١٣٨.

وقد روى مالك[١] عن ابن عمر أنه كان يقول ذلك إذا فرغ من تشهده، وأراد أن يسلم.

واستحب مالك في «المبسوط» أن يسلِّم بمثل ذلك قبل السلام[٢].

قال محمد بن مسلمة: أراد ما جاء عن عائشة وابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ أنهما كانا يقولان عند سلامهما[٣]: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته. السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. السلام عليكم».

واستحب أهل العلم أن ينوي [الإنسان] حين سلامه كلَّ عبد صالح في السماء والأرض من الملائكة وبني آدم والجن.

قال مالك في «المجموعة»[٤]: وأحب للمأموم إذا سلَّم إمامه أن يقول: «السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين. السلام عليكم»[٥].

---

(١) انظر: موطأ مالك ١/ ٩٠.

(٢) أي قبل السلام من صلاته، وهو فيما قيل: خلاف المشهور من مذهبه.

(٣) قوله «عند سلامهما»: أي قبل سلام الخروج من الصلاة.

(٤) قيل: أراد بها المدونة كما ذكره الخفاجي في نسيم الرياض ٣/ ٤٦٨.

(٥) ذكره القاضي عياض في «الشفا بتعريف حقوق المصطفى» ٢/ ٦٣٩ـ ٦٤٠.

الباب الخامس

في ذم من لم يصل عليه، وتفويق سهام اللائمة إليه

روينا في كتاب «القربة» لابن بشكوال قال: قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «[البخيل كل البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي][1]»[2].

قلت: وهذا أقبح بخل، وأسوأ شح، لم يبق بعده بخل إلا بكلمة الشهادة، أعاذنا الله من ذلك.

وهذا يقوي قول من قال بوجوب الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كلما ذكر كما تقدم، وهو الذي أميل إليه.

وفيه أيضاً: **عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «من ذكرت عنده فلم يصل علي خطيء طريق الجنة»[3].

---

(١) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط.

(٢) جيد: أخرجه الترمذي ٣٥٤٦، والنسائي في «السنن الكبرى» ٩٨٨٤، وابن السني في «عمل اليوم والليلة» ٣٨٤، والحاكم في «المستدرك» ١/ ٥٤٩، وابن حبان ٩٠٩، وإسماعيل القاضي ٣٥، والإمام أحمد في المسند ١/ ٢٠١، من حديث الحسين ابن علي، وإسناده جيد، صححه الحاكم، ووافقه الذهبي، وذكره ابن حجر في «الفتح ١١/ ١٦٨»، وقال: لا ينحط عن درجة الحسن، انتهى. وله شاهد مرسل أخرجه إسماعيل القاضي ٣٨ عن الحسن مرسلاً.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١٠/ ١٦٤ وقال: رواه الطبراني، وفيه بشير بن محمد الكندي، وهو ضعيف، انتهى. وله شاهد من حديث ابن عباس أخرجه ابن ماجه في =

وروينا في كتاب «الشفا» عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي، ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة»[1].

قلت: و«رغم» روايتان فيه؛ بالكسر. وذكر الجوهري فيه الفتح والكسر. يقال: رغَم أنف فلان بالفتح إذا لم يقدر على الانتصاف، ويقال: رغِم أنفي لله عز وجل: بالكسر والفتح، رُغْماً [ورَغْماً] ورِغْماً، والمُرَاغَم: المذهب والمهرب[2].

وفي حديث آخر؛ أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صعد المنبر فقال: آمين. ثم صعد فقال: آمين. [ثم صعد فقال: آمين.]؛ فسأله معاذ عن ذلك؟، فقال: إن جبريل أتاني فقال: يا محمد!! من سُمِّيت بين يديه فلم يصلِّ عليك فمات فدخل النار، فأبعده الله؛ قل: آمين؛ فقلت: آمين.

وقال فيمن أدرك رمضان فلم يقبل منه فمات مثل ذلك.

ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات مثله»[3].

= سننه ٩٠٨. وقال البوصيري في الزوائد: هذا إسناد ضعيف لضعف جبارة. وللحديث أيضاً شاهد مرسل أخرجه اسماعيل القاضي برقم ٤٢و٤٣و٤٤ من طرق عن محمد بن علي بن الحسين. وانظر: جلاء الأفهام ٤٧.

(١) صحيح: أخرجه الترمذي ٣٥٤٥، وابن حبان ٩٠٨، وإسماعيل القاضي ١٦، والإمام أحمد ٢/ ٢٥٤، من حديث أبي هريرة بإسناد صحيح، وللحديث شواهد، وأخرج مسلم عجزه من حديث أبي هريرة أيضاً.

(٢) الجوهري «الصِّحاح» مادة رغم ٥/ ١٩٣٤ و١٩٣٥.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك، وصححه. وله شاهد من حديث الصحابي الجليل مالك بن الحويرث قال: «صعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر، فلما رقى عتبته قال: آمين. ثم رقى عتبة أخرى، قال: آمين. ثم رقى عتبة ثالثة، وقال: آمين. ثم قال: «أتاني جبريل، وقال: يا محمد !! من أدرك رمضان فلم يغفر له فأبعده الله. قلت: آمين. ومن أدرك والديه أو أحدهما فدخل النار فأبعده الله. فقلت: آمين. فقال: ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فأبعده الله. قل: آمين. قلت: آمين». أخرجه ابن حبان ٤٠٩، والطبراني =

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو القاسم صلى الله عليه وآله وسلم: «أيما قوم جلسوا مجلساً ثم تفرقوا قبل أن يذكروا الله، ويصلوا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم كانت عليهم من الله ترة[1]، إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم»[2].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من نسي الصلاة علي نُسِّيَ طريق الجنة»[3].

وعن قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «من الجفاء أن أذكر عند الرجل فلا يصلي علي»[4].

= في الكبير ١٩/ ٢٩١، وابن عدي في «الكامل» ٦/ ٣٨١، من حديث مالك بن الحويرث وإسناده ضعيف، لضعف عمران بن أبان الواسطي كما في التقريب، وفيه مالك ابن الحسن قال الذهبي منكر الحديث لكن للحديث شواهد أخرى يتقوى بها.

(١) الترة لها معان: الظلم، والذنب، والنقص، والتبعة. وقد فسرت أيضاً بالحسرة، وقوله: إن شاء عذبهم، وإن شاء غفر لهم، يقتضي أنه بمعنى الذنب والخطيئة.
والترة في الأصل هي النقص، قال الله تعالى: ﴿وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾ ومعناها التبعة كما في شرح السنة.
وفي غريب المدونة أن بعض الفقهاء حرّفه وقرأه بالثاء المثلثة من «الثأر» بالهمزة، أي طلب الدم من القاتل، وأين هو منه لفظاً.
إذا علمت هذا؛ فيسن لمن أراد القيام من مجلس أن يقول: «لا إله إلا الله وصلى الله وسلم على رسوله» ليكون مكفراً لما في المجلس؛ على ما قاله الخفاجي. انظر: نسيم الرياض ٣/ ٤٩٧.

(٢) رواه أبو داود في سننه، والترمذي وحسنه، والحاكم وصححه، سنن أبي داود ٢/ ١٩١، وانظر ابن كثير ي تفسيره ٦/ ٤٦٠. وذكره القاضي عياض في «الشفا» ٢/ ٦٥٥.

(٣) رواه البيهقي في الشعب، وذكره عياض في الشفا ٢/ ٦٥٥.
- ففيه جعل الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كأنها دليل يرشده لطريق الجنة، أو مذكِّر يذكِّره بها.

(٤) ذكره السخاوي في «القول البديع» ص ٢٤١، عن قتادة مرسلاً، وقال: أخرجه النميري هكذا من وجهين من طريق عبد الرزاق، وهو في جامعه، ورواته ثقات، انتهى. والحديث مرسل يستدل به في الفضائل دون الأحكام كما قال الخفاجي.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما جلس قوم مجلساً ثم تفرقوا على غير صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم إلا تفرقوا على أنتن من ريح الجيفة»(١).

وعن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يجلس قوم مجلساً لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم إلا كانت عليهم حسرة وإن دخلوا الجنة لما يرون من الثواب»(٢).

وحكى أبو عيسى الترمذي: عن بعض أهل العلم؛ قال: إذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس أجزأ عنه ما كان في ذلك المجلس(٣).

صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيرا.

---

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» ٩٨٨٦، والطيالسي ١٧٥٦، من حديث جابر، وإسناده على شرط مسلم لكن فيه عنعنة أبي الزبير، وهو مدلس.
وله شاهد من حديث أبي هريرة: «ما جلس قوم مجلساً فلم يذكروا الله ولم يصلوا على نبيه صلى الله عليه وسلم إلا كان مجلسهم عليهم ترة ـ أي نقصاً ـ يوم القيامة، إن شاء عفا عنهم، وإن شاء أخذهم».
أخرجه أبو داود في سننه ٤٨٥٥، والترمذي ٣٣٨٠، والنسائي في السنن الكبرى ١٠٢٣٨، وابن حبان ٥٩٠، والحاكم ١/ ٤٩١.
وأخرجه أيضاً: إسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» صلى الله عليه وسلم ٥٤، وأبو نعيم في الحلية ٨/ ١٣٠، وغيرهم.

(٢) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من قوم يقعدون ثم يقومون لا يصلون علي النبي صلى الله عليه وسلم إلا كان عليهم يوم القيامة حسرة وإن دخلوا الجنة يرون الثواب» موقوف إسناده صحيح، أخرجه اسماعيل القاضي ٥٥.

(٣) أي كفت المرة عن تكريرها بقدر ما ذكر اسمه في ذلك المجلس، فهو سنة كفاية، أو فرض كفاية، وفي بعض الحواشي اختلفت الرواية فيه فعن صاحب المجتبى من الحنفية أنه يتكرر الوجوب بتكرر ذكره، وقيل: لا يتكرر كما لو تكررت آيات سجدة في مجلس فإنه يكفي فيها سجدة واحدة، وقيل: المراد بما كان في ذلك المجلس اللغط ونحوه، مما يحتاج للكفارة، ويؤيده ما ورد في الحديث: «من صلى علي مرة واحدة محا الله =

الباب السادس

في زيارة قبره عليه الصلاة والسلام
وما جاء في ذلك من الآداب المرتب عليها كثرة الأجر

اعلم أن زيارة نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم إن لم تكن من الواجبات؛ فهي عند الله تعالى من أَجَلِّ القربات، وأعلى الطاعات، والسبيل إلى أعلى الدرجات في أعلى الجنان، ومن اعتقد غير هذا فقد انخلع من ربقة الإسلام، وخالف الله تعالى ورسوله [عليه أفضل الصلاة والسلام]، وجماعة العلماء الأعلام، ومحكوم عليه بحكم الجهلة الطغام، لتنقيصه سيدَ الأنام، ومصباحَ الظلام، والشفيعَ المشفَّعَ في ذلك المقام صلى الله عليه وعلى آله الأتقياء الكرام.

وإنما كره مالك رحمه الله تعالى أن يقال: «زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم» لإضافة الزيارة إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم على الأصح من التأويلات، وأنه لو قال: «زرنا النبي صلى الله عليه وسلم» لم يكرهه، لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد بعدي، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»(١).

= عنه بها ذنوب ثمانين سنة» فيعلم منه ما ذكر بالطريق الأولى وكذا ورد عنه صلى الله عليه وسلم أن من قال إذا قام من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك. غفر الله له ما كان في مجلسه ذلك، فإذا انضم إلى ذلك الصلاة والسلام عليه صلى الله عليه وسلم حاز فضلاً عظيماً وكفر عنه ما صدر منه ومن أهل مجلسه. ذكره الخفاجي في «نسيم الرياض» ٣/٤٩٨.

(١) الحديث في موطأ الإمام مالك: ١٧٢، وقوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: =

....

= «مساجد» أي: يسجدون لها كما يسجدون للأوثان، لا كما يفهمه البعض من الجهلة وأشباه العلماء المعاندين للحق والذين أضلهم الله على علم، فضلوا وأضلوا، وكانوا مطية الشيطان لبني الإنسان في منع زيارته صلى الله عليه وسلم وقالوا: لا تقل زرت النبي أو سأزور قبر النبي وإنما قل: زرت المسجد النبوي أو سأزور المسجد النبوي، وهل شَرُفَ المسجد النبوي على غيره من المساجد إلا بسيد الوجود صلى الله عليه وسلم؟، وصارت الصلاة فيه بألف صلاة، وتزاحمت الأنوار والأسرار والبركات والفيوضات والإمدادات إلا ببركته صلى الله عليه وسلم؟، ولكن ماذا نقول لقوم طمس الله على قلوبهم وأعمى بصيرتهم فكانوا خطباء الفتنة، فاتهموا أحباب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمهور المسلمين بالشرك في قصدهم زيارة الحبيب الأعظم وقبره الشريف المنيف المكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ، وهم منه براء، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقد ذكر العلامة ابن حجر الهيتمي في «الجوهر المنظم» تنبيهاً مهماً، قال فيه رحمه الله تعالى ما نصه:

تنبيه هام: وأما تخيل بعض المحرومين أن منع الزيارة أو السفر إليها من باب المحافظة على التوحيد، وأن ذلك مما يؤدي إلى الشرك، فهو تخيل باطل دل على غباوة متخيله وخباله، لأن المؤدي لذلك هو اتخاذ القبور مساجد، والعكوف عليها، وتصوير الصور فيها ـ كما ورد في الأحاديث الصحيحة ـ بخلاف الزيارة، والسلام، والدعاء.

وكل عاقل يعلم الفرق بينهما ويتحقق أن النوع الثاني إذا فعل على المحافظة على آداب الشريعة الغراء لا يؤدي إلى محذور البتة. وأن القائل بمنع ذلك سداً للذريعة متقول على الله سبحانه وتعالى، وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وهنا أمران لا بد منهما؛

أحدهما: وجوب تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم، ورفع رتبته عن سائر الخلق.

والثاني: إفراد الربوبية واعتقاد أن الرب تبارك وتعالى منفرد بذاته وصفاته وأفعاله عن جميع خلقه.

فمن اعتقد في مخلوق مشاركة الباري سبحانه وتعالى في شيء من ذلك فقد أشرك، ومن قصر بالرسول صلى الله عليه وسلم عن شيء من مرتبته فقد عصى أو كفر، ومن بالغ في تعظيمه صلى الله عليه وآله وسلم بأنواع التعظيم ولم يبلغ به ما يختص بالباري سبحانه وتعالى، فقد أصاب الحق، وحافظ على جانب الربوبية والرسالة جميعاً. وذلك هو القول الذي لا إفراط فيه ولا تفريط.

فإن كنت قلت: كيف تحكي الإجماع السابق على مشروعية الزيارة والسفر إليها =

فحمى إضافة هذا اللفظ[1] إلى القبر، ....

= وطلبها، وابن تيمية من متأخري الحنابلة منكر لمشروعية ذلك كله، كما رواه السبكي في خطه وأطال ـ أعني ابن تيمية ـ في الاستدلال لذلك بما تمجه الأسماع وتنفر عنه الطباع، بل زعم حرمة السفر إليها إجماعاً، وأنه لا تقصد فيه الصلاة، وأن جميع الأحاديث الواردة فيها موضوعة، وتبعه بعض من تأخر عنه من أهل مذهبه!!.

قلت: من هو ابن تيمية حتى ينظر إليه؟ أو يعول في شيء من أمور الدين عليه؟ وهل هو إلا ـ كما قال جماعة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججه الكاسدة حتى أظهروا عوار سقطاته، وقبائح أوهامه وغلطاته كالعز بن جماعة ـ: عبد أضله الله تعالى وأغواه، وألبسه رداء الخزي وأرداه، وبوّء من قوة الافتراء والكذب ما أعقبه الهوان، وأوجب له الحرمان.

ولقد تصدى شيخ الإسلام وعالم الأنام المجمع على جلالته واجتهاده وصلاحه وإمامته، التقي السبكي ـ قدس الله روحه ونوّر ضريحه ـ للرد عليه في تصنيف مستقل أفاد فيه وأجاد، وأصاب، وأوضح بباهر حججه طريق الصواب، فشكر الله تعالى مسعاه، وأدام عليه شآبيب رضاه، آمين.

ومن عجائب الوجود ما تجاسر عليه بعض السذجاء من الحنابلة، فغبر في وجوه مخدراته الحسان التي لم يطمثهن إنس قبله ولا جان، وأتى بما دل على جهله وأظهر به عوراء غباوته، وعدم فضله، فليته إذا جهل استحيا من ربه، وعساه إذا أفرط وفرّط رجع إلى لبه، لكن إذا غلبت ـ والعياذ بالله ـ الشقاوة استحكمت الغباوة، فالعياذ بك اللهم من ذلك، وضراعة إليك يا رب ـ عزت قدرتك ـ في أن تديم لنا سلوك أوضح المسالك.

«الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم» تحقيق كاتب هذه السطور عفا الله عنه ـ ص ٥٨ وما بعدها

فلا تسمع يا أخي الحبيب المسلم إلى مقالة تلك العصابة، وتشرف بزيارة خير الأنام، واكرع من ذاك المنهل المورود، والفيض الممدود، وبحر الكرم والجود، وادع لأخيك بسام محمد بارود، وقل الحمد الذي عافنا مما ابتلى به الكثير من خلقه وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا، وقانا الله وإياك من الزلات، وهدانا إلى الخيرات والمبرات بجاه سيد الكائنات وحبيب رب البريات سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم، ومجد وعظم، ووالى عليه وأنعم، آمين، آمين، آمين، لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمين.

(١) أي لفظ الزيارة.

والتشبه بفعل أولئك[1]؛ قطعاً للذريعة وحسماً للباب، والله أعلم[2].

قال اسحق بن إبراهيم الفقيه: ومما لم يزل من شأن من حج المرور بالمدينة، والقصد إلى الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والتبرك برؤية روضته[3]، ومنبره، وقبره، ومجلسه[4]، وملامس يده[5]، ومواطيء قدميه، والعمود الذي كان يستند إليه، وينزل جبريل بالوحي فيه عليه[6]، وبمن عمره وقصده من الصحابة وأئمة المسلمين، والاعتبار بذلك كله.

وقال ابن أبي فُدَيك[7]: سمعت بعض من أدركت[8] يقول: بلغنا أنه من وقف عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتلا هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾

---

(١) أي: أولئك الكفرة؛ أو العامة الذين اتخذوا قبور الأنبياء مواطن للسجود يسجدون لها، لا مساجد يصلون فيها لله رب العالمين.

(٢) أي: الله أعلم بمراد الإمام مالك فيما قاله، وهذا كما قيل مما يتعجب منه؛ فإنه لا تشبيه فيه بوجه من الوجوه أصلاً بفعل أولئك؛ فالظاهر أنه لم يصح عنه.
ذكره الخفاجي في «نسيم الرياض» ٣/ ٥١٤.

(٣) وهي ما بين قبره الشريف ومنبره المنيف، وسميت بذلك لقوله صلى الله عليه آله وسلم: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة».

(٤) أي موضع جلوسه في الروضة الشريفة.

(٥) أي: المحال التي لمسها بيده الشريفة صلى الله عليه وسلم في سجوده فيها.

(٦) وكأن مراده أنه يقصد بالتبرك بمسجده الشريف صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأنه كان محلاً لما ذكر، رزقنا الله عز وجل الفوز بالوصول إلى السعادة العظمى بمشاهدة تلك المآثر والمشاهد بجاه نبينا سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٧) هو محمد بن اسماعيل بن مسلم بن أبي فديك «بضم الفاء ودال مهملة وياء تصغير وكاف» الإمام الثقة، روى عنه الستة، والإمام أحمد، وتوفي سنة مائتين من الهجرة، ذكره في الميزان.

(٨) أي من العلماء والصلحاء العارفين من أهل الله.

ثم قال: «صلى الله عليك يا محمد» من يقولها سبعين مرة؛ ناداه ملك: صلى الله عليك يا فلان؛ ولم تسقط له حاجة[١].

وروينا في كتاب «الشفا» قال القاضي عياض أبو الفضل رحمه الله تعالى: وزيارة قبره صلى الله عليه وآله وسلم سُنَّة من سنن المسلمين مجمع عليها، وفضيلة مرغَّب فيها[٢]:

---

(١) ذكره في «الشفا» ٢/ ٦٧٠ ط عيسى البابي الحلبي. وقوله: «لا تسقط له حاجة» أي: لا ترد ولا تخيب ببركة هذا الخبيب الأعظم والرسول الأفخم صلى الله عليه وسلم، وفقنا الله تعالى للعمل بذلك مرات عديدة وأعواماً مديدة إلى أن نلقى الله وهو عنا راض. وقد خص السبعين لأنها محل الإجابة، كما قال الله تعالى: ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وقد قيل على هذا إنه ينافي ما قالوه من أنه لا يجوز نداؤه باسمه صلى الله عليه وسلم يا أحمد، ويا محمد، في حياته وبعد مماته، لقوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ بل يقال: يا رسول الله!!، ونحوه تعظيماً، وكذا لا ينادى بكنيته، كأبي القاسم، فإن كان هذا مأثوراً عنه صلى الله عليه وسلم فيغتفر ابتاعاً للمأثور، ولتقديم تعظيمه هنا بقوله: صلى الله عليك. وفي الدر المنظم بعد ذكره إخراج البيهقي لما ذكر عن ابن أبي فديك ما نصه: «ولا دليل فيه لجواز ندائه صلى الله تعالى عليه وسلم باسمه، فقد صرح أئمتنا بحرمة ذلك، وظاهره أنه لا فرق بين أن يتقدمه له تعظيم له وأن لا، وهو ظاهر خلافاً لمن بحث تخصيصه بالثاني، وذلك لما في النداء بالاسم وإن تقدمه تعظيم كما هو جلي من ترك التعظيم، إذ مثله يقع من بعضنا لبعض، وما تقدمه لا نظر إليه لانقضائه. قال أئمتنا: وإنما ينادى بنحو: «يا نبي الله، يا رسول الله» فقول الزين المراغي رحمه الله تعالى: الأولى لمن عمل بالأثر أن يقول: يا رسول الله، وهم، بل الصواب أن ذلك واجب لا أولى، انتهى. «نسيم الرياض للخفاجي» ٣/ ٥١٦.

(٢) أي رغَّب السلف فيها، وحثوا عليها، وزيارة القبور إما ليتذكر بها الموت ويتعظ، وهذا يجري في جميعها، أو للدعاء لأهلها المسلمين، كما زار النبي صلى الله عليه وسلم البقيع؛ وهذا مستحب، أو للتبرك بمن فيها من الأنبياء والصالحين، فينتفع بزيارتهم؛ فذهب بعض المالكية إلى أنه مخصوص بالأنبياء وأنه في غيرهم بدعة، وأما في الأنبياء فهي مشروعة؛ وتوقف فيه السبكي.
واعلم أن زيارة القبور على أقسام ـ كما ذكر العلامة السبكي في «شفاء السقام» فقال رضي الله عنه: =

= القسم الأول: أن يكون لمجرد تذكر الموت والآخرة، وهذا يكفي في رؤية القبور من غير معرفة بأصحابها، ولا قصد أمر آخر من الاستغفار لهم، ولا من التبرك بهم، ولا من أداء حقوقهم، وهو مستحب لقوله صلى الله عليه وسلم: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة» وذلك أن الإنسان إذا شاهد القبر تذكر الموت، وما بعده، وفي ذلك عظة، واعتبار، وهذا المعنى ثابت في جميع القبور، ودلالة القبور على ذلك متساوية، كما أن المساجد غير المساجد الثلاثة متساوية، لا يتعين شيء منها بالتعيين بالنسبة إلى هذا الغرض.

القسم الثاني: زيارتها للدعاء لأهلها، كما ثبت من زيارة النبي صلى الله عليه وسلم لأهل البقيع، وهذا مستحب في حق كل ميت من المسلمين.

القسم الثالث: للتبرك بأهله إذا كانوا من أهل الصلاح والخير، وقد قال أبو محمد الشارمساحي المالكي: إن قصد الانتفاع بالميت بدعة إلا في زيارة قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم، وقبور المرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وهذا الذي استثناه من قبور الأنبياء والمرسلين صحيح، وأما حكمه في غيرهم بالبدعة ففيه نظر، ولا ضرورة بنا هنا إلى تحقيق الكلام فيه، لأن مقصودنا أن زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والمرسلين للتبرك بهم مشروعة وقد صرح به.

القسم الرابع: لأداء حقهم؛ فإن من كان له حق على الشخص فينبغي له بره في حياته، وبعد موته، والزيارة من جملة البر، لما فيها من الإكرام، ويشبه أن تكون زيارة النبي صلى الله عليه وسلم قبر أمه من هذا القبيل، كما روي عنه صلى الله عليه وسلم أنه زار قبر أمه فبكى وأبكى من حوله، فقال: استأذنت ربي في أن أستغفر لها فلم يؤذن لي، واستأذنته في أن أزور قبرها فأذن لي فزوروا القبور فإنها تذكر الموت رواه مسلم. ويدخل في هذا المعنى الزيارة رحمة للميت ورقة له وتأنيساً، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «آنس ما يكون الميت في قبره إذا زاره من كان يحبه في الدنيا».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه، ورد عليه السلام» ذكره جماعة. وقال القرطبي في التذكرة: أن عبد الحق صححه، ورويناه في الخلعيات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أيضاً. والآثار في انتفاع الموتى بزيارة الأحياء وما يصل إليهم منهم وإدراكهم لذلك لا تحصر.

إذا عرف هذا فنقول: ـ والقول للسبكي ـ: زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم ثبت فيها هذه المعاني الأربعة:

روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زار قبري وجبت له شفاعتي»[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زارني في المدينة محتسباً كان في جواري، وكنت له شفيعاً يوم القيامة»[2].

أما الأول: فظاهر.

وأما الثاني: فلأنا مأمورون بالدعاء له صلى الله عليه وسلم وإن كان هو غنياً بفضل الله تعالى عن دعائنا.

وأما الثالث والرابع: فلأنه لا أحد من الخلق أعظم بركة منه صلى الله عليه وسلم، ولا أوجب حقاً علينا منه صلى الله عليه وسلم، فالمعنى الذي في زيارة قبره لا يوجد في غيره، ولا يقوم مقامه، كما أن المسجد الحرام لا يقوم غيره مقامه، ومن ههنا شرع قصده بخصوصه، ويتعين بخلاف غيره من القبور، هذا لو لم يرد في زيارته دليل خاص، فكيف وقد ورد بخصوصه ما سبق وسيأتي من الأحاديث، وغيره لم يرد فيه إلا الأدلة العامة، فزيارة قبره صلى الله عليه وسلم مستحبة بعينها، لما ثبت فيها من الأدلة الخاصة، ولما فيها من المعاني العامة، التي لا تجتمع في غيره، وأما زيارة غيره فهي مستحبة بالإطلاق، ووردت فيها النصوص الدالة على استحباب زيارة القبور وحكاية الإجماع على ذلك، ومن الناس من قال بوجوبها.

انظر: شفاء السقام للإمام السبكي ١٠٩ و١١٠.

(١) أي سؤالي الله تعالى له أن يتجاوز عنه مكافأة له على زيارته للحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم، فانظر يا أخي إلى قطاع الطرق للوصول إلى الله ورسوله انظر إلى عظم الخسارة التي يجنيها من يستمع إلى قولهم بمنع زيارة قبره صلى الله عليه وسلم، لا حرمنا الله منها آمين. ومعنى وجبت: تحققت وثبتت؛ فهي ثابتة له بالوعد الصادق من النبي الصادق لا بد منها، وليس المراد به الوجوب الشرعي، وروي: «حلت له شفاعتي»، ويخصه النبي صلى الله عليه وسلم بشفاعة تناسب عظيم عمله، إما بزيادة النعيم، وإما بتخفيف الأهوال عنه في ذلك اليوم؛ وإما بكونه من الذين يحشرون بلا حساب؛ وإما برفع درجات في الجنة، وإما بزيادة شهود الحق والنظر إليه، وإما بغير ذلك مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، «نسيم الرياض - الخفاجي ٣/ ٥٦٤.رزقنا الله ذلك بمنه وفضله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن أحبنا وأحببناه، وقال: آمين.»

(٢) رواه العقيلي وغيره بلفظ: «من زارني متعمداً كان في جواري يوم القيامة» ورواه =

وفي حديث آخر: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي»[1].

وعن يزيد بن أبي سعيد المهري: قدمت على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، فلما ودّعته قال لي: إليك حاجة[2]؛ إذا أتيت المدينة سترى قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأقره مني السلام.

وقال غيره: وكان يبرد إليه البريد من الشام[3].

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «من زارني كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله يوم القيامة من الآمنين»[4].

وعن حاطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من زارني بعد موتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بعثه الله يوم القيامة من الآمنين»[5].

= البيهقي، ولفظه: «من زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة» ورواه أبو عوانة: «من زارني بالمدينة محتسباً كنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة».

(١) رواه البيهقي، والدارقطني، والطبراني، وسعيد بن منصور، وابن عساكر، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) أي: أقدم إليك حاجة أسألك قضاءها، وهي... إلخ.

(٣) قوله «يبرد»: أي يرسل، والبريد: الرسول الذي يكون مستعجلاً لتبليغ أمر الخلفاء ونحوهم، وقوله: «إليه» أي إلى الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم ليبلغه سلامه ويقرئه السلام، لا لقصد غير ذلك البتة، فهل سيدنا عمر بن عبد العزيز في عمله هذا مشرك أو مبتدع أو إلى آخر ما هنالك من ألفاظ ابتدعها الخوارج ومن خلفهم، عافانا الله من قالة السوء، والمسلمين وهدانا أجمعين إلى صدق المحبة لسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم ومن قال: آمين.

(٤) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده.

(٥) أخرجه الدارقطني وابن نافع، والبيهقي، وأبو بكر الدينوري في المجالسة، وابن الجوزي في «الموضوعات».

وقال ابن حبان: في سنده النعمان بن شبل وهو يأتي عن الثقات بالطامات، وقال الدارقطني: الطعن في هذا الحديث على ابن ابنه محمد بن مهر بن النعمان على النعمان. انظر: تخريج أحاديث الإحياء ـ ص ٦٦٥ الحديث رقم ٧٧٠.

وعن سالم عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من جاءني زائراً لم تنزعه حاجة إلا زيارتي كان حقاً علي أن أكون له شفيعاً يوم القيامة»(١).

وفي إحدى روايات الدارقطني: «من حج فزار قبري بعد وفاتي فكأنما زارني في حياتي، ومن مات بأحد الحرمين بعث من الآمنين يوم القيامة»(٢).

وفي حديث علي رضي الله عنه: «من لم يزر قبري فقد جفاني»(٣).

وفي حديث أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من زارني ميتاً فكأنما زارني حياً، ومن زار قبري وجبت له شفاعتي يوم القيامة، ومن مات من أمتي له سعة ثم لم يزرني فليس له عذر»(٤).

---

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: رواه الطبراني من حديث ابن عمر، وصححه ابن السكن، انتهى.
وروواه الدارقطني، والخلعي في «فوائده» بلفظ: «لم تنزعه حاجة إلا زيارتي» وتصحيح ابن السكن إياه وإيراده له في أثناء الصحاح له.
وكذا صححه عبد الحق في سكوته عنه، والسبكي في «رد مسألة الزيارة لابن تيمية» باعتبار مجموع الطرق، وقال أبو داود الطيالسي في مسنده: حدثنا سوار بن ميمون أبو الجراح المعبري قال: حدثني رجل من آل عمر عن عمر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من زارني لا يهمه إلا زيارتي كنت له شفيعاً أو شهيداً، ومن مات بأحد الحرمين بعثه الله من الآمنين».

(٢) أخرجه سعيد بن منصور عن ابن عمر مرفوعاً. «تخريج أحاديث الإحياء» ٦٦٥ الحديث رقم ٧٧٠.

(٣) ذكره في الإحياء بلفظ «منَ وجد سعة ولم يفد إلي فقد جفاني» ولم يخرجه العراقي بل أشار إلى ما أخرجه ابن النجار في تاريخ المدينة عن أنس بلفظ: «ما من أحد من أمتي له سعة ثم لم يزرني إلا وليس له عذر» ولابن عدي في الكامل، وابن حبان في الضعفاء، والدارقطني في العلل وغرائب مالك، وآخرين جميعاً عن ابن عمر رفعه: «من حج ولم يزرني فقد جفاني» ولا يصح، والله أعلم. انظر: كشف الخفاء للعجلوني ٢/ ٢٧٨ الحديث رقم ٢٦١٢.

(٤) انظر تخريج الحديث السابق.

وعن كعب الأحبار رضي الله عنه قال: ما من فجر يطلع إلا نزل سبعون ألفاً من الملائكة حتى يَحُفُّوا بالقبر يضربون بأجنحتهم، ويُصَلُّون على النبي صلى الله عليه وسلم، حتى إذا أمسوا عرجوا، وهبط مثلهم، فصنعوا مثل ذلك، حتى إذا انشقت الأرض يخرج في سبعين ألفاً من الملائكة يوقرونه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فصل

ينبغي لمن قصد زيارة النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يجتهد أولاً في إخلاص النية، وتصحيح العقيدة في ذلك لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما الأعمال بالنية وإنما لكل امرىء ما نوى»(١).

وليحرص على تحصيل رفيق موافق، رَفِقٍ، مرغِّب في الخير، كاره للشر، إن نسي ذكّره، وإن ذكر أعانه(٢)، جعلنا الله كذلك.

---

(١) رواه البخاري ١ / ٢، ٨ / ١٧٥، ومسلم في كتاب الإمارة ١٥٥، والنسائي ١/٥٨، والإمام أحمد ١/ ٢٥، وغيرهم، وهو حديث مشهور. والإخلاص شرط في جميع العبادات؛ فمن أتى بعبادة والباعث عليها غرض دنيوي بحيث لو فقد لتركها ليست بعبادة، وإنما هي معصية، موبقة لصاحبها، وإن بعث عليها باعث الدين والدنيا، فإن كان باعث الدنيا أقوى أو مساوياً فهي باطلة، وإن كان باعث الدين أقوى؛ فقد ذهب الحارث المحاسبي وجماعة إلى أنها باطلة، وذهب جماعة إلى أنها صحيحة والأول هو الذي يظهر لما روى أبو أمامة الباهلي قال: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: أرأيت رجلاً غزا يلتمس الأجر والذكر، ما له؟، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا شيء له»، فأعادها ثلاث مرات يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا شيء له»، ثم قال: «إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً وابتغي به وجهه» رواه النسائي في كتاب الجهاد ٦/ ٢٥ بلفظه.

(٢) وإن ضجر صبَّره، وإن عجز ساعده، وإن احتاج إليه واساه، حسن المداراة قليل المجادلة. أوصى سفيان الثوري رضي الله عنه رجلاً يريد الحج فقال له: لا تصحب من هو أكثر منك مالاً، فإنه إن ساويته في النفقة أضرَّ بك، وإن تفضل عليك استذلك.

ثم ينوي زيارته صلى الله عليه وآله وسلم، فإن من حج ولم يزره فقد جفاه، ولم يحسن فيما أتاه، لما تقدم من قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «من حج ولم يزرني فقد جفاني»(١).

قال صاحب «إتحاف الزائر»(٢): ويضيف إلى نيته القرب إلى الله عز وجل بالمسافرة إلى مسجده صلى الله عليه وآله وسلم بشد الرحال إليه؛ والصلاة فيه، لئلا يفوته ما دل عليه الحديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»(٣).

والحديث الآخر: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من ألف صلاة فيما سواه من المساجد»(٤).

---

(١) مر تخريجه.

(٢) إتحاف الزائر، للشيخ جمال الدين محمد بن أحمد المطري، المتوفى سنة إحدى وأربعين وسبعمائة. ذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» ١/٦.

(٣) رواه البخاري الفتح٣/٦٣، ومسلم ٢/١٠١٤، والإمام أحمد ٢/٢٣٤، و٢/٢٣٨و٢/٥٠١، وأبو داود ٢/٥٢٨، والنسائي ٢/٣٧، وابن ماجة ١/٤٥٢، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
ورواه أيضاً الشيخان البخاري ٣/٦٣، والإمام أحمد ٣/٣٤، ٤٥، ٥١والترمذي ٢/١٤٨ وقال: حسن صحيح، وابن ماجة ١/٤٥٢ عن أبي سعيد الخدري.
وابن ماجة عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. وانظر: تخريج أحاديث الزيارة للعلامة الشيخ محمود سعيد ممدوح فقد أفاد وأجاد في التخريج والرد على المخالفين جزاه الله خيراً.

(٤) رواه الإمام أحمد في المسند، وابن ماجة بسندهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما. ورمز السيوطي لصحته. «الجامع الصغير» ٢/٧٧ الحديث رقم ٥١٠٧.
وروى البزار عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: ودع رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقال له: أين تريد؟ قال: أريد بيت المقدس، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي أفضل من ألف صلاة في غيره إلا المسجد الحرام»، وأسنده يحي بزيادة تسمية الرجل فقال: عن الأرقم أنه تجهز يريد بيت المقدس. وأسنده ابن النجار عن الأرقم بلفظ: «إنني أريد الخروج إلى بيت المقدس».
ورواه الطبراني برجال ثقات عن الأرقم بلفظ: «صلاة ههنا خير من ألف صلاة ثم» انظر: وفاء الوفا ـ السمهودي ٢/٤١٦.

قال لنا شيخنا أبو عمرو رحمه الله تعالى: ولا يلزم من هذا خلل في زيارته على ما لا يخفى، والله أعلم.

ومعنى «لا تشد الرحال» أنه إذا نذر الصلاة في بقعة غير هذه المساجد الثلاثة لا يلزمه ـ أي: لا ينعقد نذره ـ فيجب عليه أن يشد إليه الرحال، ويقطع إلى قصدها المسافة بالرحال.

وقد تشد الرحال إلى المسجد الحرام فرضاً للحج والعمرة. وكانت تشد إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم للهجرة.

وكانت واجبة على الكفاية في قول أهل العلم(١).

فأما إلى البيت المقدس فإنها فضيلة واستحباب، والحديث يتأوّل على أنه: لا يعتكف إلا في هذه المساجد الثلاثة، فيرحل إليها إذا نذر الاعتكاف فيها، وهو قول بعض السلف، ولو عين الاعتكاف في غير هذه المساجد الثلاثة، هل يتعين أم لا؟. فيه خلاف، والله أعلم، انتهى كلامه.

---

(١) قال العلامة ابن حجر الهيتمي في «الجوهر المنظم» ما نصه: فإن قلت: كيف هذا التشنيع عليه مع ما استمسك به من قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» والشد للزيارة خارج عن هذه الثلاثة فليكن منهياً عنه !. قلت: ليس معنى الحديث ما فهم وإنما معناه: لا تشد الرحال إلى مسجد لأجل تعظيمه، والتقرب بالصلاة فيه إلا إلى المساجد الثلاثة لتعظيمها بالصلاة فيها. وهذا التقدير لا بد منه عند كل أحد ليكون الاستثناء متصلاً، ولأن شد الرحل إلى عرفة لقضاء النسك واجب إجماعاً، وكذا الجهاد، والهجرة من دار الكفر بشرطها، وهو لطلب العلم سنة، أو واجب، وقد أجمعوا على جواز شدها للتجارة، وحوائج الدنيا، فحوائج الآخرة لا سيما ما هو من آكدها وهو الزيارة للقبر الشريف أولى. ومما يدل أيضاً لتأويل الحديث بما ذكر؛ التصريح به في حديث سنده حسن وهو قوله صلى الله عليه وسلم: «لا ينبغي للمطي أن تشد رحالها إلى مسجد يبتغى فيه الصلاة غير المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى». «الجوهر المنظم» ص ٦١.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه منالمساجد إلا المسجد الحرام، ومنبري على ترعة من ترع الجنة»[1].

وعنه ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن منبري على حوضي وإن ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة»[2].

خرجه مسلم في صحيحه من طرق.

والاختلاف في تفضيل مكة على المدينة أو العكس مشهور، وليس هو هنا من غرضنا، قالوا: ولا خلاف أن البقعة التي ضمت أعضاء النبي صلى الله عليه وسلم أفضل البقاع على الإطلاق، حتى موضع الكعبة المعظمة.

وأقول أنا: وأفضل من بقاع السماوات أيضاً، ولم أر من تعرّض لذلك، والذي أعتقده أن ذلك لو عرض على علماء الأمة لم يختلفوا فيه، والله أعلم.

وقد جاء أن السماوات تشرف بمواطيء قدميه صلى الله عليه وسلم.

شعر:

ولو قيل للمجنون ليلى ووصلها   تريد أم الدنيا وما في طواياها
لقال: غبار من تراب نعالها   أحب إلى نفسي وأشفى لبلواها

بل لو قال قائل: إن جميع بقاع الأرض أفضل من بقاع السماء لشرفها بكون النبي صلى الله عليه وسلم حالاً فيها، لم يبعد، بل هو عندي الظاهر المعين، والله أعلم.

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح. ورمز السيوطي لصحته «الجامع الصغير» ٢/ ٥٦٧ الحديث رقم ٩١١٤.

(٢) حديث: «ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي» رواه مسلم في كتاب الحج باب ما بين القبر والمنبر رقم ١٣٩١، ٤/ ١٢٣. والبخاري في كتاب التهجد ـ فضل ما بين القبر والمنبر ٢/ ٦١، والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه، انظر: كنز العمال للمتقي الهندي ١٢/ ٢٣٧ الحديث رقم ٣٤٨٣٥.

فصل

وينبغي لمن قصد الزيارة أن يكثر من الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند توجهه، وإذا وقع بصره على معالم المدينة وأشجارها فليزد من الصلاة عليه والتسليم صلى الله عليه وسلم[(١)]، وليسأل الله سبحانه وتعالى أن ينفعه بزيارته، ويسعده بها في الدنيا والآخرة.

واستحب بعضهم أن يقول: «اللهم افتح لي أبواب رحمتك، وارزقني في زيارة نبيك ما رزقت أولياءك وأهل طاعتك، واغفر لي، وارحمني، يا خير مسؤول وأكرم مأمول».

فصل

قال بعض أهل العلم: يستحب الاغتسال لدخول المدينة[(٢)]، ولبس النظيف من الثياب[(٣)]، ثم إذا دخلها ينبغي أن يستحضر في قلبه شرف المدينة وفضلها، وأنها أشرف أمكنة الدنيا عند بعض العلماء بعد مكة، وعند بعضهم على الإطلاق.

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من سره أن يلقى الله راضياً ـ وفي رواية: وهو عنه راض ـ فليكثر من الصلاة علي» رواه الديلمي، فإذا كانت كثرة الصلاة غليه صلى الله عليه وسلم سبباً لنيل رضا الله تعالى، فهي سبب لرضاه، فمن أكثر الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم في طريقه، لم يلقه إلا وهو راض عنه، وكفى بذلك حاملاً للزائر على إكثار الصلاة عليه في طريقه، وإفراغ وسعه في ذلك، ليكون صلى الله عليه وسلم راضياً عنه، إذا وقف بين يديه، فيلحظه بعين رأفته ورحمته، ويشفع له في حصول طلبته، حقق الله لنا ذلك آمين.

(٢) كما قاله الإمام النووي رحمه الله تعالى في الإيضاح ٤٩٠، والمجموع شرح المهذب ٨/ ٢١٥، ويلبس أنظف ثيابه، ويتطيب كما سيأتي. وقال صاحب الطراز من المالكية: من آداب الزائر الغسل، ولباس أنظف الثياب. وقال أبو عبد الله السامري الحنبلي في باب الزيارة من المستوعب: وإذا قدم مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم استحب له أن يغتسل لدخولها. وقال الكرماني من الحنفية: فإن لم يغتسل خارج المدينة، فليغتسل بعد دخولها. «شرح اللباب ٣٣٦».

(٣) وأولاها الثياب البيض كالجمعة، إذ هو الأليق بالتواضع المطلوب، ولأن هذا اللبس =

قلت: وهو مذهب مالك رحمه الله تعالى، ومن تابعه، وأن الذي شرفت به المدينة هو خير البشر، وأفضل الخلائق أجمعين.

فليكن أول ما يقدم وإلى أن يرحل عنها مستشعراً لتعظيمه عليه الصلاة والسلام، ممتلىء القلب من هيبته، كأنه يشاهده ويراه، محضراً في قلبه رأفته بأمته، وشفقته على من آمن منهم، واهتمامه لما يصلحهم في الدارين، حتى تكون زيارته زيارة المحب المبجِّل للحبيب المعظم صلى الله عليه وسلم، وشرّف وكرّم.

فصل

فإذا أراد دخول المسجد فليقل: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك، أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم»[1].

= إنما طلب ليكون دخوله المسجد الشريف ووقوفه بين يدي نبيه صلى الله عليه وسلم على أكمل الأحوال. وفي حديث قيس بن عاصم رضي الله عنه أنه لما قدم مع وفده، أسرعوا بالدخول، وثبت هو، حتى أزال مهنته، وآثار سفره، ولبس ثيابه، وجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم على تؤدة، ووقار، فرضي صلى الله عليه وسلم له ذلك وأثنى عليه بقوله: «إن فيك لخصلتين يحبهما الله ورسوله، الحلم والأناة» رواه مسلم في صحيحه ـ كتاب الإيمان ـ باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم رقم ٢٥، عن ابن عباس رضي الله عنهما والخطاب: وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للأشج ـ أشج عبد القيس ـ: إن فيك خصلتين. والترمذي في كتاب البر ٢٠١٢.

(١) قال العلامة ابن حجر: ومما ينبغي للزائر أيضاً أنه إذا وصل حرم المدينة أن يقول: «اللهم هذا حرم رسولك محمد صلى الله عليه وسلم الذي حرّمته على لسانه، ودعاك أن تجعل فيه من الخير والبركة مثلَي ما هو في البيت الحرام، فحرّمني على النار، وآمنّي من عذابك يوم تبعث عبادك، وارزقني من بركته ما رزقته أولياءك، وأهل طاعتك، وارزقني فيه حسن الأدب، وفعل الخيرات، وترك المنكرات». وورد أيضاً: «أعوذ بالله العظيم، وبوجهه ـ أي ذاته ـ الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، بسم الله، والحمد لله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ما شاء اله، لا قوة إلا =

ثم يقصد الروضة المعظمة؛ فيصلي فيها ركعتين تحية المسجد، إلى جانب المنبر(١).

وفي كتاب «الإحياء»: أن الواقف يجعل عمود المنبر حذوَ منكبيه، ويستقبل السارية التي إلى جانبها الصندوق، فذلك موقف رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، ثم يشكر الله تعالى على هذه النعمة، ويسأله إتمام ما قصد له.

ثم يأتي الضريح المقدس؛ فيستدبر القبلة، ويستقبل جداره على نحو ثلاثة أذرع من السارية التي رأس القبر في زاوية جداره(٢).

= بالله، اللهم صلى على محمد، وآل محمد، وصحبه وسلم، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك.

وزاد بعضهم: «رب وفقني وسددني، وأصلحني، وأعنّي على ما يرضيك عني، ومنَّ عليّ بحسن الأدب في هذه الحضرة الشريفة، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعليعباد الله الصالحين».

(١) وإنما قدمت التحية على زيارته صلى الله عليه وسلم لما رواه مالك عن جابر رضي الله عنه قال: قدمت من سفر فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بفناء المسجد، فقال: «أدخلت المسجد وصليت فيه؟ قلت: لا. قال: فاذهب فادخل المسجد، صل فيه، ثم ائت سلم علي».

(٢) وهو مذهب جمهور العلماء، وشذ آخرون لا عبرة بهم، ولا يقتدى بأفعالهم، ودليل الجمهور: أنه صلى الله عليه وسلم حي في قبره، يعلم بزائريه، وهو صلى الله عليه وسلم لو كان حياً لم يسع زائريه إلا استقباله، واستدبار القبلة، وإذا اتفقنا في المدرس من العلماء بالمسجد الحرام، المستقبل، على أن طلبته يستقبلونه، ويستدبرون الكعبة، فما بالك به صلى الله عليه وسلم؟ فهو أولى بذلك قطعاً، ومناظرة الإمام مالك للمنصور رحمهما الله تعالى شاهد على ذلك، حين قال له الإمام: ولِمَ تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم إلى الله يوم القيامة؟. وصح عن السلف أنهم كانوا يقفون على باب البيت يسلمون أي لتعذر استقبال الوجه الشريف حينئذ، ثم لما دخلت حجر أزواجه صلى الله عليه وسلم في المسجد اتسع ما أمام الوجه الكريم فوقفوا فيه مستقبلين له صلى الله عليه وسلم مستدبرين القبلة، وهذا شاهد صدق لما مر عن الجمهور، وإذا سنَّ استدبار القبلة في الخطبة لأجل السامعين، فلأجله صلى الله عليه وسلم أولى وأحرى. رزقنا الله حسن الأدب مع حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم =

وعن ابن أبي مليكة أنه كان يقول: من أحب أن يقوم وجاه النبي صلى الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على رأسه، واستدبار القبلة ههنا هو المستحب، كما في نظائر له كاستدبارها في القيام لخطبة الجمعة وسائر الخطب المشروعة.

ومناظرة الإمام مالك بن أنس رضي الله عنه أبا جعفر المنصور مشهورة، وقول المنصور: يا أبا عبد الله!! أأستقبل القبلة وأدعو، أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟. فقال له مالك: ولم تصرف وجهك عنه وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى يوم القيامة[1].

قال صاحب «إتحاف الزائر»[2]: وعن بعض مشايخ مكة وعلماء وقته بها: أن الزائر المسلِّم يأتي القبر من ناحية قبلته، ويقف محاذاة أربعة أذرع من رأس القبر، ويجعل القنديل على رأسه ناظراً إلى أسفل ما يستقبل من

= وعافانا مما ابتلى به كثيراً ممن خلق، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلا، فحذار يا أخي المحب من سوء الأدب في تلك الحضرة الشريفة فتحجب عنك الأنوار كما هو مجرب ومشاهد في وجوه المحرومين الذين قست قلوبهم وأظلمت بسبب سوء أدبهم مع هذا الحبيب وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا، نسأل الله السلامة والعافية آمين.

(١) **قال العلامة شيخ الإسلام ابن حجر الهيتمي في «الجوهر المنظم»**: وإنكار ابن تيمية لهذه الحكاية عن مالك حتى لا يرد عليه إنكاره التوسل والتشفع به صلى الله عليه وسلم ـ من خرافاته، وتهوراته، كيف وقد جاءت عنه بالسند الصحيح الذي لا مطعن فيه!!؟، ولمالك قول؛ أنه لا يقف أمام الوجه الشريف للدعاء، بل للسلام فقط، وجمع بين قوليه بأن الأول ممن يعرف آداب الدعاء وشروطه، ومحظوراته. والثاني في الجاهل بذلك لأنه يخشى منه أن يأتي في حضرته ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ المعظمة بما لا ينبغي.» الجوهر المنظم «ص ١٥٨. **وقال العلامة العسقلاني في «المواهب اللدنية»**: وإنكار من ينكر هذه الحكاية تهور عجيب منه، كيف وقد رواها أبو الحسن علي بن فهر في كتاب «فضائل مالك» بإسناد لا بأس به، وأخرجها القاضي عياض عن شيوخ عدة من ثقات مشايخه، فمن أين يأتيها الكذب وليس في إسنادها كذاب ولا وضّاع، ولا متهم؟!. «المواهب اللدنية ٤/ ٥٨٠».

(٢) أي الإمام المطري، وقد مر التعريف بالكتاب.

جدار القبر، غاضّ الطرف في مقام الهيبة والإجلال، ثم يسلِّم، ولا يرفع صوته، بل يقتصر فيقول:

السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا نبي الله، السلام عليك يا خيرة الله من خلقه، السلام عليك يا حبيب الله، السلام عليك يا صفوة الله، السلام عليك يا سيد المرسلين، وخاتم النبيين، السلام عليك يا قائد الغر المحجلين، السلام عليك وعلى أهل بيتك الطاهرين، السلام عليك وعلى أزواجك الطاهرات أمهات المؤمنين، السلام عليك وعلى أصحابك أجمعين، السلام عليك وعلى سائر الأنبياء والمرسلين، وسائر عباد الله الصالحين، جزاك الله عنا يا رسول الله أفضل ما جزى نبياً ورسولاً عن أمته، وصلى الله عليك كلما ذكرك الذاكرون، وغفل عن ذكرك الغافلون، وصلى الله عليك في الأولين والآخرين، أفضل وأكمل وأطيب ما صلى على أحد من الخلق أجمعين، وأنقذنا بك من الضلالة، وبصرنا بك من العماية والجهالة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، وأمينه، وخيرته من خلقه، وأشهد أنك بلّغت الرسالة، وأدّيت الأمانة، ونصحت الأمة، وجاهدت في سبيل الله حق جهاده، اللهم آته نهاية ما ينبغي أن يسأل السائلون، وخصه بالمقام المحمود، والوسيلة، والفضيلة، والدرجة الرفيعة، وبغاية ما ينبغي أن يؤتاه الآملون، آمين، آمين، آمين.

ومن ضاق وقته عن قول ذلك، أو لم يحفظه، فليقل ما تيسر منه.

قلت: والذي كان عليه السلف الأول الاختصار والإيجاز في هذا جداً، كابن عمر وغيره.

وعن مالك إمام دار الهجرة ـ وناهيك به خبرة بهذا الشان ـ أنه قال في رواية ابن وهب عنه يقول: «السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته.

وعن ابن عمر أنه كان إذا قدم من سفر، دخل المسجد، ثم [أتى] القبر فقال: «السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أبتاه»[(١)].

ويستحب أن يقرأ هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[(٢)]، ثم يقول: «صلى الله عليك يا محمد - سبعين مرة - كما تقدم[(٣)].

ثم إن كان قد أوصاه أحد بإبلاغ صلاته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فليقل: «السلام عليك يا رسول الله من فلان بن فلان» أو نحو هذا من القول.

ثم يتأخر عن يمينه قدر ذراع للسلام على أبي بكر - رضي الله عنه - لأن رأسه تحت منكب النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول:

---

(١) اختلف العلماء رحمهم الله تعالى هل التطويل أولى كما ذكروا، أو الإيجاز والاختصار؟ قال ابن عساكر: والذي بلغنا عن ابن عمر رضي الله عنهما وغيره من السلف الأولين، الثاني، انتهى. ومال إليه المحب الطبري حيث قال: وإن قال الزائر ما مر من التطويل فلا بأس به، إلا أن الاتباع أولى من الابتداع، واستدل بقول الحليمي: لولا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تطروني» لوجدنا فيما نثني عليه ما تكل به الألسن عن بلوغ مداه، لكن اجتناب منهيه صلى الله عليه وسلم خصوصاً بحضرته، أولى، فليعدل عن التوسع في ذلك إلى الدعاء له، والصلاة والسلام عليه، انتهى. وأنت خبير بأن المنهي عنه ليس مطلق الإطراء، بل إطراء مشابه لإطراء النصارى لعيسى من دعوى الألوهية، ونحوها، والأولى ما قاله النووي وغيره تبعاً لأكثر العلماء من التطويل.

نعم هنا تفصيل لا بد منه: فهو الأولى وهو أن القلب ما دام حاضراً مستحضراً لما من الهيبة والجلال، صادق الاستمداد والذلة والانكسار فالتطويل أولى، ومتى فقد ذلك، فالإسراع أولى والله أعلم.

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٥٦.

(٣) وقد مر تفصيل القول في هذا.

«السلام عليك يا أبا بكر صفي رسول الله، وثانيه في الغار، جزاك الله عن أمة رسوله خيراً، ولقّاك في الآخرة منّاً وبِرّاً».

ثم يتأخر عن صوب يمينه قدر ذراع للسلام على عمر رضي الله عنه، فإن رأسه حذو منكب أبي بكر رضي الله عنهما وعن الصحابة أجمعين؛ فيقول:

«السلام عليك يا عمر الذي أعز الله بك الإسلام، جزاك الله عن أمة نبيه خيراً [ورضي عنك وأرضاك]».

ثم يرجع إلى موقفه الأول قبالة وجه سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ويتوسل به إلى الله تعالى في حوائجه، ويستشفع به إليه، ويجدد التوبة، ويسأل الله تعالى أن يجعلها توبة نصوحاً، ويكثر الاستغفار، ويديم التضرع والاستشفاع به إلى الله سبحانه وتعالى، ويدعو لوالديه، وإخوانه، وللمسلمين أجمعين.

وقيل: من أحسن ما يقول؛ قول الأعرابي الذي حكاه جماعة عن العتبي ـ واسمه محمد بن عبد الله ـ قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فجاء أعرابي، فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴿٦٤﴾﴾[1]. وقد جئت مستغفراً من ذنوبي، مستشفعاً بك إلى ربي، ثم أنشأ يقول:

يا خير من دفنت في الترب أعظمه	فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه	فيه العفاف وفيه الجود والكرم

---

(١) سورة النساء ـ الآية ٦٤.

[قال: ثم استغفر وانصرف] فحملتني عيناي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال لي: يا عتبي!! إلحق الأعرابي، وبشره أن الله تعالى قد غفر له ذنوبه(١).

---

(١) ذكرها في الإيضاح ٤٩٨ ـ ٤٩٩، والمجموع شرح المهذب ٨/٢١٧، والمغني لابن قدامة ٣/٥٥٧، وتفسير القرآن العظيم لابن كثير ٢/٣٠٦، وحكى ذلك جماعة منهم الإمام أبو نصر بن الصباغ في «الشامل» الحكاية المشهورة عن العتبي، واسمه محمد بن عبيد الله بن عمرو ابن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب، وتوفي سنة ثمان وعشرين ومائتين، وذكرها ابن النجار، وابن عساكر، وابن الجوزي في «مثير العزم الساكن» عن محمد بن حرب الهلالي، وذكرها العلامة القسطلاني في «المواهب اللدنية» ٤/٥٨٣. وقد ذكروا هم وغيرهم هذه القصة على سبيل الاستحسان لم يطعنوا فيها، وهم أهل الرواية والدراية. وقد نظم أبو الطيب أحمد بن عبد العزيز بن محمد المقدسي رحمه الله تعالى، وقد سأله بعضهم الزيادة على هذين البيتين، وتضمينهما فقال: ـ ورواها ابن عساكر رحمه الله تعالى:

أقول والدمع من عيني منسجم ... لما رأيت جدار القبر يستلم
والناس يغشونه باك ومنقطع ... من المهابة أو داع فملتزم
فما تمالكت أن ناديت من حرق ... في الصدر كادت لها الأحشاء تضطرم
يا خير من دفنت بالقاع أعظمه ... فطاب من طيبهن القاع والأكم
نفسي الفداء لقبر أنت ساكنه ... فيه العفاف وفيه الجود والكرم
وفيه شمس التقى والدين قد غربت ... من بعد ما أشرقت من نورها الظلم
حاشا لوجهك أن يبلى وقد هديت ... في الشرق والغرب من أنواره الأمم
وأن تمسّك أيدي الترب لامسة ... وأنت بين السموات العلى علم
لقيت ربك والإسلام صارمه ... ماضٍ وقد كان بحر الكفر يلتطم
فقمت فيه مقام المرسلين إلى ... أن عزّ فهو على الأديان يحتكم
لئن رأيناه قبراً إن باطنه ... لروضة من رياض الخلد تبتسم
طافت به من نواحيه ملائكة ... تغشاه في كل ما يوم وتزدحم
لو كنت أبصرته حياً لقلت له ... لا تمش إلا على خدي لك القدم
هدى به الله قوماً قال قائلهم ... ببطن يثرب لما ضمه الرجم
إن مات أحمد فالرحمن خالقه ... حي ونعبده ما أورق السلم

قال الجوهري رحمه الله تعالى: «الرَّجَم» بالتحريك: القبر.

وقال العز بن جماعة في هداية السالك بعد سرده للقصة: «ولله در هذا الأعرابي حيث =

ثم يتقدم إلى رأس القبر المقدّس، ويقف بينه بين الأسطوانة التي هناك، ويستقبل القبلة، ويحمد الله سبحانه وتعالى، ويمجده، وحسن أن يقول:

«الحمد لله حمداً يوافي نعمه ويكافيء مزيده، سبحانك اللهم لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى»[1].

وليكثر من الصلاة والتسليم على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فإنه يسمعه، ويرد عليه، لما روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من صلى علي عند قبري سمعته، ومن صلى علي نائياً بُلِّغتُه»[2].

= استنبط من الآية الكريمة المجيء إلى زيارته صلى الله عليه وآله وسلم بعد موته مستغفراً، فإن ذلك أظهر في قصد التعظيم، وصدق الإيمان، واستغفار الرسول صلى الله عليه وسلم بعد الموت حاصل لأنه الشفيع الأكبر يوم القيامة، والوسيلة العظمى في طلب الغفران، ورفع الدرجات من بين سائر ولد آدم، والمجيء إليه صلى الله عليه وسلم بعد موته تجديد لتأكيد التوسل به إلى الله سبحانه وتعالى وقت الحاجة، وشتان بين هذا الأعرابي وبين من أضله الله فحرّم السفر إلى زيارته صلى الله عليه وسلم، وهو من أعظم القربات كما قدمناه»، انتهى من «هداية السالك» ٣/ ١٣٨٤، تحقق أستاذنا العلامة الشيخ نور الدين العتر حفظه الله تعالى وكثر من أمثاله بين المسلمين آمين.

(١) قال بعض العلماء: يقول الزائر بعد السلام والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم: اللهم إنك قلت وقولك الحق: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ اللهم إنا قد سمعنا قولك، وأطعنا أمرك، وقصدنا نبيك هذا صلى الله عليه وسلم، مستشفعين به إليك من ذنوبنا، وما أثقل ظهورنا من أوزارنا، تائبين إليك من زللنا، معترفين بخطايانا وتقصيرنا، اللهم فتب علينا، وشفّع نبيك هذا صلى الله عليه وسلم فينا، وارفعنا بمنزلته عندك وحقه عليك، اللهم اغفر للمهاجرين والأنصار ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم ذكره في هداية السالك ٤/ ١٣٨٤.

(٢) قال الحافظ ابن حجر في «الفتح» أخرجه أبو الشيخ في كتاب «الثواب» له، بسند جيد، والبيهقي في «حياة الأنبياء» وابن أبي شيبة، والتيمي في «ترغيبه»، والسخاوي في «القول البديع» ١٤٠.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من صلى علي عند قبري وكل الله عز وجل بها ملكاً يبلغني، وكفي أمر دنياه وآخرته وكنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة»(١).

وعن سليمان بن حكيم قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم؛ فقلت: يا رسول الله!! هؤلاء الذين يأتونك ويسلّمون عليك، أتعلم سلامهم؟، قال: نعم، وأرد عليهم.

فصل

وليس من السنة أن يمس جدار القبر، ولا أن يقبلّه، ولا أن يطوف به، كما يفعله جهلة الزوار، بل ذلك مكروه، وبدعة قبيحة شنيعة لا تجوز، والوقوف من البعد أليق بالاحترام.

وينهى بعض أهل العلم عن إلصاق الظهر والبطن بجدار القبر مع مسحه باليد، وذكر أن ذلك من البدع، وكذلك الانحناء للقبر المقدس عند التسليم فإنه بدعة يظن من لا علم له أنه من شعائر التعظيم(٢).

---

(١) أخرجه الخطيب في تاريخه ٣/ ٢٩١ ـ ٢٩٢، واللفظ له، والبيهقي في «الشعب» ١٥٨٣، والعقيلي في الضعفاء ٤/ ١٣٦ ـ ١٣٧، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفي إسناده محمد بن مروان السدي متهم بالكذب. قال العقيلي: لا أصل له من حديث الأعمش، وليس بمحفوظ ولا يتابعه إلا من هو دونه، انتهى. وذكره ابن الجوزي في الموضوعات ١/ ٣٠٣ وقال: لا يصح محمد بن مروان هو السدي الصغير، كذاب. وذكره أيضاً السيوطي في اللآليء ١/ ٢٨٣، وقال: أخرجه البيهقي في الشعب، وأخرج له شواهد واهية جداً لا حجة فيها. وانظر «القول البديع» للسخاوي ص ١٤٩.

(٢) قال شيخ الإسلام ابن حجر: وروي عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه رأى رجلاً وضع يده على القبر المكرم فنهاه، وقال: ما كان نعرف هذا ـ أي: الدنو منه إلى هذا الحد ـ وعلم مما تقرر كراهة مس مشاهد الأولياء وتقبيلها، نعم إن غلبه وجد أو حال فلا كراهة، انتهى. وحديث أبي أيوب أن مروان أقبل فرآه ملتزم القبر المكرم، فأخذ مروان برقبته، ثم قال: هل تدري ماذا تصنع؟ فأقبل عليه فقال: نعم !! إني لم آت الحجر ولا اللبن، إنما جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله، ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله، انتهى. قال العلامة ابن حجر بعد هذه =

قلت: ومما ابتدعه العوام أكل التمر بين القبر والمنبر؛ فقد نص العلماء على أنه بدعة شنيعة قبيحة، وذلك من وجوه:

أحدها: الاشتغال بالأكل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم عن الصلاة عليه والتسليم، وتضييع ذلك الزمان العزيز فيما لا ينفع، ولعله لا يدرك مثله في بقية عمره.

الثاني: تزبيل المسجد النبوي وقد جاء: يؤذي المسجد ما يؤذي العين.

الثالث: أن فيه ترك الأدب بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، والتشاغل بالنهمة عن تذكر النعمة، وإهمال شكرها في ذلك الوقت الشريف الذي هو أقصى غاية مراد كثير من الناس، إذ يوهم العوام أن ذلك سنة لمن زار النبي صلى لله عليه وسلم، ولقد رأيتهم ينكرون على من ينكر عليهم ذلك، ويعتقدون أنه الأولى والأحسن جهالة وعمى بصيرة، وكذلك بلغني أنهم يقطعون شعورهم ويرمونها في القنديل الذهب الذي في الحجرة المكرمة، وذلك من البدع التي لا أصل لها، رزقنا الله حسن الاتباع، وجنبنا الابتداع، بمنه وكرمه[1].

= القصة: وفيه إشارة واضحة إلى عذره وهو أنه لم يقصد مجرد التزام حجارة القبر، ولا لبنه، وإنما قصد غير ذلك، لأنه صلى الله عليه وآله وسلم حي مكرم في قبره الشريف فكان ذلك كالتزامه. وقد تغلب المحبة والشوق على بعض الناس فترفع الحجب عن نظره، ويصير كالمشاهد لوجهه المكرم ـ صلى الله عليه وسلم ـ المماس لحبيبه، حتى يخرجه ذلك عن قياس العادات إلى حقائق المنازلات، أذاقنا الله سبحانه وتعالى ذلك والمحسنين إلينا، وذرارينا، بمنّه وجوده، وكرمه، آمين. «الجوهر المنظم» صفحة ١٨٢ ـ ١٨٣.

(١) وقد زالت بفضل الله تعالى كل هذه البدع والمنكرات التي ما كان يفعلها إلا عوام الناس والجهلة من طلبة العلم، رزقنا الله حسن الأدب مع حبيبه الأعظم صلى الله عليه وسلم.

فصل

وفي كتاب أحمد بن سعيد الهندي[1] - فيمن وقف بالقبر: لا يلصق به ولا يمسه[2]، ولا يقف عنده طويلاً.

قلت: ولا ينبغي لأحد رفع صوته بمسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[3].

قال القاضي أبو الفضل: والعلماء كلهم متفقون على أن حكم سائر المساجد هذا الحكم[4].

قال محمد بن مسلمة: ويكره في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الجهر على المصلين بما يخلط عليهم صلاتهم[5].

قلت: حتى بالعلم كرهه مالك.

مسألة: إذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقد تعارض هنا مندوبان؛

أحدهما: مبادرة تحية المسجد.

---

(١) عالم الأندلس، توفي سنة تسع وتسعين وثلاثمائة من الهجرة.

(٢) قال في نسيم الرياض: فيكره مسه وتقبيله، وإلصاق صدره، لأنه ترك أدب، وكذا كل ضريح يكره فيه ذلك، وهذا أمر غير مجمع عليه، ولذا قال الإمام أحمد والطبري: لا بأس بتقبيله، والتزامه، وروي أن أبا أيوب الأنصاري كان يلتزم القبر الشريف، قيل: وهذا لغير من لم يغلبه الشوق والمحبة، وهو كلام حسن، انتهى. «نسيم الرياض» ٣/ ٥٢٤.

(٣) عن الإمام مالك رحمه الله تعالى: سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتاً في المسجد فدعا بصاحبه، فقال: من أنت؟، قال: رجل من ثقيف. قال: لو كنت من هاتين القريتين - يعني مكة والمدينة - لأدّبتك، إن مسجدنا لا يرفع فيه الصوت.

(٤) انظر الشفا للقاضي عياض ٢/ ٦٨٠.

(٥) أي يشوش عليهم صلواتهم.

والثاني: السلام على النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأيهما يبدأ به؟. وقد وسع له مالك أن يبدأ بالسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قبل الركوع[1].

وقال في القبلية يبدأ بالصلاة قبل السلام. واستحبه ابن القاسم؛ فإن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم لا يفوت بتحية المسجد؛ فإنه يصلي الركعتين ثم يسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، فغاية ما فاته المبادرة، وذلك خفيف، ولأن من جملة إكرام النبي صلى الله عليه وسلم كما في السلام عليه صلى الله عليه وسلم.

قال مالك في كتاب محمد[2]: «ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل وخرج[3] ـ يعني في المدينة ـ وفيما [بين ذلك][4]».

وقال [محمد]: وإذا خرج [جعل] آخر[5] عهده الوقوف بالقبر، وكذلك من خرج مسافراً.

قلت: وليكن وقوفه بالقبر على غاية التواضع والخشوع، فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، ويثني عليه بما يحضره، فإنه عليه الصلاة والسلام يسمع أقواله، ويرى أفعاله، لا ينكر ذلك إلا جاهل

---

(١) وقال العلامة ابن حجر الهيتمي في «الجوهر المنظم» بعد سوقه حديث جابر المار ذكره: «بل الأكمل البداءة بالتحية مطلقاً، وعند المرور أمام الوجه الشريف، ينبغي أن يقف وقفة لطيفة ويسلم، ثم يتنحى، ويصلي، ثم يأتي للزيارة الكاملة» انظر: الجوهر المنظم ص ١٤٢ و١٤٣.

(٢) يعني واحداً من أصحابه، قال القاري: ولعله محمد بن الحسن، من أصحاب أبي حنيفة، فإنه روى عنه الموطأ.

انظر: شرح ملا علي القاري ـ على هامش نسيم الرياض ٣/ ٥٢٠.

(٣) قوله إذا دخل وخرج، أي دخل مسجد المدينة وخرج منه بالفعل؛ لا عند إرادة ذلك.

(٤) أي في أيام إقامته بالمدينة، وحين لا يدخل المسجد، ويسلم عليه صلى الله عليه وسلم كلما دخل وخرج فيه.

(٥) أي: أراد الزائر أن يخرج من المدينة.

بقدر النبي صلى الله عليه وسلم، ويقول إذا دخل مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم: «بسم الله، والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، السلام علينا من ربنا، وصلى الله وملائكته على محمد، اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك وجنتك، واحفظني من الشيطان الرجيم».

ثم اقصد الروضة؛ وهي ما بين القبر والمنبر، وصل فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر، ـ على ما تقدم بحمد الله تعالى ـ وتسأله تمام ما خرجت إليه، والقوة عليه، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على ترعة من ترع الجنة»[1].

قيل: يحتمل أن يكون منبره المعهود[2].

ويحتمل: أن ينصب له منبر على ترعة من ترع الجنة غير منبره المعهود.

وقد قيل: أن قصد منبره، والحضور عنده لملازمة الأعمال الصالحة، يورد الحوض، ويوجب الشرب منه.

قال [الداودي]: وقوله عليه الصلاة والسلام: «روضة من رياض الجنة» يحتمل أن تكون البقعة نفسها، تنتقل فتصير من رياض الجنة[3].

---

(١) حديث: «ما بين قبري ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي». أخرجه الإمام البخاري في كتاب التهجد، فضل ما بين القبر والمنبر، ٢/ ٦١، والإمام مسلم في صحيحه: ٤/ ١٢٣. وقوله صلى الله عليه وسلم: «منبري على ترعة من ترع الجنة». أخرجه الإمام أحمد في مسنده، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح.

(٢) الذي كان يخطب عليه صلى الله عليه وسلم في الدنيا.

(٣) قال ابن حجر: إن معنى قوله: «روضة» أنه كروضة من رياض الجنة في نزول الرحمة، وحصول السعادة لمن يلازم حق ذكرها، لا سيما في عهده صلى الله عليه وسلم، فهو تشبيه بليغ ومعناه: أن العبادة فيه تؤدي إلى الجنة.

ويحتمل أن يكون المعنى: أن زيارتها والكون فيها، والصلاة فيها سبب لدخول الجنة، ويكون ذلك كقوله عليه الصلاة والسلام: «الجنة تحت ظلال السيوف»[1]، إن صح ذلك، والله أعلم.

وإن كان في غير الروضة أجزأتك، ولكن في الروضة أفضل.

ثم تقف بالقبر متوقراً متواضعاً، كما تقدم، وتسلم على أبي بكر، وعمر، وتدعو لهما، وأكثر من الصلاة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في الليل والنهار.

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، ورمز السيوطي لضعفه في «الجامع الصغير» ١/ ٤٩٦ الحديث رقم ٣٦٤٣.
وذكر ابن جماعة في تفسير الحديث معنيين: أحدهما: أن تحصل روضة من رياض الجنة بالعبادة فيه، كما مر عن المؤلف استشهاده بحديث: الجنة تحت ظلال السيوف. الثاني: أن تلك البقعة قد ينقلها الله؛ فتكون في الجنة بعينها، وقوله صلى الله عليه وسلم: «ومنبري على حوضي» قال الخطابي: معناه: من لزم العبادة عند المنبر، سقي من الحوض يوم القيامة. وحمله بعض العلماء على الحقيقة. «هداية السالك» ١/ ١١٢.
وفي المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني رحمه الله تعالى: أما الدليل على أن العمل فيها يوجب روضة في الجنة؛ فلأنه إذا كانت الصلاة في مسجده صلى الله عليه وسلم بألف فيما سواه من المساجد، فلهذه البقعة زيادة على باقي البقع، كما كان للمسجد زيادة على غيره. وأما الدليل على كونها بعينها في الجنة، وكون المنبر أيضاً على الحوض، كما أخبر صلى الله عليه وسلم، وأن الجذع في الجنة، والجذع في البقعة نفسها، فالعلة التي أوجبت للجذع الجنة هي البقعة سواء، والذي أخبر بهذا أخبر بهذا، فينبغي الحمل على أكمل الوجوه، وهو الجمع بينهما لأنه قد تقرر من قواعد الشرع: أن البقعة المباركة ما فائدة بركتها لنا الإخبار بها لنا إلا لتعميرها بالطاعات، فإن الثواب فيها أكثر، وكذلك الأيام المباركة أيضاً، فعلى هذا يكون الموضع روضة من رياض الجنة الآن، ويعود روضة كما كان في موضعه، ويكون للعامل فيه روضة في الجنة وهو الأظهر.

فصل

ولا تدع أن تأتي مسجد قباء، وقبور الشهداء، وتزور القبور الظاهرة في البقيع[1]؛ كقبر إبراهيم ابن النبي صلى الله عليه وسلم، وقبر عثمان بن مظعون. روي أن رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: دفن ابنه إبراهيم إلى جنب عثمان بن مظعون[2]، وقبره حذو زاوية دار عقيل ابن أبي طالب من ناحية دار محمد بن زيد، وقبر عبد الرحمن بن عوف أيضاً، إلى جنب قبر عثمان بن مظعون، وكذلك تزور قبر الحسن بن علي، والعباس عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتنوي زيارة قبر فاطمة رضوان الله عليها، وتزور قبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم،

---

(١) ويسن له أن يخرج متطهراً كل يوم إلى زيارة من بالبقيع المبارك، تأسياً به صلى الله عليه وسلم فإنه كثيراً ما كان يخرج إليه، ويدعو لمن فيه، وقد خرج إليه صلى الله عليه وسلم ليلة النصف من شعبان، فسجد فيه طويلاً حتى ظن أنه صلى الله عليه وسلم قد قبض. وخروجه له يوم الجمعة آكد، والأولى أن يكون ذلك بعد السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى صاحبيه رضي الله عنهما.
فائدة: وليتشفع بأهل البقيع إلى من هم أقرب إليه منه، لينال ببركة ذلك من القرب إليه صلى الله عليه وسلم، ما لا يحصل له لو لم يستمده بواسطة تلك الوسائط، إذ من عادة الكبراء الظفر منهم بالواسطة المقربة عندهم بما لم يظفر به منهم مع عدم الواسطة، ولذا قيل: إذ لولا الواسطة لذهب كما قيل الموسوط، وأيضاً: ففي الإتيان إليهم غاية الوصلة والإشعار بالذلة، وأنه لعظم جنايته يحتاج في قضاء مطلوبه إلى تعدد الشافعين فيه، حتى يقبله صلى الله عليه وسلم، ويقبل عليه، ويجبه لما طلبه، وأيضاً: ففي ذلك أيضاً وصلة له صلى الله عليه وسلم، إذ وصلة أصحابه وأهل بيته، رضي الله عنهم، وصله له صلى الله عليه وسلم، فببركة هذه الوصلات تجاب جميع الحاجات، وتقضى سائر الطلبات، فاللهم إنا نسألك بجاههم عندك أن تجعلنا من المقبولين لديك، ولدى حبيبك الأعظم صلى الله عليه وسلم، وأن ترزقنا شفاعته، وأن تميتنا على سنته، وتجعل لنا في جنة البقيع نصيباً ومثوى، وتحشرنا في زمرته صلى الله عليه وسلم، آمين، آمين، لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمين يا رب العالمين.

(٢) وبالقرب منه قبر نافع القارىء، والإمام مالك بن أنس رضي الله تعالى عنهما.

وهو عند المسجد الذي بالبقيع، وقبر صفية ـ عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عند نحو دار المغيرة بن شعبة.

وتنوي زيارة قبور أزواج النبي صلى الله عليه وسلم؛ قيل: إن قبورهن عند خوخة بيته إلى الزقاق الذي إلى المعالي مستطيره.

روى مالك بن أنس رضي الله عنه: أن زينب بنت جحش توفيت في زمن عمر؛ فدفنها بالبقيع، وضرب عليها فسطاطاً، ثلاثاً.

وقبر الحسن بن علي، إلى جانب قبر أمه فاطمة رضوان الله عليهم أجمعين، قالوا: وهو مواجه للخوخة التي في دار [...][1] ابن وهب، وأن طريق الناس بين قبر فاطمة وبين خوخة بيته.

فصل

ولتعلم أن أكثر الصحابة رضي الله عنهم مدفونون بالبقيع؛ وكذلك أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، ما خلا خديجة رضوان الله عليها؛ فإنها بالحجون.

وكذلك فيه أيضاً جماعة من سادات التابعين ومن بعدهم من العلماء والزهاد المشهورين، لا تعرف قبورهم؛ فينبغي للزائر أن يسلم عليهم أجمعين، فيقول: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين».

قالوا: وليس بالبقيع قبر يعرف غير سبعة قبور: العباس، وقبر الحسن بن علي، ومعه في القبر ابن أخيه علي بن الحسين زين العابدين، وأبو جعفر محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر الصادق، رضوان الله عليهم أجمعين، وعليهم قبة عالية قديمة البناء في أول البقيع. وقبر عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه في قبة أيضاً، ومعه في القبر ابن أخيه عبد الله بن جعفر الطيار الجواد المشهور، وقبر إبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبر صفية عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقبر فاطمة بنت

---

(١) كلمة مطموسة لم أتبينها.

أسد أم الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في آخر البقيع، عند نخل يعرف.

وقبر مالك بن أنس الإمام، في قبة في أول البقيع.

وتزور قبر عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فإنه ظاهر عليه قبة عالية[1]، لكنه ليس في البقيع، وإنما هو في حش كوكب؛ فالحش البستان، وفيه لغتان؛ فتح الحاء، وضمها، وكان عثمان رضي الله عنه قد اشتراه، وزاده في البقيع، وكان يقول: يدفن هاهنا رجل صالح. وكانَ أول من دفن فيه.

فصل

ويستحب أن يأتي قبور الشهداء بأحد[2]، ....

(١) وكل هذه القباب قد هدمت ومحي آثارها، حتى أنك حين تزور البقيع لا تدري من تزور، وقبر من أمامك هل هو قبر صحابي جليل أم قبر طفل من أطفال المسلمين، أم قبر ماذا؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكل ذلك بحجة المحافظة على التوحيد، ومن باب سد الذرائع، وكم فعلت من أمور أضرت بالإسلام والمسلمين بحجة سد الذرائع؟ حتى أن أحدهم ـ عليه من الله ما يستحق ـ قد ألف رسالة أعلن فيها أسفه على أن من هدم تلك القباب لم يهدم القبة الخضراء التي هي من أهم معالم العالم الإسلامي حيث يدفن تحتها أعظم خلق الله صلى الله عليه وسلم، لكن ماذا نقول لمثل هذا الشيطان، الذي يقول لسان حاله كما قال الشاعر:
«وكنت امرءاً من جند إبليس فارتقى بي الحال حتى صار إبليس من جندي»
وهل يكفيه لعنة واحدة على قوله ذاك؟، اللهم لا، ولا نقول إلا أخزاه الله في الدنيا والآخرة، وعليه من الله ما يستحق، اللهم لا تجعلنا من الذين أضللتهم على علم، وارزقنا الأدب مع رسولك صلى الله عليه وسلم ومع صحابته الأكرمين، وأئمة المسلمين، الأحياء منهم والميتين يا رب العالمين.

(٢) روى أبو نعيم بسنده إلى ابن عمر رضي الله عنهما قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بمصعب ابن عمير، حين رجع من أحد، فوقف عليه وعلى أصحابه فقال: «أشهد أنكم أحياء عند الله، فزوروهم، وسلموا عليهم، فوالذي نفسي بيده، لا يسلم عليهم أحد إلا ردوا عليه إلى يوم القيامة» الحلية ١/١٠٨. وأخرج ابن الجوزي في «مثير العزم» عن أبي مصعب الزبيري، عن العطاء بن خالد، قال: حدثتني خالة لي، وكانت من العوابد، قالت: جئت قبر حمزة رضي الله عنه، فصليت ما شاء الله، ولا والله ما في الوادي داع =

يوم الخميس[1].

ويبدأ بسيد الشهداء حمزة ـ رضي الله عنه وأرضاه وعنا به ـ عمِّ النبي صلى الله عليه وسلم[2].

ويستحب استحباباً مؤكداً أن يأتي قباء[3].

والأولى أن يكون يوم السبت[4]، ناوياً التقرب إلى الله تعالى بزيارته، والصلاة فيه.

= ولا مجيب، وغلامي آخذ برأس دابتي، فلما فرغت من صلاتي، قلت: السلام عليكم. فسمعت رد السلام علي من تحت الأرض، أعرفه كما أعرف أن الله عز وجل خلقني، فاقشعرّت كلّ شعرة مني، فدعوت الغلام وركبت. «إتحاف السادة المتقين ٤/ ٧١٣».

(١) قال السيد الزبيدي في الإتحاف: ولعل تخصيص إتيانه يوم الخميس، لكون الوقعة كانت في يوم الخميس، أو لكونه يوم فراغ أهل المدينة من أشغالهم، أو للنظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم: «بورك لأمتي في غدوة الخميس». أو لغير ذلك، وهذا إن اتفق للحاج أو للزائر، فإن لم يمكنه ففي أي يوم يتفق.
«إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ٤/ ٧١٣»

(٢) ويبكر بعد صلاة الصبح بمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى أنه يعود ويدرك جماعة فريضة الظهر في المسجد المكرم.قال ابن حجر: والأفضل أن يكون ذلك يوم الخميس لأن الموتى يعلمون أي يزيد علمهم للأدلة على دوام علمهم، بزوارهم، يوم الجمعة، ويوماً قبله، ويوماً بعده، كما نقله في الإحياء عن محمد بن واسع أنه بلغه ذلك، والمطلوب يوم الجمعة التبكير، ويوم السبت الذهاب لقباء، فتعين يوم الخميس.

(٣) للحديث الصحيح: «صلاة في مسجد قباء كعمرة» رواه الترمذي وابن ماجة والبيهقي من حديث أسيد ابن ظهير الأنصاري، يرفعه، قال الترمذي: حسن غريب، وقال المنذري: لا نعرف لأسيد حديثاً صحيحاً غير هذا، ذكره في المواهب اللدنية ٤/ ٦١٥..وأخرج الشيخان: «كان صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباء راكباً وماشياً، فيصلي فيه ركعتين» رواه البخاري في كتاب التطوع، باب إتيان مسجد قباء، ٢/ ٦١، ومسلم في كتاب الحج ٤/ ١٢٧.

(٤) للحديث الصحيح أيضاً: «كان صلى الله عليه وسلم يأتيه كل سبت». قال في «هداية السالك»: وحمل بعض العلماء قوله «كل سبت» على أن المراد يوم من أيام الأسبوع، كقوله: «مطرنا سبتاً»، ويرد ذلك أن في رواية ابن حبان في صحيحه: «أنه صلى الله عليه وسلم كان يأتي قباء كل يوم سبت». «هداية السالك» لابن جماعة ١/ ١١٩.

والأحاديث فيه صحيحة كثيرة.

فصل

وينبغي للزائر أن يتبع المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم يصلي فيها[١].

والسواري التي كان يجلس إليها، ومصلاه في الليل من المسجد[٢].

وبيت فاطمة رضوان الله عليها[٣].

---

(١) أما الأسطوانة التي هي علم المصلى الشريف وتعرف بالمخلق، وفي فضل الصلاة عندها روى ابن زبالة عن يزيد بن عبيد، أنه كان يأتي مع سلمة بن الأكوع إلى سبحة الضحى، فيعمد إلى الاسطوان دون المصحف، فيصلي قريباً منهما، فأقول: ألا يصلي هاهنا؟ وأشير إلى بعض نواحي المسجد، فيقول: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى هذا المقام، وهذا الحديث في الصحيحين، ولفظ البخاري: «كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوان التي عند المصحف، فقلت: يا أبا سلمة!! أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة؟ قال: فإني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتحرى الصلاة عندها»، وفاء الوفا ٤٣٩.

(٢) وهي أسطوانة التهجد: كان صلى الله عليه وسلم يصلي إليها ليلاً، قريب باب جبريل، وقد أسند يحي عن عيسى بن عبد الله عن أبيه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخرج حصيراً كل ليلة إذا انكفت الناس، فيطرح وراء بيت علي، ثم يصلي صلاة الليل، فرآه رجل فصلى بصلاته، ثم آخر فصلى بصلاته، حتى كثروا، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإذا بهم، فأمر بالحصير فطوي، ثم دخل، فلما أصبح جاؤوه فقالوا: يا رسول الله كنت تصلي الليل فنصلي بصلاتك، فقال: إني خشيت أن ينزل عليكم صلاة الليل، ثم لا تقوون عليها». وفاء الوفا ٢/ ٤٥١.

(٣) أسطوانة مربعة القبر الشريف، ويقال لها: مقام جبريل عليه السلام، وهي حائز الحجرة الشريفة، عند منحرف صفحته الغربية للشمال، وبينها وبين أسطوانة الوفود الأسطوانة اللاصقة بشباك الحجرة الشريفة، كانت باب فاطمة رضي الله عنها، وكان صلى الله عليه وسلم يأتي إليه حتى يأخذ بعضادتيه، ويقول: السلام عيكم أهل البيت ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾. وقد حرم الناس من التبرك بها، وبأسطوانة السرير لغلق أبواب الشباك الدائرة على الحجرة الشريفة.

وكذلك السواري التي كان الصحابة يجلسون إليها، ويصلون إليها، ومصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذي كان يصلي فيه قبل أن يتحول إلى مصلاه المعروف اليوم، وموضع معتكفه صلى الله عليه وسلم.

وكذلك الاسطوانة التي ربط فيها أبو لبابة نفسه إليها[(١)].

والاسطوانة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس إليها إذا جاءته الوفود[(٢)]. وأسطوانة علي بن أبي طالب رضي الله عنه[(٣)].

كل هذه المواضع تستحب الصلاة فيها، والدعاء لديها، وأن يحمد الله تعالى، ويشكره، ويتوب إليه، ويستغفره، ويتضرع إليه، ويسأله أن يعيد بركة من حل بها من السلف الماضين، والسلف الهادين من سادات أهل البيت، والصحابة، والتابعين، وعلماء الأمة، وصالحيهم، وزهادهم أجمعين.

---

(١) وهي الأسطوانة التي تلي أسطوانة عائشة رضي الله عنها، وتسمى أسطوانة التوبة، وتعرف بأسطوانة أبي لبابة بن عبد المنذر، وسميت به لأنه رضي الله عنه ارتبط إليها حتى أنزل الله توبته، كما جاء في سرد غزوة بني قريظة، حين سألوه: أننزل على حكم محمد؟ قال: نعم، وأشار بيده إلى حلقه، وهو الذبح. قال أبو لبابة: فو الله ما زالت قدماي حتى علمت أني خنت الله ورسوله، فربط نفسه بالسارية إلى أن أطلقه رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده، وقد ورد ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾ الآية، أوردها الزمخشري في تفسيره. وأخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كان يتحرى الصلاة عندها». صحيح البخاري - كتاب الصلاة - الصلاة إلى الأسطوانة ١/ ١٠٢، وعند مسلم - دنو المصلي من السترة ٢/ ٥٩.

(٢) وهي خلف أسطوانة سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، من الشمال، كان صلى الله عليه وسلم يجلس عندها لوفود العرب، وذكر أنه كان يقال لها: مجلس القلادة، لشرف من كان يجلس فيه. وفاء الوفا ٢/ ٤٤٩.

(٣) وتعرف بأسطوانة المحرس، كان يجلس رضي الله عنه في صفحتها التي تلي القبر الشريف، كان يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهي خلف أسطوانة التوبة من جهة الشمال، وكانت الخوخة التي يخرج منها النبي صلى الله عليه وسلم من بيت عائشة رضي الله عنه، إلى الروضة الشريفة في مقابلتها.

فصل

روينا في كتاب «الشفا»[1]: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة: «لا يصبر على لأوائها[2] وشدة حرها أحد، إلا كنت له شهيداً، أو شفيعاً يوم القيامة»[3]. وقال: «إنما المدينة كالكير تنفي خبثها، وينصع طيبها»[4].

وقال فيمن تحمَّل[5] عن المدينة: «والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون».

وقال: «لا يخرج أحد من المدينة رغبة عنها إلا أبدلها الله خيراً منه»[6].

---

(١) الشفا ٢/ ٦٨٤.

(٢) اللأواء: الشدة، والمشقة، والضيق، وجاءت بمعنى القحط.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ١١٩.

(٤) رواه الشيخان: صحيح مسلم: ١٠٠٥، والموطأ: ٨٨٦، وسنن الترمذي: ٥/ ٧٢٠. والكير: آلة الحداد ينفخ بها النار لإيقادها على الحديد. وقوله: تنفي خبثها: أي تخرج ما خبث منها ولا تقبله، كما ينفي الكير خبث الحديد، لأن ما فيه من الصدأ والأجزاء التي ليست خالصة منه تطير عنه مع الشرر، وتبقى خالصة، فكذلك المدينة لا يخرج عنها ويختار غيرها من غير ضرورة إلا من خبثت طويته، فهو لا يترك فيها من في قلبه غل وعدم صدق، فتميزه عن غيره كما يميز الحداد بكيره جيد الحديد من رديئه، والحديث في سنن الترمذي: ٥/ ٥٢٠، ٥٢٢. وقوله: ينصع أي يخلص ويبقى خالصاً فيها ما طاب. وفي النهاية: وتبضع طيبها: كذا ذكره الزمخشري وقال: هو من أبضعته بضاعة، إذا دفعتها إليه، يعني أن المدينة تعطي طيبها ساكنها، والمشهور بالنون والصاد المهملة، وقد روي بالضاد والخاء المعجمتين، وبالحاء المهملة من النضخ والنضح، وهو رش الماء.

(٥) قوله: تحمل عن المدينة: أي رحل عنها وفارقها، مختاراً لسكنى غيرها. والحديث ورد في البخاري.

(٦) رواه مسلم عن جابر، قال الخفاجي في «نسيم الرياض»: رغب عنه إذا كرهه، فالمنهي عنه ذلك، فلا ينافي أن بعض الصحابة ارتحل عنها كبلال رضي الله عنه، وغيره، والحديث في موطأ مالك ٨٨٧.

وروي عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات في أحد الحرمين حاجاً أو معتمراً، بعثه الله يوم القيامة لا حساب عليه، ولا عذاب»[1].

وفي طريق آخر[2]: «بعث من الآمنين يوم القيامة».

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: «من استطاع أن يموت بالمدينة فليمت بها، فإني أشفع لمن يموت بها»[3].

فصل

قال القاضي أبو الفضل عياض في حديث: أن أبا الفضل الجوهري[4] رضي الله عنه، لما ورد المدينة وقرب من بيوتها، ترجل ومشى باكياً، منشداً[5]، شعراً:

---

(١) رواه البيهقي، والدارقطني، عن عائشة رضي الله عنه بسند ضعيف.

(٢) عند الطبراني، والبيهقي.

(٣) رواه ابن ماجة، وابن حبان، والترمذي، وصححه: سنن الترمذي: ٥/٧١٩، وقال: هذا حديث حسن غريب من حديث أيوب السختياني.
وقوله: «أن يموت بالمدينة» أي يقيم بها حتى يموت، فليمت بها: أي فليقم بها حتى يأتيه الموت.
قال الخفاجي: والأمر للاستحباب.

(٤) هو عبد الله بن الحكيم الرندي الأندلسي، ذو الوزارتين، له فضل وحسب، وفضل باهر وأدر، عالم بالقراءات، والحديث، والعربية، وله شعر رائق، ونثر فائق، وارتحل للمشرق فأخذ بها عن ابن عساكر، وأكثر الرواية عنه، وله رياسة في عصره، صار بها كالمثل السائر، إلى أن ردت منه الأيام ما وهبت، فانقضت أيامه وذهبت، فقتل لما خلع سلطانه، فنهبت أمواله وكتبه، ومات شهيداً رحمه الله تعالى. ذكره الخفاجي في «نسيم الرياض» ٣/٤٣٧.

(٥) المراد أنه تمثل به لأن الشعر من قصيدة للمتنبي أولها:

فدينـاك مـن ربـع وإن زدتنـا كـربـا ... لأنك كنت الشرق للشمس والغربا
ولـمـا رأينـا رسـم من لـم يـدع لـنـا ... فـؤاداً لـعـرفـان الـرسـوم ولا لُـبَّـا
نـزلـنـا عـن الأكـوار نـمـشي كـرامـة ... لـمـن بـان عـنـه أن نـلـم بـه ركـبـا

ولقد أجاد في تمثله به ونقله لمحل لائق به. وقد ضمنه القاضي رحمه الله تعالى قصيدة نبوية فقال بعده:

=

ولما رأينا رسم من لم يدعوا لنا   فؤاداً لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الأكوار[1] نمشي كرامة   لمن بان عنه أن نلم به ركبا

وحكي عن بعض المريدين: أنه لما أشرف على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشد يقول [متمثلاً][2]:

رفع الحجاب لنا فلاح لناظري   قمر تقطع دونه الأوهام[3]
وإذا المطي بنا بلغن محمداً   فظهورهن على الرجال حرام[4]
قربننا من خير من وطيء الثرا   فلها علينا حرمة وذمام[5]

= وتهنا بأكناف الخيام تواجداً   نقبلها طوراً ونرشفها حبا
ونبدي سروراً والفؤاد بحبها   تقطع والأكباد أورى بها لهبا
أقدم رجلاً بعد رجل مهابة   وأسحب خدي في مواطنها سحبا
وأسكب دمعي في مناهل حبها   وأرسل حباً في مناكبها النجبا
وأدعو دعاء اليائس الواله الذي   براه الهوى حتى بدا شخصه سحبا

انظر: نسيم الرياض ٣/ ٤٣٧، والشفاء للقاضي عياض ٢/ ٦٣١.

(١) الأكوار جمع كور، وهو للإبل بمنزلة السرج للفرس، وقوله: نُلمّ: أي نأتيه للزيارة.

(٢) وهو من قصيدة لأبي نواس في مدح محمد الأمين الخليفة ابن هارون الرشيد، العباسي، وأول القصيدة المذكورة:

يا دار ما فعلت بك الأيام   لم يبق فيك بشاشة تسام

انظر: ديوان أبي نواس ٤٠٨.

(٣) المراد برفع الحجاب في الشعر: رفع ستائر أبواب الملوك العظام، وهو هنا بمعنى انقضاء المسافة والقرب من المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام.

(٤) المطي: جمع مطية، وهي الناقة تمتطى، وتركب. ولاح: بدا وظهر. وقوله: «فظهورهن على الرجال حرام»: أي إذا أوصلتهم إلى مقاصدهم كانت لها حرمة تقتضي رعايتها وراحتها، فلا يركبها بعد ذلك رجل ولا يوضع على ظهرها شيء، بل تترك سارحة منعمة في مرعاها.

(٥) قوله: خير من وطيء الثرى: هو النبي صلى الله عليه وسلم خير الناس، والحرمة: الحق الذي يلزم احترامه. والذمام: ما يلزم احترامه. أو جمع ذمة؛ وهي العهد، وما يجب الوفاء به. وفي الديوان: «من وطيء الحصى».

وحكي عن بعض المشايخ: أنه حج ماشياً، فقيل له في ذلك؟ فقال: العبد الآبق يأتي إلى بيت مولاه راكباً؟!!![1]، لو قدرت أن أمشي على رأسي ما مشيت على قدمي.

قال القاضي رضي الله عنه: وجدير بمواطن عُمِّرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها[2] بالتقديس والتسبيح، والتهليل، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ما انتشر، مدارس آيات[3]، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات[4]، ومناسك الدين ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين، ومتبوأ خاتم النبيين[5]، حيث انفجرت النبوة[6]، وأين فاض عبابها؛ ومواطن مهبط الرسالة؛ وأول أرض مسَّ جلد المصطفى ترابها، أن تعظَّم عرصاتها، وتُتَنَسَّم نفحاتها، وتُقَبَّل ربوعها وجدرانها: شعر[7]:

يا دار خير المرسلين ومن به ... هدي الأنام وخصَّ بالآيات

---

(١) هنا على سبيل الاستفهام والتعجب، وفي نسخة أخرى من كتاب الشفا للقاضي عياض بدون «لا» على سبيل النفي، وكلاهما بمعنى.

(٢) العرصات: جمع عرصة؛ وهي الأرض، والساحة الواسعة من غير بناء، والمراد هنا: الأرض مطلقاً. وضجت عرصاتها: ارتفعت فيها الأصوات بتوحيد الله وذكره.

(٣) قوله «مدارس آيات» أي: محال يدرس فيها القرآن.

(٤) أي عهد فيها ظهور معجزاته صلى الله عليه وسلم، وبراهين نبوته الدالة على صدقه.

(٥) متبوَّأ: أي مسكنه المنيف، ومحل إقامته الشريف صلى الله عليه وسلم.

(٦) أي ظهرت وفاض على جميع الخلق منافعها، وأشرق في القلوب أنوارها، ففيه استعارة مكنية، وتخييلية، إما بتشبيه النبوة بالفجر والصبح الصادق في ظهوره الماحي لظلمة الكفر، أو بمنبع الماء المروي للناس بعد ظمأ الجهل.

(٧) وهو هنا للقاضي عياض صاحب الشفا؛ لما تزايد شوقه لمعاهده صلى الله عليه وسلم، قال مخاطباً لها، بتنزيلها منزلة العقلاء. انظر: نسيم الرياض للخفاجي ٣/ ٤٤١، والشفا ٢/ ٦٢٣.

عـنـدي لأجـلـك لـوعـة وصـبـابـة ... وتـشـوقٌ مـتـوقـد الـجـمـرات[1]
وعليَّ عـهـدٌ إن مـلأت مـحـاجري ... من تلكم الجدرات والعرصات[2]
لأعـفِّرن مـصـون شـيـبـي بـيـنـهـا ... مـن كـثـرة الـتـقـبـيـل والـرشـفـات
لـولا الـعـوادي والأعـادي زرتـهـا ... أبداً ولو سحباً على الوجنات[3]
لكن سأهـدي من حفيل تحيتي ... لقطين تلك الدار والحجرات
أزكى من المسك المفتق نفحة ... تـغـشـاه بـالآصـال والـبـكـرات[4]
وتـخـصـه بـزواكـي الـصـلـوات ... ونـوامـي الـتـسـلـيـم والـبـركـات[5]

(١) اللوعة: شدة الحب، وحرقته. والصبابة رقة الشوق.

(٢) ملأت محاجري: يريد عيني، والمحاجر جمع محجر وهو جوانب العين، وملؤها: النظر والإبصار.

(٣) العوادي: جمع عادية، وهي الأمور التي تمنع من زيارتها، والعوائق، أو الظلمة. والأعادي: جمع عدو. والوجنات: جمع وجنة؛ وهي أعلى الخد.وهو ما ارتفع منه وغلظ، أي: أسحب وجهي على الأرض بذلة وخضوع.

(٤) أزكى: أي أكثر طيباً ورائحة طيبة. المفتَّق: من فتق المسك والطيب إذا خلط بغيره مما يزيد طيبه. نفحة: رائحة. تغشاه: تعرض له. أو تغطيه. والآصال: جمع أصيل: ما قرب من الغروب. والبكرات: جمع بكرة؛ وهي أول النهار؛ وخصهما لطيب النسيم ولطافة الهواء فيهما، أو المراد بهما الدوام.

(٥) روي أن القاضي عياض رحمه الله تعالى صاحب هذه الأبيات لم يحج؛ ولم يزره صلى الله عليه وسلم، فقال هذه الأبيات الثمانية متحسراً على ما فاته، كما وقع للعارف بالله تعالى سيدي أبي العباس بن العريف، نفعنا الله به وبالصالحين في الدارين آمين، فقال متأسفاً على فوات ذلك:

سار الركاب وسوء الحظ أقعدني ... ولم أجد لبلوغ القصد مفتاحا
يا سائرين إلى المختار من إضم ... سرتم جسوماً وسرنا نحن أرواحا
إنا أقمنا على عجز ومسكنة ... ومن أقام على عجز كمن راحا

الباب السابع

في أسمائه المعظمة، ونعوته المكرمة صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «لي خمسة[1] أسماء؛ أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحو الله تعالى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب، [الذي ليس بعده أحد]»[2]. وفي رواية: وأنا المقفى، ونبي التوبة، ونبي الرحمة. وفي رواية: ونبي الملحمة[3].

---

(١) قال في «نسيم الرياض» ٢/٤٠٧: قال السيوطي في كتاب «الرياض الأنيقة في أسماء خير الخليقة»: إنه قبل أن يطلعه الله تعالى على بقية اسمائه، وقال القاضي عياض في «الشفا» قيل إنها موجودة في الكتب القديمة، وعن الأمم السالفة.

(٢) أخرجه البخاري في ٦١: كتاب المناقب١٧، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم، الفتح ٦/٥٥٤، والترمذي في كتاب الأدب باب ما جاء في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ٥/١٣٥، ومالك في الموطأ في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ٢/١٠٠٤، والدارمي في الرقاق باب في أسماء النبي صلى الله عليه وسلم ٢/ ٣١٧، والإمام أحمد في مسنده ٤/ ٨٠و٨١و٨٤. كما أخرجه البخاري أيضاً في كتاب التفسير، تفسير سورة الصف ـ فتح الباري ٨/ ٦٤٠، ومسلم في كتاب الفضائل باب أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث رقم ١٢٤، ٤/١٨٢٨، وجمع الوسائل في شرح الشمائل ٢/٣١٧. قوله: وأنا العاقب، أي: وأنا الآتي عقب الأنبياء عليهم السلام. وفي صحيح مسلم: العاقب: الذي ليس بعده نبي. وحديث أسمائه صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم: ١٨٢٨، وصحيح البخاري: ٤/ ٢٢٥. والبيهقي في الدلائل ١/ ١٥٢ وما بعدها.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل باب أسماء النبي صلى الله عليه وسلم حديث رقم =

وسماه الله تعالى في كتابه: بشيراً، ونذيراً، وسراجاً منيراً[1]، ورؤوفاً رحيما[2]، ورحمة للعالمين[3]، ومحمداً، وأحمد[4]، وطه، وياسين، ومزملاً، ومدثراً.

وعبداً، في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾[5].

ونذيراً مبيناً: في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾﴾[6].

ومنذراً: في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾﴾[7]. صلى الله عليه وسلم، وشرف وكرم، ومجد وعظم، ووالى عليه وأنعم.

وقد ذكرت له صلى الله عليه وسلم أسماء كثيرة؛ منها: المتوكل[8]، والفاتح، والخاتم[9]، ....

= ١٢٦، ٤/١٨٢٨ـ ١٨٢٩، والإمام أحمد ي المسند ٤/ ٤٠٤. ونالبيهقي في الدلائل ١/ ١٥٧. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سمى لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أسماء فمنها ما حفظناه، قال: «أنا محمد، وأنا أحمد، والمقفّى، والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة» رواه أبو نعيم والمحاملي. ورواه الإمام أحمد ومسلم بلفظ: منها ما حفظناه ومنها ما لم نحفظه، قال: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر، وأنا العاقب، والمقفّى، ونبي الرحمة والتوبة والملحمة» ولفظ مسلم: «ونبي الملحمة».

(١) في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ سورة الأحزاب ـ الآيتان ٤٥ و٤٦.

(٢) في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ سورة التوبة ـ الآية ١٢٨.

(٣) قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ سورة الأنبياء ـ الآية ١٠٧.

(٤) قال تعالى حاكياً عن السيد عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ سورة الصف ـ الآية ٦.

(٥) سورة الجن ـ الآية ١٩.

(٦) سورة الحجر ـ الآية ٨٩.

(٧) سورة النازعات ـ الآية ٤٥.

(٨) قال تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ وهو من أسمائه في التوراة كما في صحيح البخاري.

(٩) روى عبد الرزاق في المصنف عن معمر عن أيوب عن أبي قلابة رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إنما بعثت فاتحاً وخاتماً وأعطيت جوامع الكلم =

والضحوك[1]، والأمين[2]، والمصطفى، والرسول، والنبي الأمي، والقثم.

ومعلوم أن أكثر هذه الأسماء صفات، وقد تقدم شرح الحاشر والعاقب والمقفى، في معنى العاقب.

والمرحمة: يعني الرحمة، والملاحم: الحروب، والضحوك: صفته في التوراة.

قال ابن فارس: وإنما سمي بذلك لأنه صلى الله عليه وسلم كان طيب النفس، فكهاً.

والقثم: من معنيين:

أحدهما: العطاء، يقال: قثم له يقثم قثماً، إذا أعطاه عطاء. وكان صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة[3].

والثاني: من القثم، وهو الجمع، يقال للرجل الجامع للخير: قثوم، وقثم، وهو صلى الله عليه وسلم جمع خير الدنيا والآخرة، واشتمل على كل صفة جميلة، وحاز كل فضيلة، صلى الله عليه وسلم.

= وفواتحه». وسمي صلى الله عليه وسلم فاتحاً لأنه حام في الخلق بحكم الله، حاملهم على المحجة البيضاء، مانعهم من التعدي والظلم، أو الفاتح لبصائرهم بالهداية، والدلالة على الخير والناصر لهم، وقيل غير ذلك.

(١) روى ابن فارس عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اسم النبي صلى الله عليه وسلم في التوراة: الضحوك القتّال، يركب البعير، ويلبس الشملة، ويجتزيء بالكسرة، وسيفه على عاتقه.

(٢) ذكره ابن فارس، ومعناه القوي الحافظ الذي يوثق بأمانته، ويرغب في ديانته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ في أحد القولين، ونسبه القاضي لأكثر المفسرين، أن الرسول المذكور هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

(٣) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي ـ باب ٥، حديث رقم ٦، ٨/ ٩٨، ومسلم في كتاب الفضائل ٤/ ١٨٠٣، والنسائي في كتاب الصوم ٤/ ١٢٥ وغيرهم.

الباب الثامن

في صفاته الخلقية، وشمائلة المرضية صلى الله عليه وسلم، وشرَّفَ وكرَّم، ومجَّد وعظَّم، ووالى عليه وأنعم

كان صلى الله عليه وسلم رَبْعَةً من القوم، قال البراء: ما رأيت من ذي لمة في حلة حمراء أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، له شعر يضرب منكبيه، بعيد ما بين المنكبين، لم يكن بالقصير ولا بالطويل[1]. لما ثبت من أن: «خير الأمور أوسطها»[2].

وكان صلى الله عليه وسلم خير الخليقة، فناسبت صورته معناه، فكان وسطاً في الطول، وإن كان أطول الأطولين في الطول، فكمَّله الله تعالى

---

(١) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ٢٥، في صفة النبي صلى الله عليه وسلم، وأنه كان أحسن الناس وجهاً، وأبو داود في كتاب الترجل، باب ٩، ما جاء في الشعر، حديث رقم ٤١٨٣، ٤/ ٨١، والترمذي في كتاب اللباس، باب ٤، ما جاء في الرخصةفي الثوب الأحمر للرجال، حديث رقم ١٧٢٤، ٤/ ٢١٩، ثم قال: وفي المناقب عن: جابر بن سمرة، وأبي جحيفة، وهذا حديث حسن صحيح، انتهى.والبيهقي في «الدلائل» ١/ ٢٢٣ «والترمذي في الشمائل صفحة ٤٣.

(٢) قال ابن الغرس: ضعيف، وقال في المقاصد: رواه ابن السمعاني في ذيل تاريخ بغداد، لكن بسند فيه مجهول عن علي مرفوعاً، وللديلمي بلا سند عن ابن عباس مرفوعاً: خير الأعمال أوسطها، في حديث أوله: دوموا على أداء الفرائض، وللعسكري، عن الأوزاعي، أنه قال: ما من أمر أمر الله به إلا عارض الشيطان فيه بخصلتين، لا يبالي أيهما أصاب: الغلو، أو التقصير. انظر كشف الخفاء للعجلوني ١/ ٣٩١ الحديث رقم ١٢٤٧.

خَلْقاً وخُلُقاً، ورقَّاه من درج الجمال والكمال أي مرقى، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وشرف وكرّم.

وكان صلى الله عليه وسلم لا بائناً من طول، ولا متردداً من قصر، غصناً بين غصنين، أبيض اللون، مشرباً بحمرة، وقيل: أزهر[(١)]، ليس بالأمهق[(٢)]، ولا بالآدم[(٣)]، له شعر رجل[(٤)]، يبلغ شحمة أذنيه إذا طال، وإذا قصر إلى أنصافهما، لم يبلغ شيبه في رأسه ولحيته عشرين شعرة[(٥)].

فائدة:

قال الشيخ عبد الجليل في «شعب الإيمان»: وإنما كان كذلك لأن النساء يكرهن الشيب غالباً، ومن كره من النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً كفر، هذا أو نحوه.

---

(١) أزهر اللون: قيل نيِّر، وقيل: حسن. وقيل: أبيض، أو أبيض مشرَّب بحمرة، وفي الصحيح: عن أنس رضي الله عنه: «لم يكن بالأبيض الأمهق»؛ أي الخالص البياض كلون الجير فإنه غير محمود. وفي الشمائل للترمذي: فسر الأزهر بالأبيض المنير المشرق. وفي نسيم الرياض: والحق أنه كان أبيض مشرباً بحمرة، وهو أحسن الألوان.

(٢) الأمهق: شديد البياض الخالي عن الحمرة والنور كالجص، وهو كريه المنظر، وربما توهمه الناس أبرص، بل كان بياضه صلى الله عليه وسلم نيراً مشرباً بحمرة، كما في هذه الرواية أزهر اللون.

(٣) الأدمة شدة السمرة، وهي منزلة بين البياض والسواد، فنفيه لا ينافي إثبات السمرة التي في رواية أخرى في وصفه صلى الله عليه وآله وسلم.

(٤) الرَّجِل: الذي في شعره حجونة، أي تثني قليلاً، فشعره بين الجعودة والسبوطة.

(٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إنما كان شيب رسول الله صلى الله عليه وسلم، نحواً من عشرين شعرة بيضاء». رواه ابن ماجة في كتاب اللباس، باب ٣٥، من ترك الخضاب، حديث رقم ٣٦٣٠. والإمام أحمد في المسند ٢/ ٩٠. وعزاه ابن كثير في الشمائل ص ٢٧ للبيهقي به بنحوه.

وكان عنقه صلى الله عليه وسلم كأنه جيد دمية[1]، في صفاء الفضة، ظاهر الوضاءة، أبلج الوجه، يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر[2]، حسن الخلق، معتدل القامة، وسيماً قسيماً[3]، في عينيه دعج[4]، في بياضهما عروق رقاق حمر، وفي أجفانه غَطَف[5]، وفي صوته صهل، وتروى: صحل، وفي عينيه سطع، وفي لحيته كثافة، إن صمت فعليه الوقار، وإن تكلم سما وعلاه البهاء، أجمل الناس وأبهاهم من بعيد، وأحلاهم وأحسنهم من قريب، حلو المنطق، فصل، لا نزر، ولا هذر، كأن منطقه خرزات نظمن، يتحدرن.

[وسيأتي في الفصل التالي بيان بتفسير غريب الألفاظ].

[وكان صلى الله عليه وسلم] واسع الجبين، أزجَّ الحواجب، من غير قرن بينهما، أقنى العرنين، له نور يعلوه، يحسبه من لم يتأمله أتم، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، دقيق المسربة، من لبته إلى سرته شعر يجري كالقضيب، ليس في بطنه ولا صدره شعر غير شعر الذراعين والمنكبين، بادِن، متماسك، سواء البطن والصدر، مسيح

---

(١) الجيد: العنق، والدمية: الصورة المتخذة من عاج أو غيره، والمراد: هو في اعتدال وحسن هيئة وكمال إشراق.

(٢) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة أضحيا، وعليه حلة حمراء، فجعلت أنظر إليه وإلى القمر، فلهو عندي أحسن من القمر، صلى الله عليه وسلم». رواه الترمذي في كتاب الأدب ـ باب ٤٧، ماجاء في الرخصة في لبس الحمرة للجال الحديث رقم ٢٨١١، ٥/ ١١٨. والنسائي، والدارمي، وأبو يعلى، والطبراني في الكبير، والبغوي في شمائله، والبيهقي في الدلائل، والحاكم في المستدرك.

(٣) الوسيم المشهور بالحسن، كأن الحسن صار له علامة، وقال في النهاية: رجل قسيم الوجه، أي: جميل كله، كأن كل موضع منه أخذ قسماً من الجمال. والوسيم: الحسن الوضيء الثابت.

(٤) الدعج شدة سواد العين مع سعتها.

(٥) الغَطَف: بغين معجمة، وتهمل، هو أن يطول شعر الأجفان، ثم ينعطف.

الصدر، ضخم الكراديس، أنور المتجرد، عريض القدِّ، طويلَ الزند، رحب الراحة، شثن الكفين، والقدمين، سائل الأطراق، سبط العصب، خمصان الأخمصين، مسيحَ القدمين، ينبو عنهما الماء، إذا زال زال تقلعاً، ويخطو تكفُّؤاً، ويمشي هوناً، دريع المشية، إذا مشى كأنما ينحط من صبب، وإذا التفت التفت جميعاً، بين كتفيه خاتم النبوة، كأنه زر حجلة، أو بيضة حمامة، لونه كلون جسده عليه خيلان، كأنه عرق اللؤلؤ، وريح عرقه أطيب مَن ريح المسك الأذفر، يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وعن أنس رضي الله عنه: «ما مسست ديباجاً، ولا حريراً، ألين من كفِّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا شممت قط رائحة كانت أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1].

فصل
في غريب هذا الباب ومشكله

البائن: الطويل في نحافة.

ومعنى: تقتحمه: تزدريه.

وأزهر اللون: نيره. وقيل: أزهر: حسن.

والدمية: الصورة من الرخام، تشبه العرب المرأة الحسناء.

والأمهق: الناصع البياض.

والأدم: هو الأسمر اللون.

والشعر الرجل: كأنه مشط فتكسر قليلاً ليس بسبط ولا جعد.

وأبلج الوجه: أي مشرقه.

والصحل: الصغير الرأس من الرجال والنعام.

قسيم الوجه: وسيم.

(١) رواه مسلم في صحيحه ـ الحديث رقم ١٨١٤.

والدعج: شدة سواد العينين، يقال: عين دعجاء.

والغطف: طويل شعر الأجفان. ويروى بالمهملة.

والصحل: البحوحة. والصهل: صوت الفرس.

والسطع: البريق.

والكثافة: الغلظ.

والحاجب الأزج: المقوس الطويل الوافر الشعر.

والأقنى: السائل الأنف، المرتفع وسطه.

والأشم: الطويل قصبة الأنف.

والضليع: الواسع.

والفلج: فرق بين الثنايا.

ودقيق المسربة: خيط الشعر الذي بين الصدر والسرة.

وبادن: ذو لحم.

ومتماسك: معتدل الخلق، يمسك بعضه بعضاً. مثل قوله في الحديث الآخر: لم يكن بالمطهم ولا المكلثم أي: الكثير اللحم، والمكلثم: القصير الذقن.

وسواء الصدر والبطن: أي مستويهما.

ومشيح الصدر: إن صحت هذه اللفظة فيكون من الإقبال، وهو أحد معاني: «أشاح» أي: أنه كان بادي الصدر، ولم يكن في صدره قعس، وهو تطامن فيه، وبه يتضح قوله قبل: «سواء البطن والصدر». أي ليس بمتقاعس الصدر. قال القاضي: ولعل اللفظ «مسيح» بالسين، وفتح الميم، بمعنى: عريض، كما وقع في الرواية الأخرى، وحكاه ابن دريد.

والكراديس: رؤوس العظام، وهو مثل قوله في الحديث: «جليل المشاش والكتد».

والمشاش: رؤوس المناكب.

والكتد: مجتمع الكتفين.

ورحب الراحة: أي واسعها. وقيل: كناية عن سعة العطاء والجود.

وشثن القدمين: أي: لحيمهما.

وسائل الأطراف: أي: طويل الأصابع. وذكر ابن الأنباري أنه روي: سائل الأطراف. أو قال: سابن بالنون، وهما بمعنى تبدل اللام من النون، إن صحت الرواية بها. وأما على الرواية الأخرى، وسائر الأطراف: فإشارة إلى فخامة جوارحه، كما وقعت مفصلة في الحديث، قاله القاضي.

والزندان: عظما الذراعين.

وخمصان الأخمصين: أي متجافي أخمص القدم، وهو الموضع الذي لا تناله الأرض من وسط القدم.

ومسيح القدمين: أي أملسهما، وكذلك قال: «ينبو عنهما الماء»، وفي [رواية]أبي هريرة خلاف هذا. فإنه قال: «إذا وطيء بقدمه وطيء بكلها، ليس له أخمص» قال القاضي: وهذا يوافق معنى قوله: «مسيح القدمين». وبه قالوا: سمي المسيح عيسى بن مريم، أي: لم يكن له أخمص. وقيل: مسيح: لا لحم عليها. وهذا أيضاً بخلاف قوله: «شثن القدمين».

والتقلع: رفع الرجل بقوة.

والتكفؤ: الميل إلى سنن المشي وقده.

والهون: الرفق والوقار.

والذريع: الواسع الخطو، أي أن مشيه كان يرفع فيه رجليه بسرعة، ويمد خطوه بخلاف المختال، ويقصد سمته، وكل ذلك برفق وتثبت، دون عجلة. كما قال: «كأنما ينحط من صبب» صلى الله عليه وسلم، إذا التفت التفت جميعاً، بين كتفيه خاتم النبوة، كأنه زر حجلة، أو بيضة حمامة، لونه كلون جسده، عليه خيلان، كأن عرقه اللؤلؤ، والريح أطيب من ريح المسك الأذفر. يقول ناعته: لم أر قبله ولا بعده مثله.

وعن أنس رضي الله عنه: ما مسست ديباجاً ولا حريراً ألين من كف رسول الله صلى الله عليه وسلم[(١)].

وعنه قال أبو بكر رضي الله عنه، إذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم، يقول:

كضوء البدر زايله الظلام أمين مصطفى للخير يدعو

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينشد قول زهير بن أبي سلمى**[(٢)]:

لو كنت من شيء سوى بشر كنت المنور ليلة البدر

ثم يقول عمر وجلساؤه: كذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وفيه يقول عمه أبو طالب[(٣)]:

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
يلوذ به الهلاّك من آل هاشم فهم عنده في رحمة وفواضل
بميزان صدق لا يخيس شعيرة له شاهد من نفسه غير عائل

---

(١) أخرجه البخاري في ٦١: كتاب المناقب ٢٣، باب صفة النبي صلى الله عليه وسلم، عن سليمان بن حرب، عن حماد، عن ثابت، عن أنس «فتح الباري ٦/ ٥٦٦». وأخرجه مسلم عن قتيبة بن سعيد، عن جعفر بن سليمان، عن ثابت، عن أنس، وعن زهير بن حرب ـ واللفظ له ـ عن هاشم بن القاسم، عن سليمان بن المغيرة، عن ثابت، قال أنس: «ما شممت عنبراً قط ولا مسكاً ولا شيئاً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا مسست شيئاً قط؛ ديباجاً ولا حريراً ألين مساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم» صحيح مسلم: ٤٣، كتاب الفضائل، حديث ٨١، ص ١٨١٤ و١٨١٥. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٠٧ و٢٠٠. ومواضع أخرى. كما أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ١/ ٢٥٤.

(٢) انظر: ديوان زهير ـ صفحة ١٢١، وخزانة الأدب ١/ ٥٤٥ و٤/ ٢٢٤ والحماسة البصرية ١/ ١٤١.

(٣) انظر: خزانة الأدب ـ ٢/ ٧٠.

الباب التاسع

في صفاته المعنوية، وما اختصه به رب البرية

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[1].

قال العلماء: وما قال الله فيه: «عظيم» لا يحاط بصفته.

سئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وسلم؛ فقالت: «كان خلقه القرآن، يرضى لرضاه، ويغضب لغضبه»[2].

قلت: لا يتصور أن يجاب عن هذا السؤال بأحسن ولا أجمع ولا أكمل ولا أجود من هذا الجواب، فتأمله إن كنت من أهل التأمل.

وقالت: رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق بما قيل[3]: «شعر»:

كـريـم لا يـغـيـره صـبـاح عن الخلق السخي ولا المساء

إذا أثـنـى عـلـيـه الـمـرء يـومـاً كـفـاه مـن تـعـرضـه الـثـنـاء

قلت: وأحسن من هذا وأليق بهذا المعنى قول الشاعر:

طـول الـتـأمـل بـهـجـة كأن العيون الناظرات صياقل

---

(١) سورة القلم ـ الآية ٤.

(٢) الحديث في صحيح مسلم: ٥١٣، أي كان صلى الله عليه وسلم متمسكاً بأوامر القرآن ونواهيه، وما يشتمل عليه من مكارم الأخلاق، ومحاسن الآداب لا يتعداها، فيرضى بكل ما يرضي الله، ويسخط كل ما لا يرضاه الله، كل ذلك لله، لا لحظ نفسه.

(٣) الأبيات لأمية بن أبي الصلت ـ ذكرها في الأغاني ٨/٣٢٨.

قالت: «وكان صلى الله عليه وسلم لا ينتقم لنفسه، ولا يغضب لها إلا أن تنتهك حرمة من حرمات الله، فيكون لله ينتقم، وإذا غضب لم يقم لغضبه أحد»(١).

قلت: وقد ذكر الإمام أبو حامد الغزالي رحمه الله تعالى في كتاب «خلق النبوة»(٢) ما جمعه بعض العلماء من معرفة بعض أحواله عليه الصلاة والسلام، والتقطه من أخباره، فقال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلم الناس».

قلت: ومن حلمه صلى الله عليه وسلم ما روى ابن إسحاق بسند بلغ به محمد بن المنكدر، قال: أتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل له: إن قريشاً يتواعدونك ليقتلوك، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من باب الصفا، حتى وقف عليها، فأتاه جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد!!، إن الله قد أمر السماء أن تطيعك، وأمر الأرض أن تطيعك، وأمر الجبال أن تطيعك، فإن أحببت فمر السماء أن تنزل عليهم عذاباً منها، وإن أحببت فمر الأرض أن تخسف بهم، وإن أحببت فمر الجبال أن تنضم عليهم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أؤخر عن أمتي لعل الله أن ينعم عليهم.

قال: «وكان صلى الله عليه وسلم أشجع الناس»(٣).

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصراً لمظلمة ظلمها قط، ما لم ينتهك من محارم الله شيء، كان من أشدهم غضباً، وما خير الرسول صلى الله عليه وسلم بين أمرين إلا اختار أيسرهما».
رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب ٢٠، مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام، واختياره من المباح أسهله، حديث رقم٢٣٢٧، ٤/ ١٨١٣بنحوه.

(٢) وهو الكتاب العاشر من ربع العادات من كتب إحياء علوم الدين، وعنوانه: «كتاب آداب المعيشة وأخلاق النبوة».

(٣) قال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: متفق عليه من حديث أنس، انتهى.

قلت: قال علي رضي الله عنه: «كنا إذا اشتد البأس اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم».

قال: «وكان أعدل الناس[(١)]، وأعف الناس، لم تمس يده قط يد امرأة لا يملك رقها، أو عصمة نكاحها، أو تكون ذات محرم منه[(٢)].

وكان أسخى الناس[(٣)]، لا يبيت عنده دينار، ولا درهم، وإن فضل ولم يجد من يعطيه وفجأه الليل لم يأو إلى منزله حتى يتبرأ منه إلى من يحتاج إليه[(٤)]، لا يأخذ مما آتاه الله إلا قوت عامه فقط من أيسر ما يجد من التمر والشعير، ويضع سائر ذلك في سبيل الله[(٥)]، لا يسأل شيئاً إلا أعطاه[(٦)]، ثم يعود على قوت عامه، فيؤثر منه حتى إنه ربما احتاج قبل

---

(١) قال العراقي: رواه الترمذي في «الشمائل» من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه، في الحديث الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم، لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه، وفيه: قد وسع الناس بسطه وخلقه، فصار لهم أباً، وصاروا عنده في الحق سواء، الحديث، وفيه من لم يسم، انتهى.

(٢) قال العراقي: أخرجه الشيخان، من حديث عائشة رضي الله عنها، «ما مست يد رسول الله صلى الله عليه وسلم يد امرأة إلا يد امرأة يملكها»، انتهى.

(٣) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أنس.

(٤) قال العراقي: رواه أبو داود من حديث بلال في حديث طويل فيه: أهدى صاحب فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم أربع قلائص، وكانت عليهن كسوة وطعام، وبيع بلال لذلك ووفى دينه ورسول الله قاعد في المسجد وحده، وفيه قال: فضل شيء؟ قلت: نعم، ديناران، قال: انظر أن تريحني منهما، فلست بداخل على أحد من أهلي حتى تريحني منهما. فلم يأتنا أحد، فبات في المسجد، حتى أصبح وظل في المسجد اليوم الثاني، حتى إذا كان في آخر النهار جاءه راكبان، فانطلقت بهما فكسوتهما، وأطعمتهما، حتى إذا صلى العتمة دعاني، قلت: ما فعل الذي قبلك؟، فقال: قد أراحك الله منه، فكبر وحمد الله شفقة من أن يدركه الموت وعنده ذلك. ثم اتبعه حتى جاء أزواجه، الحديث.

(٥) قال العراقي: متفق عليه بنحوه من حديث عمر بن الخطاب.

(٦) قال العراقي: رواه الطيالسي والدارمي من حديث سهل بن سعد، وفي الصحيحين: من حديث جابر: «ما سئل شيئاً قط فقال: لا».

انقضاء العام، إن لم يأته شيء[1]، وكان صلى الله عليه وسلم يخصف النعل[2]، ويرقع الثوب[3]، ويخدم في مهنة أهله[4]، ويقطع اللحم معهن[5].

وكان أشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه أحد[6].

---

(١) قال العراقي: هذا معلوم، ويدل عليه ما رواه الترمذي، وابن ماجة، والنسائي، من حديث ابن عباس «أنه صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة بعشرين صاعاً من طعام أخذه لأهله». وقال ابن ماجة ثلاثين صاعاً، من شعير، وإسناده جيد.
وللبخاري من حديث عائشة: «توفي ودرعه مرهونة عند يهودي».

(٢) أي يصلحها بترقيع وخرز.

(٣) أي: يضع لما وهى منه رقعة أخرى يخيطها به.

(٤) يقال: هو في مهنة أهله، أي: في خدمتهم. وخرج في ثياب مهنته أي في ثياب خدمته التي يلبسها في أشغاله وتصرفاته.
قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة رضي الله عنها: «كان يخصف نعله ويخيط ثوبه ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته» ورجاله رجال الصحيح، ورواه أبو الشيخ بلفظ «ويرقع الثوب» وللبخاري مَن حديث عائشة رضي الله عنها: «كان يكون في مهنة أهله».

(٥) قال العراقي: رواه أحمد من حديث عائشة، أرسل إلينا آل أبي بكر بقائمة شاة ليلاً، فأمسكت، وقطع رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو قالت: فأمسكه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقطعنا.
وفي الصحيحين من حديث عبد الرحمن بن أبي بكر في أثناء حديث: وأيم الله ما من الثلاثين ومائة إلا حز له رسول الله صلى الله عليه وسلم من سواد بطنها.

(٦) قال العراقي: رواه الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري، قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد حياء من العذراء في خدرها»، انتهى. ورواه الترمذي في الشمائل، والعذراء البكر لأن عذرتها وهي جلدة بكارتها باقية. وفيه شأن عظيم في حيائه صلى الله عليه وسلم وأن الحياء من الأوصاف المحمودة المطلوبة المرغب فيها، وقد جمع له صلى الله عليه وسلم الغريزي والمكتسب الذي هو مناط التكليف، فكان في الغريزي أشد حياء من البكر في خدرها، ومن ذلك ما روي أنه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه أحد.

ويجيب دعوة العبد والحر(١)، ويقبل الهدية ولو أنها جرعة لبن، أو فخذ أرنب، ويكافيء عليها(٢)، ويأكلها ولا يأكل الصدقة(٣)، ولا يستكبر عن إجابة الأَمَة والمسكين(٤)، يغضب لربه ولا يغضب لنفسه(٥)، وينفذ الحق وإن عاد ذلك عليه بالضرر، أو على أصحابه(٦)، عرض عليه الانتصار بالمشركين على المشركين وهو في قلة وحاجة إلى إنسان واحد يزيده في عدد من معه فأبى، وقال: أنا لا أنتصر بمشرك(٧).

---

(١) قال العراقي: رواه الترمذي، وابن ماجة، والحاكم من حديث أنس: «كان يجيب دعوة المملوك» قال الحاكم: صحيح الإسناد.

(٢) قال العراقي: روى البخاري من حديث عائشة قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل الهدية ويثيب عليها». والذي رواه البخاري من جهة قبول الهدية الإثابة عليها، رواه كذلك أحمد، وأبو داود، والترمذي في السنن، وفي الشمائل، ومعنى «يثيب عليها» أي: يجازي عليها، فيسن التأسي به صلى الله عليه وسلم، لكن محل ندب القبول حيث لا شبهة قوية فيها، وندب الإثابة حيث لم يظن المهدى إليه أن المهدي إنما أهدى له حياء لا في مقابل، فأما إذا ظن أن الباعث عليه إنما هو الإثابة فلا يجوز له إلا إن أثابه بقدر ما في ظنه مما تدل عليه قرائن حاله.

(٣) رواه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه أحمد والطبراني من حديث سلمان، وابن سعد من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) قال العراقي: رواه النسائي والحاكم من حديث عبد الله بن أبي أوفى بسند صحيح. ورواه أيضاً الحاكم من حديث أبي سعيد، وقال: صحيح على شرط الشيخين، انتهى.

(٥) قال العراقي: رواه الترمذي في الشمائل، في حديث هند بن أبي هالة، وفيه: وكان لا تغضبه الدنيا وما كان منها، فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.

(٦) أشار به إلى قصة أبي جندل بن سهل بن عمرو وهي عند البخاري في قصة الحديبية، وذكرها في الشروط مطولة كذا وجد بخط الحافظ ابن حجر في طرة كتاب شيخه، وقد أغفله الحافظ العراقي.

(٧) قال العراقي: رواه مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها، «خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل بدر، فلما كان بحرة الوبرة، أدركه رجل قد كان تذكر منه جرأة ونجدة، ففرح به أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه، فلما أدركه قال: جئت =

ووجد من فضلاء أصحابه وخيارهم قتيلاً بين اليهود فلم يحف عليهم[(١)]، ولم يزد على مر الحق[(٢)]، بل وداه بمائة ناقة، وإن بأصحابه لحاجة إلى بعير واحد يتقوون به[(٣)].

وكان صلى الله عليه وسلم يعصب الحجر على بطنه من الجوع[(٤)]، يأكل ما حضر، ولا يرد ما وجد[(٥)]، ولا يتورع عن مطعم حلال[(٦)]، وإن

= لأنفعك وأصيب معك، قال له: تؤمن بالله ورسوله؟ فقال: لا. قال: فارجع فلن نستعين بمشرك» الحديث. وكذلك رواه أحمد، وأبو داود، وابن ماجة بلفظ آخر. وروى البيهقي من حديث أبي حميد الساعدي قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد حتى جاوز ثنية الوداع، إذا كتيبة خشناء، قال: من هؤلاء؟، قال: عبد الله بن أبي في ستمائة من مواليه بني قينقاع، قال: وقد أسلموا؟ قالوا: لا. قال: «فليرجعوا، إنا لا نستعين بالمشركين على المشركين».

(١) أي: لم يَجُر.

(٢) أي لم يتجاوز عن الحق الذي هو مر.

(٣) قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن أبي حثمة، ورافع بن خديج، والرجل الذي وجد مقتولاً هو عبد الله بن سهل الأنصاري.

(٤) قال العراقي: متفق عليه من حديث جابر في قصة حفر الخندق، وفيه: فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد شد على بطنه حجراً.
وروى الترمذي من حديث أبي طلحة رضي الله عنه: شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع ورفعنا عن بطوننا عن حجر حجر، فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حجرين» ورجاله كلهم ثقات، انتهى. وحكمة شد الحجر أنه يسكن بعض ألم الجوع لأن البطن إذا خلا ضعف صاحبه عن القيام بتقوس ظهره، فاحتيج لربط الحجر لشده وإقامة صلبه.
ومما أكرم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أنه مع تألمه بالجوع ليضاعف له الأجر حفظ قوته ونضارة جسمه، حتى أنه من رآه لا يظن به جوعاً. بل كان جسمه الشريف صلى الله عليه وسلم مع ذلك يرى أشد نضارة ورونقاً من أجسام المترفهين بنعيم الدنيا.

(٥) وفي كتاب الشمائل لأبي الحسن بن الضحاك بن المقري من رواية الأوزاعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما أبالي ما رددت به». عنى به الجوع. ورواه ابن المبارك في الزهد، عن الأوزاعي كذلك.

(٦) ففي الترمذي من حديث أم هانيء قالت: دخل علي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: =

وجد تمراً دون خبز أكله[١]، وإن وجد شواء أكله[٢]، وإن وجد خبز بر أو شعير أكله[٣]، وإن وجد حلوى أو عسلاً أكله[٤]، وإن وجد لبناً دون خبز اكتفى به، وإن وجد رطباً وبطيخاً أكله[٥]، لا يأكل متكئاً ولا على خوان، منديله باطن قدميه[٦].

= «أعندك شيء؟» قلت: لا إلا خبز يابس وخل، فقال: «هاتي» الحديث.
ولمسلم من حديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم سأل أهله الأدم فقالوا: ما عندنا إلا خل، فدعا به، انتهى.

(١) روى مسلم والترمذي من حديث أنس رضي الله عنه قال: رأيته مقعياً يأكل تمراً.
وروى أبو داود من حديث أنس قال: «كان يؤتى بالتمر فيه دود فيفتشه يخرج السوس منه».

(٢) رواه الترمذي في السنن وصححه.
وكذا في الشمائل من حديث أم سلمة أنها خرجت له جنباً مشوياً فأكل منه، الحديث.

(٣) روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها: «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله» لفظ مسلم. وفي رواية له: «ما شبع من خبز شعير يومين متتابعين»، وللطبراني في الكبير من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «كان يجلس على الأرض ويأكل على الأرض ويعتقل الشاة، ويجيب دعوة المملوك على خبز الشعير».
وروى الترمذي في الشمائل: «كان يدعى إلى خبز الشعير والإهالة السنخة».

(٤) وروى الشيخان والأربعة من حديث عائشة رضي الله عنها: كان يحب الحلواء والعسل». قال الخطابي: لم تكن محبته صلى الله عليه وسلم للحلواء على معنى كثرة التشهي لها وشدة نزع النفس، وإنما كان ينال منها إذا حضرت نيلاً صالحاً فيعلم بذلك أنها تعجبه، صلى الله عليه وسلم.

(٥) روى الحاكم من حديث أنس قال: كان يأكل الرطب ويلقي النوى في الطبق. وروى النسائي من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان يأكل الرطب بالبطيخ «وإسناده صحيح. ولفظ الترمذي: «كان يأكل البطيخ بالرطب «وهكذا رواه ابن ماجة من حديث سهل بن سعد، والطبراني من حديث عبد الله بن جعفر، وزاد أبو داود والبيهقي في حديث عائشة، ويقول: «يكسر حر هذا ببرد هذا، وبرد هذا بحرِّ هذا». وروى الطبراني في الأوسط والحاكم وأبو نعيم في«الطب» من حديث أنس قال: «كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكانا أحب الفاكهة إليه».

(٦) قال الحافظ العراقي: لا أعرفه من فعله صلى الله عليه وسلم، وإنما المعروف فيه ما =

لم يشبع من خبز بر ثلاثة أيام متوالية، حتى لقي الله تعالى، إيثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً[1]. يجيب الوليمة[2]، ويعود المرضى[3]، ويشهد الجنائز[4]، ويمشي وحده بين أعدائه بلا حارس[5].

= رواه ابن ماجة من حديث جابر رضي الله عنه: كنا زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم قليلاً ما نجد الطعام، فإذا وجدناه لم تكن لنا مناديل إلا أكفنا وسواعدنا.
قلت: وليس في هذا الحديث حجة لمن يتمسك بظاهره من كراهة الأكل بالوسائل المحدثة في أيامنا من «ملاعق، وسكاكين وغيرها من وسائل» لو كانت في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لاستعملها دون شك ولا ريب، لأنه صلى الله عليه وسلم بعث ليتمم مكارم الأخلاق، وهو الطاهر المطهر، يحب النظافة ويدعو إليها، وهل من النظافة أن يأكل الإنسان بيده المتسخة دون أن يغسلها ويطهرها بما حضر من وسائل النظافة؟، وهل من النظافة أن يأكل الإنسان بيده الوسخة وأمامه من الوسائل ما يساعده على الأكل؟، اللهم لا، وإنما كان ذلك فيما روي كما مر حيث لم تكن في وقتهم وسائلنا، وإلا لكانوا أول من استخدمها، فاللهم صل على معلم الناس الخير.

(١) رواه الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها: «ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام تباعاً من خبز بر حتى مضى لسبيله». وقد تقدم.

(٢) الوليمة طعام العرس، وفي الأوسط للطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن كان الرجل من أهل العوالي، ليدعو رسول الله صلى الله عليه وسلم بنصف الليل على خبز الشعير فيجيب» وإسناده ضعيف.

(٣) حتى لقد عاد غلاماً يهودياً كان يخدمه، وعاد عمه وهو مشرك، وعرض عليهما الإسلام، وقصته في البخاري. وروى أبو داود من حديث عائشة: «كان يعود المريض وهو معتكف».

(٤) روى الترمذي وابن ماجه وضعفه، والحاكم وصححه، من حديث أنس قال: «كان يعود المرضى ويشهد الجنائز». ورواه الحاكم من حديث سهل بن حنيف، وقال: صحيح الإسناد.

(٥) رواه الترمذي والحاكم من حديث عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾، فأخرج رأسه من القبة فقال: انصرفوا فقد عصمني الله» قال الترمذي: غريب، وقال الحاكم: صحيح الإسناد.

وكان ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ أشد الناس تواضعاً[١]، وأسكنهم[٢] في غير كبر[٣]، وأبلغهم في غير تطويل[٤]، وأحسنهم بشراً[٥]، لا يهوله شيء من أمور الدنيا، يلبس ما وجد فمرة شملة، ومرة برد حبرة يمانياً، ومرة جبة صوف، ما وجد من المباح لبس[٦]،

---

(١) اعلم أن العبد لا يبلغ حقيقة التواضع وهو التذلل، والتخشع، إلا إذا أدام تجلي نور الشهود في قلبه، لأنه حينئذ يذيب النفس ويصفيها عن غش الكبر، والعجب، فتلين وتطمئن للحق، والحق يمحو آثارها، ويسكن وهجها، ونسيان حقها والذهول عن النظر إلى قدرها. ولما كان الحظ الأوفر من ذلك لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم كان أشد الناس تواضعاً وحسبك شاهداً على ذلك أن الله سبحانه خيره بين أن يكون ملكاً نبياً أو نبياً عبداً، فاختار أن يكون نبياً عبداً، ومن ثم لم يأكل متكئاً بعد، وقال: «آكل كما يأكل العبد حتى فارق الدنيا». ولم يقل لشيء فعله أنس خادمه أف قط، وما ضرب أحداً من عبيده وإمائه وهذا أمر لا يتسع له الطبع البشري لولا التأييد الإلهي.

(٢) أي أكثرهم سكوناً.

(٣) قال الحافظ العراقي: روى أبو داود وابن ماجة، من حديث البراء، «فجلس وجلسنا كأن على رؤوسنا الطير». ولأصحاب السنن من حديث أسامة بن شريك: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير». وفي الشمائل للترمذي: «أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير، فإذا سكت تكلموا» وقوله: «كأنما على رؤوسهم الطير» كناية عن كونهم عند كلامه صلى الله عليه وسلم على غاية تامة من السكوت والإطراق، وعدم الحركة والالتفات، أو عن كونهم مهابين مدهوشين في هيئته أن كلامه عليه أبهة الوحي، وجلال الرسالة. وهذه الحالة إنما هي من تخلقهم بأخلاقه صلى الله عليه وسلم، إذ كان صلى الله عليه وسلم لكمال استغراقه بالمشاهدة في سكون دائم وإطراق ملازم.

(٤) قال العراقي: روى الشيخان من حديث عائشة كان يحدث حديثاً لو عدّه العاد لأحصاه. ولهما من حديثها: لم يكن يسرد الحديث كسردكم. علقه البخاري، ووصله مسلم. زاد الترمذي: ولكنه كان يتكلم بكلام يبينه فصل يحفظه من جلس إليه، وله في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة يتكلم بجوامع الكلم فصل لا فضول ولا تقصير.

(٥) قال الحافظ العراقي: رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي بن أبي طالب.وله في الجامع من حديث عبد الله بن الحارث بن جزء.

(٦) قال العراقي: روى البخاري من حديث سهل بن سعد: «جاءت امرأة ببردة». قال سهل: هل تدرون ما البردة؟ هي الشملة منسوج في حاشيتها، وفيه: «فخرج علينا وأنها لإزاره» =

وخاتمه فضة[١]، يلبسه في خنصره الأيمن[٢]، وربما لبسه في الأيسر[٣]».

شعر:

كف الرسالة ليس يخفي حسنها وتمام حسن الكف لبس الخاتم

«يردف خلفه عبده أو غيره[٤]، ....

= الحديث. ولابن ماجة من حديث عبادة بن الصامت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم «صلى في شملة قد عقد عليها». وللشيخين من حديث أنس: «كان أحب الثياب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يلبسها الحبرة». ولهما من حديث المغيرة: وعليه جبة من صوف ضيقة الكمين.

(١) متفق عليه من حديث أنس: «اتخذ خاتماً من فضة».

(٢) رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة من حديث أنس: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لبس خاتم فضة في يمينه» وللبخاري من حدبثه: «فإني لأرى بريقه في خنصره» ولأن التختم فيه نوع تشريف وزينة، واليمين أولى وأحق، وبه قال أبو حنيفة والشافعي.

(٣) وذلك لبيان الجواز. روى مسلم وأحمد عن أنس: «كان خاتمه صلى الله عليه وسلم في هذه» وأشار لخنصر يساره. ورواه أبو داود من حديث عمر: «كان صلى الله عليه وسلم يتختم في يساره». وهو مذهب مالك، ورواية عن أحمد.

وقد انتصر بعضهم لأفضلية التختم في اليسار، حتى قال بعض الحفاظ: التختم بها مروي عن عامة الصحابة والتابعين.

والجواب: إن حديث التختم في اليمين رواه مسلم وأحمد والترمذي والنسائي وابن ماجة.

وقال الترمذي: قال محمد يعني البخاري هذا أصح شيء عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الباب، وإذا كان حديثه أصح، وكان هو الموافق للمعروف من حاله صلى الله عليه وسلم أنه كان يؤثر اليمين بكل ما فيه تكريم وزينة فلا محيد عن اعتماد أفضلية التختم باليمين.

ذكره الزبيدي في الإتحاف ٨/ ٢١١ ط دار الكتب العلمية.

(٤) أردف صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد من عرفة، كما ثبت في الصحيحين، من حديث ابن عباس، ومن حديث أسامة، وأردفه مرة أخرى على حمار، وهو في الصحيحين أيضاً من حديث ابن عباس، ومن حديث أسامة وهو مولاه وابن مولاه. وأردف الفضل بن عباس من المزدلفة، وهو في الصحيحين، وأردف معاذ بن جبل وابن عمر وغيرهم من الصحابة، قاله العراقي. =

يركب ما أمكنه، مرة فرساً(١)، ومرة بعيراً(٢)، ومرة بغلة شهباء(٣)، ومرة حماراً(٤)، ومرة يمشي راجلاً، [ومرة يمشي]حافياً، [ومرة] بلا رداء، ولا عمامة، ولا قلنسوة.

يعود ـ صلى الله عليه وسلم ـ المرضى في أقصى المدينة(٥)، يحب الطيب ويكره الرائحة الرديئة(٦).

وكان ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يجالس الفقراء(٧)،

= وفي السيرة الطبرية: ركوب أبي هريرة رضي الله عنه خلفه صلى الله عليه وسلم على حمار عري وهو متوجه إلى قباء.

(١) روى الشيخان من حديث أنس ركوبه صلى الله عليه وسلم فرساً لأبي طلحة، ولمسلم من حديث سمرة ركوبه الفرس عرياً حين انصرف من جنازة ابن الدحداح، ولمسلم من حديث سهل بن سعد: كان للنبي صلى الله عليه وسلم فرس يقال لها اللخيف.

(٢) روى الشيخان من حديث البراء ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهم: «طاف النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع على بعير».

(٣) روى الشيخان من حديث البراء: «رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على بغلته البيضاء يوم حنين».

(٤) روى الشيخان من حديث أسامة: «أنه صلى الله عليه وسلم ركب على حمار أكاف».

(٥) روى مسلم في صحيحه: من حديث ابن عمر رضي الله عنهما في عيادته صلى الله عليه وسلم لسعد بن عبادة: «فقام وقمنا معه ونحن بضعة عشر، ما علينا نعال، ولا خفاف، ولا قلانس، ولا قمص، نمشي في السباخ».

(٦) اعلم أنه صلى الله عليه وسلم كان طيب الرائحة دائماً وإن لم يمس طيباً، ومن ثم قال أنس: «ما شممت ريحاً قط ولا مسكاً ولا عنبراً أطيب من ريح رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وروى أبو يعلى والبزار بسند صحيح: «أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا مر من طريق وجد منه رائحة المسك».

وقال: «مر رسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا الطريق» ومع ذلك كان يحب الطيب والروائح الطيبة. ولابن عدي من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها وسائر الصحابة أجمعين: كان صلى الله عليه وسلم يكره أن يوجد منه إلا ريح طيبة.

(٧) روى أبو داود من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: «جلست في عصابة من =

ويؤاكل المساكين[1]، ويكرم أهل الفضل في أخلاقهم، ويتألف أهل الشرف بالبر لهم[2]، ويصل ذوي رحمه من غير أن يؤثرهم على من هو أفضل منهم[3]، لا يجفو على أحد[4]، يقبل معذرة المعتذر إليه[5]، يمزح ولا يقول إلا حقاً»[6]. وقال غيره: ودخل يوماً على أم سليم وقد مات نغير ابنها من أبي طلحة فقال: يا أبا عمير ما فعل النغير؟[7].

= ضعفاء المهاجرين أن بعضهم ليستتر ببعض من العري» وفيه: «فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وسطنا ليعدل بنفسه فينا» الحديث.

(١) روى البخاري من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «وأهل الصفة أضياف الإسلام لا يأوون إلى أهل ولا مال، ولا على أحد، إذا أتته صدقة بعث بها إليهم، ولم يتناول منها، فإذا أتته هدية أرسل إليهم وأصاب منها، وأشركهم فيها».

(٢) روى الترمذي في الشمائل من حديث علي الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم: «وكان من سيرته إيثار أهل الفضل بإذنه وقسمه على قدر فضلهم في الدين»، وفيه: «ويؤلفهم ولا ينفرهم، ويكرم كريم كل قوم، ويوليه عليهم». الحديث.

(٣) روى الحاكم من حديث ابن عباس: «كان يجل العباس إجلال الوالد والوالدة».

(٤) روى أبو داود والترمذي في الشمائل والنسائي في اليوم والليلة، من حديث أنس: «قلَّ ما يواجه رجلاً بشيء يكرهه».

(٥) متفق عليه من حديث كعب بن ملك في قصة الثلاثة الذين خُلِّفوا وفيه: «طفق المخَلَّفون يعتذرون إليه فقبل منهم علانيتهم».

(٦) رواه أحمد من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وهو عند الترمذي بلفظ: «قالوا: إنك تداعبنا. قال: إني لا أقول إلا حقاً» وقال: حسن، قاله العراقي.

(٧) رواه البخاري في كتاب الأدب ـ باب الانبساط إلى الناس، حديث رقم ٦١٢٩، ١٠/ ٥٢٦، وباب ١١٢، الكنية للصبي، وقبل أن يولد للرجل، رقم ٦٢٠٣، ١٠/ ٥٨٢، بأتم منه، عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أحسن الناس خلقاً، وكان لي أخ يقال له: أبا عمير، قال: أحسبه فطيماً، وكان إذا جاء قال: يا أبا عمير، ما فعل النغير؟، نغر كان يلعب به، فربما حضر الصلاة وهو في بيتنا، فيأمر بالبساط الذي تحته فيكنس وينضح، ثم يقوم ونقوم خلفه فيصلي بنا. ورواه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب ٤٨، جواز الجماعة في النافلة، حديث رقم ٦٥٩، ١/ ٤٥٧، نحو لفظ البخاري الطويل دون قصة الصلاة.

قلت: ويظهر من ذلك فوائد خمسة: **الأولى**: تكنية الصغير. **الثانية**: الانبساط مع الصبي. **الثالثة**: تصغير النغر، وهو خلق من خلق الله. **الرابعة**: جواز السجع. **الخامسة**: جواز لعب الصغير بالنغير. والله أعلم.

وجاءته امرأة؛ فقالت: يا رسول الله إن زوجي مريض وهو يدعوك. فقال: لعل زوجك الذي في عينيه بياض؟، فرجعت المرأة وفتحت عين زوجها لتنظر!!، فقال: ويحك، وهل أحد إلا وفي عينيه بياض؟[1].

وجاءته أخرى فقالت: يا رسول الله!، ادع الله أن يدخلني الجنة. فقال: يا أم فلان إن الجنة لا تدخلها عجوز!!، قال: فولّت تبكي. فقال: «أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ﴿٣٥﴾ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ﴿٣٧﴾ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ﴿٣٨﴾﴾»[2]. **وقالت عائشة رضي الله عنها**: سابقته فسبقته، فلما كثر لحمي سابقته فسبقني؛ فضرب كتفي وقال: هذه بتلك[3].

---

(١) روى الزبير بن بكار في كتاب «الفاكه» عن زيد بن أسلم مرسلاً: «أن امرأة يقال لها أم أيمن جاءت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت: «إن زوجي يدعوك، قال: من هو؟ أهو الذي بعينيه بياض؟ فقالت: أيُّ يا رسول الله!! والله ما بعينيه بياض، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: بل إن بعينيه بياضاً. فقالت: لا والله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: وهل من أحد إلا وبعينيه بياض ». ذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد ٧/ ١١٤.

(٢) سورة الواقعة ـ الآية ٣٥ ـ ٣٦. والحديث رواه عبد بن حميد في مسنده كما في تفسير ابن كثير ٤/ ٢٩١، وابن المنذر والبيهقي في البعث مرسلاً، كما في الدر المنثور ٦/ ١٥٨، والبغوي في تفسيره ٤/ ٢٨٣، وفي الشمائل رقم ٣٢٠، ١/ ٢٥٨.

(٣) عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض أسفاره، وأنا جارية لم أحمل اللحم، ولم أبدُنْ، فقال للناس: «تقدموا»، ثم قال: «تعالي حتى أسابقك» فسابقته، فسبقته، فسكت عني، حتى حملت اللحم، وبدنت، فسبقني، فجعل يضحك، ويقول: «هذه بتلك». أخرجه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٣٩ و٢٦٤، والبيهقي في السنن الكبرى ١٠/ ١٨.

وجاء صلى الله عليه وسلم إلى السوق من وراء رجل اسمه زاهر، وكان صلى الله عليه وسلم يحبه، فوضع يديه على عينيه وما كان يعرف أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: من يشتري العبد؟، فجعل يمسح ظهره برسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول: إذن تجدني كاسداً يا رسول الله!!. فقال صلى الله عليه وسلم: لكنك عند ربك لست بكاسد[1].

ورأى صلى الله عليه وسلم حسيناً مع صبية في السكة، فتقدم صلى الله عليه وسلم أمام القوم، ولحق الحسين، ففر هارباً، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يضاحكه، حتى أخذه فجعل إحدى يديه تحت ذقنه، وجعل الأخرى فوق رأسه.

وكان صلى الله عليه وسلم يدخل إلى عائشة رضي الله عنها، والجواري يلعبن عندها، فإذا رأينه تفرقن، فيسيرهن إليها[2].

---

(١) الحديث كما في الشمائل عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «أن رجلاً من أهل البادية كان اسمه زاهراً، وكان يهدي إلى النبي صلى الله عليه وسلم الهدية من البادية، فيجهزه النبي صلى الله عليه وسلم إذا أراد أن يخرج، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إن زاهراً باديتنا، ونحن حاضروه». وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه، وكان رجلاً دميماً، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره، فقال: من هذا؟ أرسلني!!، فالتفت فعرف النبي صلى الله عليه وسلم، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي صلى الله عليه وسلم حين عرفه، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «من يشتري هذا العبد؟» فقال: يا رسول الله، إذن والله تجدني كاسداً!!، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لكن عند الله لست بكاسد»، أو قال: «أنت عند الله غال».

رواه الإمام أحمد في المسند ٣/ ١٦٠، وأبو يعلى في المسند ـ الحديث رقم ٣٤٥٦، ٦/ ١٧٣، والبزار في المسند ـ حديث رقم ٢٧٣٥، ٣/ ٢٧٤.

(٢) روى الشيخان والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم عيد فطر أو أضحى، وفي لفظ أيام منى، وعندي جاريتان يغنيان، بما تقالت الأنصار يوم بعاث، قالت: وليستا بمغنيتين تدفقان فاضطجع على فراشي، وحوّل وجهه، ودخل أبو بكر فانتهرني وقال: مزمار الشيطان؟ وفي رواية: «أمزمَور الشيطان في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟» فأقبل عليه رسول الله صلى الله =

وقال لها يوماً وهي تلعب بلعبتها: ما هذه يا عائشة؟ قالت: خيل سليمان بن داود. فضحك صلى الله عليه وسلم، وطلب الباب، فابتدرته واعتنقته، فقال: مالك يا حميراء؟، فقالت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله!!!، ادع الله لي أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر.

قال: فرفع يديه، حتى بدا بياض إبطيه وقال: اللهم اغفر لعائشة بنت أبي بكر مغفرة ظاهرة وباطنة، لا تغادر ذنباً تكتسب بعدها خطيئة، ولا إثما. وقال صلى الله عليه وسلم: أفرحت؟ قالت: إي والذي بعثك بالحق، فقال: والذي بعثني بالحق، ما خصصتك بها من بين أمتي، وإنها صلاتي لأمتي في الليل والنهار، فيمن مضى منهم، ومن بقي، ومن هو آت إلى يوم القيامة، وإنما أدعو لهم، والملائكة يؤمنون على دعائي، صلى الله عليه وسلم، انتهى[1].

يضحك من غير قهقهة[2]، يرى اللعب المباح فلا ينكره ويسابق أهله، وترتفع الأصوات عليه في مجلسه فيصبر[3]، وكان له لقاح وغنم، يتقوت

= عليه وسلم: «دعهما لكل قوم عيد، وهذا عيدنا» فلما غفل غمزتهما فخرجتا، وكان يوم عيد يلعب السودان بالدرق والحراب، فأما سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم وإما قال: تشتهين تنظرين؟، فقلت: نعم. فأقامني وراءه خدي على خده، ويقول: دونكم يا بني أرفدة، فزجرهم عمر، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أمناً يا بني أرفدة، حتى إذا مللت» قال: حسبك، قلت: نعم. قال: فاذهبي، قالت: فاقدروا حق الجارية العربية الحديثة السن. أخرجه البخاري ١/ ٤٤٥و٩٥٢و٩٨٧، ومسلم ٢/ ٦٠٧، والنسائي ٣/ ١٩٧، والبيهقي في السنن الكبرى ٧/ ٩٢، و١٠/ ٢٢٤.

(١) رواه الحاكم في المستدرك ٤/ ١١، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٤٣ و٢٤٤ وقال: رواه البزار ورجاله رجال الصحيح، غير أحمد بن منصور الرمادي وهو ثقة، والمتقي الهندي في الكنز ١٢/ ٣٤٣٦٩، وابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ١٣٢.

(٢) روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها قالت: ط ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم قط مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى لهواته، إنما كان يتبسم. وللترمذي من حديث عبد الله بن الحرث ابن جزء: «ما كان ضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبسماً».

(٣) قال الحافظ العراقي: روى البخاري من حديث عبد الله بن الزبير: قدم ركب من =

هو وأهله من ألبانها، وكان له عبيد وإماء لا يرتفع عليهم في مأكل ولا ملبس[1]، ولا يمضي له وقت في غير عمل لله تعالى، أو فيما لا بد له منه لصلاح نفسه[2]، يخرج إلى بساتين أصحابه، لا يحقر مسكيناً لفقره وزمانته، ولا يهاب ملكاً لملكه، يدعو هذا وهذا إلى الله دعاء واحداً[3]، قد جمع الله له السيرة الفاضلة، والسياسة التامة، وهو أمي لا يقرأ ولا يكتب، نشأ في بلاد الجهل والصحاري في فقر، وفي رعاية الغنم، يتيماً لا أب له، ولا أم، فعلَّمه الله تعالى جميع محاسن الأخلاق، والطرق الحميدة، وأخبار الأولين والآخرين، وما فيه النجاة والفوز في الآخرة، والغبطة والخلاص من الدنيا، ولزوم الواجب وترك الفضول.

فائدتان:

الأولى: سئل محمد بن جعفر الصادق رضي الله عنه: لم يُتِّم النبي صلى الله عليه وسلم؟. فقال: لئلا يكون عليه حق لمخلوق.

= بني تميم على النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما فنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ أول سورة الحجرات.

(١) روى محمد بن سعد في الطبقات من حديث سلمى قالت: «كان خدم النبي صلى الله عليه وسلم أنا وخضرة ورضوى، وميمونة بنت سعد، أعتقهن كلهن».

(٢) روى الترمذي في الشمائل من حديث علي رضي الله عنه: «كان إذا آوى إلى منزله جزَّأ دخوله ثلاثة أجزاء، جزءاً لله تعالى، وجزءاً لأهله، وجزءاً لنفسه، ثم جزَّأ جزاه بينه وبين الناس، فرد ذلك بالخاصة على العامة» الحديث.

(٣) روى البخاري من حديث سهل بن سعد: «مر رجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما تقولون في هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن ينكح، الحديث.
وفيه: «فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: ما تقولون في هذا. قالوا: حري إن خطب أن لا ينكح!»، الحديث، وفيه: «هذا خير من ملء الأرض مثل هذا» ولمسلم من حديث أنس «أن النبي صلى الله عليه وسلم كتب إلى كسرى وقيصر والنجاشي وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله عز وجل».

الثانية: كونه صلى الله عليه وسلم أمياً لا يقرأ ولا يكتب؛ يظهر سره من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يتحقق الأئمة العارفون بأنه عليه أفضل الصلاة والسلام لم يكتب قط كتاباً، ولا يتعاطى ذلك ولا تعلَّمه، وأن القرآن العظيم، والكتاب العزيز، منزل بلا علاج ولا اكتساب، فيتضح وجه الصواب، وينتفي اللبس والارتياب.

الوجه الثاني: أن الكتابة علاج ضروري لأجل قصور الأذهان عن استيعاب حفظ ما يتعين حفظه، والكتابة تنفع في حصول هذا الغرض، فإذا أعطى الله نبيه من الحفظ والذكاء ما يستغني به عن الواسطة كان ذلك أشرف في حقه عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات، وأرفع لقدره، قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾﴾[2]، فكان الضمان لحفظ القرآن، والعصمة من النسيان، والوعد بالقدرة على البيان أجل من التسبب في ذلك بكتابة يغسلها الماء، وتأكلها الأرضة، وهي هدف لأسباب كثيرة، وعريضة.

الوجه الثالث: أن الكتابة تصوير وتشكيل وتخطيط، ومقامه صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من أن يتعاطى بنفسه ما ينطلق عليه اسم التصوير، وقد نهى عليه الصلاة والسلام على التصوير، وشدد في النهي، وإن كانت فضيلة، فإنما كانت فضيلة لحاجة من اتصف بها إليها، فهي فضيلة تستلزم نقيصة، وغضاً منه، ثم يكون الأفضل لمن رفع الله قدره عن هذه الطبقة عدم تلك الفضيلة بغضاضة الحاجة حتى تكون فضائله متمحضة متخلصة.

---

(١) سورة القيامة ـ الآية ١٦.

(٢) سورة الأعلى ـ الآية ٦.

وأيضاً: فإن الكتابة صناعة، وليست بعلم، وقد نزَّه الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم عنها فقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1].

فإن قلت: فقد أطلق الله تعالى على الكتابة علماً، فقال: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُ ۚ فَلْيَكْتُبْ﴾[2]. فجعل الكتابة علماً، وأضاف تعليمه إليه؟.

قلت: المراد هنا أحكام العقود المكتوبة، والعلم بشروط الوثائق المحررة، لا رسم نفس الخط.

فإن قلت: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾﴾[3]، ما هو؟.

قلت: المراد علمه المعلومات المكتوبة بالقلم، لا نفس الكتابة، هذا معنى كلام ابن المنير رحمه الله تعالى، وأكثر لفظه.

[بيان جملة أخرى من آدابه وأخلاقه صلى الله عليه وسلم]

وما شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم أحداً من المؤمنين إلا قال: اللهم اجعل ذلك كفارة ورحمة[4]. وما لعن امرأة قط ولا خادماً بلعنة[5]. وقيل له [وهو] في القتال: لو لعنتهم يا رسول الله؟، فقال: «إنما بعثت

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية ٤٨.

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٢٨٢.

(٣) سورة العلق ـ الآية ٤.

(٤) قال العراقي: متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، في أثناء حديث فيه: فأي المؤمنين شتمته لعنته، جلدته، فاجعلها له صلاة وزكاة وقربة». وفي رواية: «فاجعلها زكاة ورحمة» وفي رواية: «فاجعل ذلك له كفارة يوم القيامة».

(٥) قال العراقي: المعروف «ما ضرب» مكان «لعن» كما هو متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، وللبخاري من حديث أنس: «لم يكن فحّاشاً ولا لعّاناً».

رحمة ولم أبعث لعّاناً»(١). وكان إذا سئل الدعاء على أحد مسلم أو كافر أو عام أو خاص عدل من الدعاء عليه ودعا له(٢). وما ضرب صلى الله عليه وسلم بيده أحداً قط إلا أن يضرب بها في سبيل الله، وما انتقم من شيء صنع له قط إلا أن تنتهك حرمة الله(٣).

وما خُيِّر صلى الله عليه وآله وسلم بين شيئين إلا اختار أيسرهما، إلا أن يكون فيه إثم أو قطيعة رحم، فيكون أبعد الناس من ذلك(٤).

وما كان يأتيه أحد [حرٌ] أو عبد، أو أمة إلا قام معه في حاجته(٥).

---

(١) رواه مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وروى البخاري في التاريخ بلفظ: «إنما بعثت رحمة ولم أبعث عذاباً».

(٢) روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قالوا: يا رسول الله إن دوساً قد كفرت وأبت فادع عليها. فقيل: هلكت دوس. فقال: «اللهم اهد دوساً وأت بهم» ولما آذاه المشركون يوم أحد وكسروا رباعيته وشجوا وجهه وشق ذلك على أصحابه فقالوا: لو دعيت عليهم؟ فقال: «إني لم أبعث لعَّاناً ولكن بعثت داعياً ورحمة، اللهم اغفر لقومي أو اهد قومي فإنهم لا يعلمون».

(٣) رواه الترمذي في الشمائل من حديث علي: «ولا ضرب بيده شيئاً قط إلا أن يجاهد، ولا ضرب خادماً ولا امرأة، وما رأيته منتصراً من مظلمة ظلمها ما لم تنتهك محارم الله»، وفي المتفق من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها، نحو ذلك.

(٤) أي: إما أن يخيره الله تعالى فيما فيه عقوبتان فيختار الأخف، أو في قتال الكفار وأخذ الجزية فيختار أخذها، أو في حق أمته في المجاهدة في العبادة والاقتصاد فيختار الاقتصاد، وإما بأن يخيره المنافقون أو الكفار فعلى هذا قوله «إلا أن يكون فيه إثم».
رواه البخاري والترمذي في الشمائل، والطبراني من حديث عائشة رضي الله عنها، ولفظ البخاري: «ما لم يكن إثماً فإن كان إثماً كان أبعد الناس منه» ولفظ الترمذي: «مأثماً»، ولفظ الطبراني: «ما لم يكن لله فيه سخط».

(٥) روى البخاري تعليقاً من حديث أنس رضي الله عنه: «إن كانت الأمَةُ من إماء أهل المدينة لتأخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت». ووصله ابن ماجة وقال: «وما ينزع يده من يدها حتى تذهب حيث شاءت من المدينة في حاجتها».
وفي حديث ابن أبي أوفى: «ولا يأنف ولا يستكبر أن يمشي مع الأرملة والمسكين حتى يقضي لهما حاجتهما».

وقال أنس: والذي بعثه بالحق ما قال [لي] في شيء كرهه قط: لم فعلته؟، ولا لامني أحد من أهله إلا قال: «دعوه، إنما كان هذا بكتاب، وقدر»[1].

وما عاب صلى الله عليه وآله وسلم مضجعاً، إن فرشوا له اضطجع، وإن لم يفرشوا له اضطجع على الأرض[2].

وقد وصفه الله تعالى في التوراة، قبل أن يبعثه في السطر الأول فقال: «محمد رسول الله عبدي المختار، لا فظ، ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق[3]، ولا يجزي بالسيئة السيئة، ولكن يعفو ويصفح، مولده بمكة، وهجرته بطابة[4]، وملكه بالشام، يأتزر على وسطه، هو ومن معه، رعاة للقرآن والعلم[5]، يتوضأ على أطرافه»[6].

---

(١) روى الشيخان من حديثه: «ما قال لشيء صنعته ولا لشيء تركته»، وروى أبو الشيخ في كتاب الأخلاق من حديث له قال فيه: «ولا أمرني فتوانيت فيه فعاتبني عليه، فإن عاتبني أحد من أهله قال: دعوه فلو قدر شيء كان» وفي رواية له: «كذا قضي».

(٢) قال الحافظ العراقي: لم أجده بهذا اللفظ، والمعروف: «ما عاب طعاماً»، ويؤخذ من حديث سيدنا علي ابن أبي طالب: «ليس بفظ»، إلى أن قال: «ولا عياب»، رواه الترمذي في الشمائل، والطبراني وأبو نعيم في دلائل النبوة. ورواه ابن أبي عاصم في كتاب السنة من حديث أنس: «ما عاب علي شيئاً قط» وفي الصحيحين من حديث ابن عمر اضطجاعه على حصير، وللترمذي وصححه من حديث ابن مسعود: «نام على حصير فقام وقد أثر في جنبه» الحديث.

(٣) من الصخب بالصاد والسين والخاء محركة: هو الضجر واضطراب الأصوات للخصام.

(٤) وهو من أسماء المدينة.

(٥) أي حملة لهما وحفظة يرعونهما حق الرعاية بالفهم والحفظ والعمل بما فيه.

(٦) أي يغسل أطرافه عند الوضوء.

أخرج البيهقي في الدلائل من حديث فليح عن هلال بن علي عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو فقلت له: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة؟ فقال: أجل «والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾﴾ وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ، ولا سَخِب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو =

وكذلك نعته في الإنجيل(١).

وكان من خلقه صلى الله عليه وسلم أن يبدأ من لقيه بالسلام(٢).

ومن قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف(٣).

وما أخذ أحد بيده فيرسل يده، حتى يرسلها الآخذ(٤).

وكان صلى الله عليه وسلم إذا لقي أحداً من أصحابه بدأه بالمصافحة، ثم أخذ بيده فشابكه، ثم شد قبضته عليها(٥).

= ويغفر، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء: أن يقولوا: «لا إله إلا الله «وأفتح به أعيناً عمياً، وآذاناً صماً، وقلوباً غلفا».

الحديث أخرج البخاري في ٣٤ كتاب البيوع ٥٠ باب كراهية السخب في الأسواق ـ أي الصخب ـ الحديث رقم ٢١٢٥، فتح الباري ٤/ ٣٤٢، وفي ٦٥ كتاب التفسير تفسير سورة الفتح ٣ باب: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾، فتح الباري ٨/ ٥٨٥، ودلائل النبوة للإمام البيهقي ١/ ٣٧٤.

(١) أخرج البيهقي في الدلائل من طريق العيزار بن حريث عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب في الإنجيل: لا فظ ولا غليظ، ولا صخاب بالأسواق، ولا يجزي بالسيئة مثلها، بل يعفو ويصفح».

دلائل النبوة للبيهقي ١/ ٣٧٨، وأورده ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٦١.

(٢) رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة: «يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام»، وكذلك روى الطبراني والبيهقي.

(٣) رواه الطبراني ومن طريقه أبو نعيم في دلائل النبوة من حديث علي، ولابن ماجة من حديث أنس: «كان إذا لقي الرجل فكلمه لم يصرف وجهه حتى يكون هو المنصرف» ورواه الترمذي بنحوه، وقال: غريب.

(٤) رواه الترمذي وابن ماجة من حديث أنس الذي مضى: «كان إذا استقبله الرجل فصافحه لا ينزع يده من يده حتى يكون الرجل ينزع» وقال: غريب، قاله العراقي.

(٥) روى أبو داود من حديث أبي ذر: «وسأله رجل من عنزة هل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصافحكم إذا لقيتموه؟ قال: ما لقيته قط إلا صافحني».

وروى الحاكم في علوم الحديث، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: «شبك بيدي أبو القاسم صلى الله عليه وسلم».

وهو عند مسلم بلفظ: «أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيدي» قاله العراقي.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يقوم ولا يجلس إلا على ذكر الله تعالى[1].

وكان صلى الله عليه وسلم لا يجلس إليه أحد وهو يصلي إلا خفف صلاته وأقبل عليه، وقال: «ألك حاجة؟». فإذا فرغ من حاجته عاد إلى صلاته[2].

وكان صلى الله عليه وسلم أكثر جلوسه أن ينصب ساقيه جميعاً ويمسك بيديه عليهما شبه الحبوة[3].

ولم يكن يعرف مجلسه صلى الله عليه وسلم من مجلس أصحابه رضي الله عنهم، لأنه كان حيث انتهى به المجلس جلس[4].

وما رئي صلى الله عليه وسلم قط ماداً رجليه بين أصحابه حتى لا يضيق بهما على أحد إلا أن يكون المكان واسعاً لا ضيق فيه[5].

---

(١) روى الترمذي في الشمائل من حديث علي في حديثه الطويل في صفته صلى الله عليه وسلم، وقال علي: «ذكر بالتكبير» ويفهم من عموم حديث: «كان يذكر الله على كل أحيانه».

(٢) قال الحافظ العراقي: لم أجد له أصلاً. وقال السيد المرتضى الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: قلت: ولكن روى أحمد في مسنده عن رجل من الصحابة قال: كان مما يقول للخادم: «ألك حاجة؟» وهذا يدل إذا جاءه الخادم ووجده في الصلاة كان يخفف ويقبل عليه بالسؤال عن الحاجة، وهو من جملة مكارم الأخلاق، إذ لا يأتيه في ذلك الوقت إلا لحاجة، فإذا طول في الصلاة فقد أوقعه في الانتظار.

(٣) روى أبو داود والترمذي في الشمائل من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس في المجلس احتبى بيده» وإسناده ضعيف، وللبخاري من حديث ابن عمر: «رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة محتبياً بيده» قاله العراقي في تخريج أحاديث الإحياء.

(٤) روى أبو داود والنسائي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وأبي ذر رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس بين ظهراني أصحابه فيجيء الغريب فلا يدري أيهم هو حتى يسأل» الحديث.

(٥) قال العراقي: رواه الدارقطني في غرائب مالك من حديث أنس، وقال: باطل. =

وكان صلى الله عليه وسلم أكثر ما يجلس مستقبل القبلة[١].

وكان صلى الله عليه وسلم يكرم من يدخل عليه، حتى ربما بسط ثوبه لمن ليست بينه وبينه قرابة ولا رضاع، يجلسه عليه[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يؤثر الداخل عليه بالوسادة التي تحته، فإن أبى أن يقبلها عزم عليه حتى يفعل.

وما استصفاه صلى الله عليه وسلم أحد إلا ظن أنه أكرم الناس عليه، حتى يعطي كل من جلس إليه نصيبه من وجهه، حتى كان مجلسه، وسمعه، وحديثه، ولطيف محاسنه، وتوجهه للمجالس إليه، ومجلسه مع ذلك مجلس حياء، وتواضع، وأمانة[٣]. قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾[٤].

= والترمذي وابن ماجة: «لم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له» زاد ابن ماجة «قط»، وسنده ضعيف.

(١) وكان يحث أصحابه بذلك ويقول: «أكرم المجالس ما استقبل القبلة» كما رواه الطبراني في الأوسط وابن عدي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) روى الحاكم وصحح إسناده من حديث أنس: «دخل جرير بن عبد الله على النبي صلى الله عليه وسلم. وفيه: »فأخذ بردته فألقاها إليه فقال: «اجلس عليها يا جرير»، الحديث. وفيه: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه». وأما من بينه وبينه قرابة، فروى الخرائطي في مكارم الأخلاق عن محمد بن عمير بن وهب خال النبي صلى الله عليه وسلم أن عميراً يعني أباه جاء والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد فبسط له رداءه، فقال: أجلس على ردائك يا رسول الله!!؟، قال: نعم، فإنما الخال والد». وإسناده ضعيف. ويروى عن القاسم عن عائشة أن الأسود بن وهب خال النبي صلى الله عليه وسلم استأذن عليه فقال: »يا خال ادخل «فبسط رداءه، وكذا وقع لأمه وأخيه وأبيه من الرضاعة، كما هو مذكور في السير.

(٣) رواه الترمذي في الشمائل في حديث على الطويل، وفيه: «ويعطي كل جلسائه نصيبه، لا يحسب جليسه أن أحداً أكرم عليه منه». وفيه: «ومجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة».

(٤) سورة آل عمران ـ الآية ١٥٩.

ولقد كان صلى الله عليه وسلم يدعو أصحابه بكناهم إكراماً لهم، واستمالة لقلوبهم[1]. ويكني من لم تكن له كنية؛ فكان يدعى بما كناه به[2]. وكان صلى الله عليه وسلم يكني أيضاً النساء اللاتي لهن الأولاد، واللاتي لم يلدن، يبتديء لهن الكنى[3]. ويكني الصبيان؛ فيستلين به قلوبهم[4].

وكان صلى الله عليه وسلم أبعد الناس غضباً، وأسرعهم رضا[5].

---

(١) ففي الصحيحين في قصة الغار من حديث أبي بكر: «يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما»، ولأبي يعلى الموصلي من حديث سعد بن أبي وقاص فقال: «من هذا أبو إسحاق» فقلت: نعم.

(٢) تبركاً بكنيته الشريفة، روى الحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال لعمر: يا أبا حفص أبصرت وجه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر: إنه لأول يوم كنّاني فيه بأبي حفص، وقال: صحيح على شرط مسلم. وفي الصحيح أنه قال لعلي: يا أبا تراب!!..

وللحاكم من حديث رفاعة بن مالك أن أبا حسن وجد مغصاً في بطنه، الحديث، يريد علياً رضي الله عنه. وله أيضاً من حديث ابن مسعود أن النبي صلى الله عليه وسلم كنّاه أبا عبد الرحمن ولم يولد له. ولابن ماجة أن عمر قال لصهيب: مالك تكتني وليس لك ولد؟ قال: كناني رسول الله صلى الله عليه وسلم بأبي يحي». وللطبراني من حديث أبي بكرة: «تدليت ببكرة من الطائف، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: فأنت أبو بكرة».

(٣) روى الحاكم من حديث أم أمين في قصة شربها بول النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «يا أم أيمن قومي إلى تلك الفخارة» الحديث. ولابن ماجة من حديث عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: كل أزواجك كنّيتَ غيري!، قال: «فأنت أم عبد الله». وفيه مولى الزبير لم يسمّ.

(٤) ففي الصحيحين م حديث أنس ـ وقد مر ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لأخ له صغير: «يا أبا عمير!! ما فعل النغير؟».

(٥) هذا من المعلوم، ويدل على ذلك إخباره صلى الله عليه وسلم «أن بني آدم خيرهم بطيء الغضب سريع الفيء» ورواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري وقال: حديث حسن، وهو صل الله عليه وسلم خير بني آدم وسيدهم، وكان صلى الله عليه وسلم لا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة، وقد تقدم.

وكان صلى الله عليه وسلم أرأف الناس بالناس، وخير الناس للناس، وأنفع الناس للناس. ولم تكن ترفع في مجلسه صلى الله عليه وسلم الأصوات[1].

وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام من مجلسه قال: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك»، ثم يقول: «علمنيهن جبريل»[2].

وكان صلى الله عليه وسلم طويل السكوت، لا يتكلم في غير حاجة[3].

و[كان صلى الله عليه وسلم] لا يقول المنكر، ولا يقول في الرضا والغضب إلا الحق[4]، ويعرض عمن تكلم بغير جميل، ويكني عما اضطره الكلام إليه مما يكره[5].

وكان صلى الله عليه وسلم إذا سكت تكلم جلساؤه، ولا يتنازع عنده في الحديث[6].

---

(١) لأنهم كانوا على غاية الخضوع والأدب والإطراق كأنما على رؤوسهم الطير، رواه الترمذي في الشمائل في حديث علي - الطويل -.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث رافع بن خديج.

(٣) وبذلك وصف أبدال هذه الأمة، لا يتكلمون إلا عن ضرورة، رواه الترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة.

(٤) روى أبو داود من حديث عبد الله بن عمرو قال: «كنت أكتب كل شيء أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وسلم أريد حفظه، فنهتني قريش، وقالوا: تكتب كل شيء ورسول الله بشر يتكلم في الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتاب، فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فأومأ بإصبعه إلى فيه وقال: «اكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج منه إلا الحق» ورواه الحاكم وصححه.

(٥) فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لامرأة رفاعة: «حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك» رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها، ومن ذلك ما اتفقا عليه من حديثها في المرأة التي سألته عن الاغتسال من الحيض: «خذي فرصة ممسكة فتطهري بها».

(٦) وذلك لعظيم أدبهم رضي الله عنهم في حضرته صلى الله عليه وسلم، وخضوعهم بين =

ويعظ بالجد والنصيحة[1]، ويقول: «لا تضربوا القرآن بعضه ببعض فإنه أنزل على وجوه»[2].

وكان صلى الله عليه وسلم أكثر الناس تبسماً وضحكاً في وجوه أصحابه، وتعجباً مما تحدثوا به، وخلطاً لنفسه بهم[3]، ولربما ضحك حتى تبدو نواجذه، [وكان ضحك أصحابه عنده التبسم اقتداء به وتوقيراً له، قالوا: ولقد جاءه أعرابي يوماً وهو عليه الصلاة والسلام متغير اللون ينكره أصحابه، فأراد أن يسأله فقالوا: لا تفعل يا أعرابي فإننا ننكر لونه، فقال: دعوني، فو الذي بعثه بالحق نبياً لا أدعه حتى يبتسم، فقال: يا رسول الله!! بلغنا أن المسيح يعني الدجال يأتي الناس بالثريد وقد هلكوا جوعاً أفترى لي بأبي أنت وأمي أن أكف عن ثريده تعففاً وتنزهاً حتى أهلك هزالاً أم أضرب في ثريده، حتى إذا تضلعت شبعاً آمنت بالله وكفرت به؟ قالوا: فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه، ثم قال: «لا بل يغنيك الله بما يغني به المؤمنين»[4]. قالوا: وكان صلى الله

= يديه، وإجلالهم له، وهيبته عندهم، وتوقيرهم له لشهودهم عليَّ شأنه، وكما مرتبته، وتخلقهم بأخلاقه صلى الله عليه وسلم.

(١) روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته، واشتد غضبه، حتى كأنه منذر جيش يقول صبَّحكم مسَّاكم» الحديث.

(٢) روى الطبراني من حديث عبد الله بن عمر، وبإسناد حسن أن القرآن يصدق بعضه بعضاً فلا تكذبوا بعضه ببعض، وفي رواية للهروي في ذم الكلام: إن القرآن لم ينزل لتضربوا بعضه ببعض، وفي رواية له: «أبهذا أمرتم أن تضربوا كتاب الله بعضه ببعض».

(٣) روى الترمذي من حديث عبد الله بن الحرث بن جزء: ما رأيت أحداً أكثر تبسماً من رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وفي الصحيحين من حديث جرير: «ولا رآني إلا تبسم». وللترمذي في الشمائل من حديث علي: «يضحك مما يضحكون منه، ويتعجب مما يتعجبون منه». ولمسلم من حديث جابر بن سمرة: «كانوا يتحدثون في أمر الجاهلية فيضحكون ويبتسم».

(٤) قال الحافظ العراقي: وهو حديث منكر لم أقف له على أصل، ويرده قوله صلى الله =

عليه وسلم من أكثر الناس تبسماً وأطيبهم نفساً[1]][2] ما لم ينزل عليه قرآن، أو يذكر الساعة، أو يخطب بخطبة عظة[3].

وكان ضحك أصحابه صلى الله عليه وسلم عنده التبسم، اقتداء به، وتوقيراً له. وكان صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ ورضي فهو أحسن الناس رضاً[4]، فإن وعظ، وعظ بجد، وإن غضب ـ وليس يغضب إلا لله ـ لم يقم لغضبه شيء، وكذلك كان في أموره كلها[5].

وكان إذا نزل به الأمر فوّض الأمر إلى الله تعالىٰ، وتبرأ من الحول والقوة، واستنزل الهدى فيقول: «اللهم أرني الحق حقاً فأتبعه، وأرني

= عليه وسلم في المتفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة حين سأله أنهم يقولون أنه معه جبال من خبز ولحم ونهر ماء، قال: «هو أهون على الله من ذلك». وفي رواية لمسلم يقولون معه جبال من خبز ولحم، الحديث. نعم في حديث حذيفة وأبي مسعود المتفق عليهما: «أن معه ماء وناراً» الحديث.

(١) روى الطبراني في الكبير من حديث أبي أمامة: «كان من أضحك الناس وأطيبهم نفساً». ولا ينافيه ما تقدم من أنه كان لا يضحك إلا تبسماً لأن التبسم كان أغلب أحواله، أو كل راو روى بحسب ما شاهد، أو أولاً كان لا يضحك، ثم صار آخراً لا يضحك إلا تبسماً. وروى ابن عساكر من حديث أنس: «كان من أفكه الناس».

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من إحياء علوم الدين.

(٣) روى الطبراني في مكارم الأخلاق: من حديث جابر: «كان صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي قلت نذير قوم، فإذا سري عنه فأكثر الناس ضحكاً».

(٤) في الصحيحين في حديث كعب بن مالك قال: وهو ينزف وجهه من السرور. وفيه: وكان إذا سر استنار وجهه كأنه قطعة قمر، وكنا نعرف ذلك منه. وروى أبو الشيخ في كتاب أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم من حديث ابن عمر: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف رضاه وغضبه بوجهه كان إذا رضي كأنما يلاعط الجدر وجهه» وإسناده ضعيف والمراد به المرآة توضع في الشمس فيرى ضوءها على الجدار.

(٥) روى مسلم من حديث جابر: «كان إذا خطب احمرت عيناه وعلا صوته واشتد غضبه» الحديث. وللترمذي في الشمائل من حديث هند بن أبي هالة، «لا تغضبه الدنيا وما كان منها فإذا تعدى الحق لم يقم لغضبه شيء حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها»، وقد تقدم.

المنكر منكراً وارزقني اجتنابه، وأعذني من أن يشتبه علي فأتبع هواي بغير هدى منك، واجعل هواي تبعاً لطاعتك، وخذ رضا نفسك من نفسي في عافية، واهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[1].

[بيان أخلاقه وآدابه صلى الله عليه وسلم في الطعام]

وكان صلى الله عليه وسلم «أحب الطعام إليه ما كان على ضفف»[2]. والضفف: ما كثرت عليه الأيدي. وكان إذا وضعت المائدة قال: «بسم الله اللهم اجعلها نعمة مشكورة تصل بها نعمة الجنة»[3]. وكان صلى الله عليه وسلم كثيراً إذا جلس يأكل بجمع بين ركبتيه وبين قدميه، كما يجلس المصلي، إلا أن الركبة تكون فوق الركبة، والقدم فوق القدم، ويقول: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»[4].

---

(١) قال الحافظ العراقي: لم أقف لأوله على أصل.
وروى المستغفري في الدعوات من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو فيقول: اللهم إنك سألتنا من أنفسنا ما لا نملكه إلا بك، فأعطنا منها ما يرضيك عنا»، وفيه ولهان ابن خبير ضعّفه الأزدي، وأن لمسلم من حديث عائشة رضي الله عنها فيما كان يفتتح به صلاته من الليل: «اهدني لما اختلف فيه» إلى آخر الحديث.

(٢) قال الحافظ العراقي: رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط، وابن عدي في الكامل، من حديث جابر بإسناد حسن، : «أحب الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي». ولأبي يعلى من حديث أنس: «لم يجتمع غداء وعشاء خبز ولحم إلا على ضفف» وإسناده جيد، انتهى.

(٣) قال الحافظ العراقي: أما التسمية فرواها النسائي من رواية من خدم النبي صلى الله عليه وسلم ثمان سنين أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرب إليه طعاماً قال: «بسم الله» الحديث، وإسناده صالح، وأما بقية الحديث فلم أجده.

(٤) قال الحافظ العراقي: رواه عبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب معضلاً، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أكل احتفز، وقال: «آكل كما يأكل العبد» الحديث.
وروى ابن الضحاك في الشمائل من حديث أنس بسند ضعيف: «كان إذا قعد على =

وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل الحار[1] ويقول: «إنه غير ذي بركة، وإن الله لم يطعمنا ناراً فأبردوه»[2].

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل مما يليه[3]، ويأكل بأصابعه الثلاث[4]، وربما استعان بالرابعة[5]. ولم يكن يأكل بإصبعين، ويقول: «إن ذلك أكلة الشيطان»[6].

= الطعام استوفز على ركبته اليسرى وأقام اليمنى» ثم قال: «إنما أنا عبد أجلس كما يجلس العبد، وأفعل كما يفعل العبد».

(١) أي لا يأكل الطعام الحار.

(٢) قال الحافظ العراقي: روى البيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بإسناد صحيح: «أتي النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بطعام سخن، فقال: » ما دخل بطني طعام سخن منذ كذا وكذا قبل اليوم «، ولأحمد بإسناد جيد، والطبراني، والبيهقي في الشعب، من حديث خولة بنت قيس، وقدمت له حريرة فوضع يده فيها فوجد حرها فنفضها». لفظ الطبراني والبيهقي. وقال أحمد: فأحرقت أصابعه فقال حسن، وللطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة: «أبردوا الطعام فإن الطعام الحار غير ذي بركة».

(٣) قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث عائشة، وفي إسناده رجل لم يسمّ، وسماه في رواية له. وكذلك البيهقي في روايته في الشعب عبيد بن القاسم نسيب سفيان الثوري. قال البيهقي: تفرد به عبيد هذا، وقد رماه ابن معين بالكذب، ولأبي الشيخ من حديث عبد الله بن جعفر نحوه، انتهى. وروى البخاري في التاريخ عن جعفر بن أبي الحكم مرسلاً: «كان إذا أكل لم تعد أصابعه ما بين يديه». وروى الخطيب من حديث عائشة رضي الله عنها: «كان إذا أتي بطعام أكل مما يليه، وإذا أتي بالتمر جالت يده».

(٤) أي الإبهام والسبابة والوسطى، قال العراقي: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك.

(٥) قال العراقي: رويناه في الغيلانيات من حديث عامر بن ربيعة، وفيه القاسم بن عبد الله العمري هالك. وفي مصنف ابن أبي شيبة من رواية الزهري مرسلاً: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يأكل بالخمس»، انتهى.
قال السيد الزبيدي: حديث عامر رواه أيضاً الطبراني في الكبير ولفظه: «كان يأكل بثلاث أصابع ويستعين بالرابعة» وأما مرسل الزهري فمحمول على المائع وذلك لأن الاقتصار على الثلاث محله إن كفت وإلا فكما في المائع زاد بحسب الحاجة، انتهى.

(٦) قال العراقي: رواه الدارقطني في الأفراد من حديث ابن عباس بإسناد ضعيف: «لا تأكل بأصبع فإنه أكل الملوك، ولا تأكل بأصبعين فإنه أكل الشياطين» الحديث، انتهى.

قلت: وإن الأكل بإصبع واحدة من المقت، وبإصبعين من الكبر، وبثلاث من السنة، وبأربع من الشره.

وجاءه عثمان رضي الله عنه بفالوذج[1] فأكل منه وقال: «ما هذا يا أبا عبد الله؟» قال: بأبي أنت وأمي نجعل السمن والعسل في البرمة[2] ونضعها على النار، ثم نغليه، ثم نأخذ مخ الحنطة[3] إذا طحنت؛ فنقليه على السمن والعسل، ثم نسوطه[4] حتى ينضج، فيأتي كما ترى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن هذا الطعام طيب»[5].

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل خبز الشعير غير منخول[6].

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل القثاء بالرطب[7]، وبالملح[8].

وكان صلى الله عليه وسلم أحب الفواكه الرطبة إليه البطيخ والعنب[9].

---

(١) وهو اسم أعجمي لنوع من الحلوى.

(٢) وهي قدر من الفخار.

(٣) أي لبابها.

(٤) أي نحركه بالسوط.

(٥) قال العراقي: المعروف أن الذي صنعه عثمان رضي الله عنه الخبيص، رواه البيهقي في الشعب من حديث ليث بن أبي سليم قال: أول من خبص الخبيص عثمان بن عفان، قدمت عليه عير تحمل النقي والعسل، الحديث. وقال: هذا منقطع. وأما خبر الفالوذج؛ فرواه ابن ماجة بسند ضعيف من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، قال: أول ما سمعنا بالفالوذج أن جبريل أتي النبي صلى الله عليه وسلم فقال: «إن أمتك تفتح عليهم الأرض ويفاض عليهم من الدنيا حتى أنهم ليأكلون الفالوذج» قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وما الفالوذج؟» قال: يخلطون السمن والعسل جميعاً ». ضعّفه الزبيدي.

(٦) رواه البخاري من حديث سهل بن سعد، والإمام مسلم والترمذي نحوه.

(٧) قال العراقي: متفق عليه من حديث عبد الله بن جعفر، انتهى.

(٨) أي وكان يأكل القثاء بالملح. قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث عائشة وفيه يحي ابن هاشم كذبه ابن معين وغيره.

(٩) قال العراقي: روى أبو نعيم في الطب النبوي من رواية أمية بن زيد العبسي أن النبي صلى الله عليه وسلم يحب من الفاكهة العنب والبطيخ». وروى ابن عدي من حديث عائشة رضي الله عنها وعن أبيها: «فإن خير الفاكهة العنب» وسنده ضعيف، انتهى.

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل البطيخ بالخبز[1]، والسكر، وربما أكله بالرطب[2].

وكان صلى الله عليه وسلم يستعين باليدين جميعاً[3]. وأكل صلى الله عليه وسلم يوماً رطباً كان في يمينه، وكان يحفظ النوى في يساره، فمرت به شاة فأشار إليها بالنوى؛ فجعلت تأكل من كفه اليسرى، وهو يأكل بيمينه حتى فرغ وانصرفت الشاة[4].

وكان صلى الله عليه وسلم ربما أكل العنب خرطاً[5]. وكان أكثر طعامه صلى الله عليه وسلم الماء والتمر[6]، وكان يتمجع اللبن بالتمر، ويسميهما الأطيبين.

قال الجوهري: التمجع ضرب من الطعام، وهو تمر يعجن بلبن.

---

(١) قال العراقي: لم أره وإنما وجدت أكله العنب بالخبز في حديث عائشة عن ابن عدي بسند ضعيف.

(٢) قال العراقي: رواه الترمذي والنسائي من حديث عائشة رضي الله عنها، وحسنه الترمذي، ولابن ماجة من حديث سهل بن سعد: «كان يأكل الرطب بالبطيخ»، وهو عند الدارمي بلفظ: «البطيخ بالرطب»، وروى أبو الشيخ وابن عدي في الكامل، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الشعب من حديث أنس: «كان يأخذ الرطب بيمينه، والبطيخ بيساره، ويأكل الرطب بالبطيخ، وكانا أحب الفاكهة إليه».

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه أحمد من حديث عبد الله بن جعفر، قال: «آخر ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في إحدى يديه رطبات وفي الأخرى قثاء يأكل من هذه ويعض من هذه».

(٤) قال العراقي: هذه القصة رويناها في فوائد أبي بكر الشافعي من حديث أنس بإسناد ضعيف، انتهى.

(٥) يقال: خرط العنقود واخرطه إذا ضعه في فمه وأخذ حبه وخرج عرجونه عارياً، وفي رواية ذكرها ابن الأثير: «خرصاً» بالصاد، بدل الطاء، أي من غير عدد.

(٦) قال العراقي: روى أحمد من رواية اسماعيل بن أبي خالد عن أبيه قال: دخلت على رجل وهو يتمجع لبناً بتمر وقال: ادن، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم سماهما الأطيبين. ورجاله ثقات، وإبهام الصحابي لا يضر، انتهى. والمجيع: كأمير، تمر يعجن بلبن، وقد جاء ذكره في فقه اللغة للثعالبي، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يحبه.

وكان أحب الطعام إليه صلى الله عليه وسلم اللحم، ويقول: «هو يزيد في السمع، وهو سيد الطعام في الدنيا والآخرة، ولو سألت ربي أن يطعمنيه كل يوم لفعل»[1].

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الثريد باللحم والقرع[2]. وكان صلى الله عليه وسلم يحب القرع[3] ويقول: «إنها شجرة أخي يونس عليه السلام»[4]. **قالت عائشة رضي الله عنها**: وكان صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم يقول: «يا عائشة إذا طبختم قدراً فأكثروا فيها من الدباء، فإنه يشد قلب الحزين»[5].

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل لحم الطير الذي يصاد[6]، وكان لا يتبعه ولا يصيده، ويحب أن يصاد له، ويؤتى به فيأكله[7].

---

(١) قال العراقي: رواه أبو الشيخ من رواية ابن سمعان قال: سمعت من علمائنا يقولون: «كان أحب الطعام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللحم» الحديث. وللترمذي في الشمائل من حديث جابر: «أتانا النبي صلى الله عليه وسلم في منزلنا فذبحنا له شاة فقال: كأنهم علموا أنا نحب اللحم» وإسناده صحيح، ولابن ماجة من حديث أبي الدرداء بإسناد ضعيف: «سيد طعام أهل الدنيا وأهل الجنة اللحم» انتهى.

(٢) رواه مسلم من حديث أنس، وروى أبو داود والحاكم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «كان أحب الطعام إليه الثريد من الخبز، والثريد في الحيس».

(٣) وهو الدباء.

(٤) قال العراقي: روى النسائي وابن ماجة من حديث أنس كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب القرع.

وقال النسائي: الدباء. وهو عند مسلم بلفظ: «يعجبه». وروى ابن مردويه في تفسيره من حديث أبي هريرة في قصة يونس فلفظته في أصل شجرة وهي الدباء، انتهى.

(٥) قال العراقي: رويناه في فوائد أبي بكر الشافعي من حديثها، ولا يصح.

(٦) قال العراقي: روى الترمذي من حديث الحسن قال: كان عند النبي صلى الله عليه وسلم طير فقال: «اللهم آتني بأحب الخلق إليك يأكل معي هذا الطير» فجاء علي فأكل معه. قال: حديث غريب. وله طرق كلها ضعيفة. وروى أبو داود والترمذي واستغربه من حديث سفينة قال: «أكلت مع النبي صلى الله عليه وسلم لحم حبارى».

(٧) قال العراقي: هذا هو الظاهر من أحواله صلى الله عليه وسلم، فقد قال: «من تبع =

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أكل اللحم لم يطأطيء رأسه إليه، ويرفعه إلى فيه رفعاً ثم ينتهسه انتهاساً[١].

قلت: النهس بالسين المهملة، الأكل بأطراف الأسنان، يقال: نهست اللحم وانتهسته، وبالمعجمة: نهش الحية.

وكان صلى الله عليه وسلم يأكل الخبز والسمن[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يحب من الشاة الذراع والكتف[٣]، ومن القدير[٤] الدباء، ومن الصِّباغ الخل[٥]، ومن التمر العجوة[٦].

ودعا ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ في العجوة بالبركة وقال: «هي من الجنة[٧]، وشفاء من السم والسحر»[٨].

= الصيد غفل» رواه أبو داود والترمذي والنسائي، من حديث ابن عباس، وقال الترمذي: حسن غريب.

(١) روى أبو داود من حديث صفوان بن أمية قال: كنت آكل مع النبي صلى الله عليه وسلم فآخذ اللحم من العظم، فقال: «ادن العظم من فيك فإنه أهنأ وأمرأ». وللترمذي من حديثه: «انهس اللحم نهساً فإنه أهنأ وأمرأ». وللشيخين من حديث أبي هريرة: «فتناول الذراع فنهس منها نهسة» الحديث قاله العراقي.

(٢) متفق عليه من حديث أنس في قصة طويلة فيها: «فأتت بذلك الخبز فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم ففت وعصرت أم سليم عكة فأدمته» الحديث، وفيه: «ثم أكل النبي صلى الله عليه وسلم».

(٣) روى الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال «وضعت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم قصعة من ثريد ولحم فتناول الذراع وكانت أحب الشاة إليه» الحديث.

(٤) أي المطبوخ في القدر.

(٥) روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «كان أحب الصباغ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخل» وإسناده ضعيف قاله العراقي.

(٦) روى أبو الشيخ من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بسند ضعيف «كان أحب التمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم العجوة» قاله العراقي.

(٧) قال السيد: يريد المبالغة في الاختصاص بالمنفعة والبركة فكأنها منها.

(٨) قال العراقي: روى البزار والطبراني في الكبير من حديث عبد الله بن الأسود قال: «كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في وفد سدوس فأهدينا له تمراً» وفيه: «حتى ذكرنا =

وكان ـ صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم ـ يحب من البقول الهندباء، والباذروج[١]، والبقلة الحمقاء، التي يقال لها الرجلة[٢].

وكان يكره الكليتين، لمكانهما من البول[٣].

وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل من الشاة سبعاً: الذكر، والأنثيين[٤]، والمثانة، والمرارة، والغدد، والحياء[٥]، والدم[٦]، ويكره ذلك.

وكان صلى الله عليه وسلم لا يأكل الثوم، ولا البصل، ولا الكراث[٧].

= له تمراً فقلنا له: هذا الجذامي، فقال: بارك الله في الجذامي، وفي حديقة خرج هذا منها» الحديث.

قال أبو موسى المديني: قيل: هو تمر أحمر.

وفي الصحيحين من حديث سعد ابن أبي وقاص: «من تصبّح بسبع تمرات من عجوة لم يضره ذلك اليوم سم ولا سحر»، انتهى.

(١) هو الريحان القرنفلي وهو الضيمران.

(٢) قال العراقي: وأما الباذروج فلم أجد فيه حديثاً، وأما الرجلة: فروى أبو نعيم في الطب من رواية ثوير، قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالرجلة وفي رجله قرحة فداواها فبرئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بارك الله فيك انبتي حيث شئت أنت شفاء من سبعين داء، أدناها الصداع» وهو مرسل ضعيف.

(٣) قال العراقي: رويناه في جزء من حديث أبي بكر محمد بن عبيد الله بن الشخير من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بسند ضعيف، فيه أبو سعيد الحسن بن علي العدولي أحد الكذابين، انتهى.

قال السيد الزبيدي: وكذلك رواه ابن السني في كتاب الطب النبوي.

(٤) أي الخصيتين.

(٥) أي الفرج من ذوات الخف والظلف، قاله ابن الأثير.

(٦) أي غير المسفوح لأن الطبع السليم يعاف هذه الأشياء وليس كل حلال تطيب النفس لأكله.

قال الخطابي: الدم حرام إجماعاً، وعامة المذكورات معه مكروهة لا محرمة.

(٧) قال العراقي: رواه مالك في الموطأ عن الزهري عن سليمان بن يسار مرسلاً وهو عند الدارقطني في غرائب مالك عن الزهري عن أنس. =

وما ذم صلى الله عليه وسلم طعاماً قط، لكن إن أعجبه أكله، وإن كرهه تركه، وإن عافه لم يبغِّضه إلى غيره(١).

وكان صلى الله عليه وسلم يعاف الضب والطحال، ولا يحرمهما(٢).

وكان صلى الله عليه وسلم يلعق بأصابعه الصحفة ويقول: «آخر الطعام أكثر بركة»(٣).

وكان صلى الله عليه وسلم يلعق أصابعه [من الطعام حتى تحمر(٤).

وكان صلى الله عليه وسلم لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه] واحدة واحدة، ويقول: «إنه لا يدرى في أي الطعام البركة»(٥).

= وفي الصحيحين من حديث جابر أتي ببدر فيه خضرات من بقول فوجد لها ريحاً، الحديث.

وفيه: فإني أناجي من لا تناجي.

ولمسلم من حديث أبي أيوب في قصة بعثه إليه بطعام فيه ثوم فلم يأكل منه. وقال: «لكني أكرهه من أجل ريحه»، انتهى.

(١) ففي الصحيحين من حديث ابن عمر في قصة الضب فقال: «كلوا فإنه ليس بحرام ولا بأس به ولكنه ليس من طعام قومي».

(٢) أما الضب ففي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: «لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه»، ولهما من حديث ابن عمر: «لست بآكله ولا محرمه».
وأما الطحال: فروى ابن ماجة من حديث ابن عمر رضي الله عنهما: «أحلت لنا ميتتان ودمان» وفيه: «وأما الدمان فالكبد والطحال» وللبيهقي موقوفاً على زيد بن ثابت: «إني لا آكل الطحال وما بي إليه حاجة إلا ليعلم أهل أنه لا بأس به»، انتهى.

(٣) قال العراقي: روى البيهقي في الشعب من حديث جابر في حديث قال فيه: «ولا يرفع القصعة حتى يَلْعَقَهَا أو يُلْعِقَهَا، فإن آخر الطعام فيه بركة». ولمسلم من حديث أنس: «أمرنا أن نسلت الصحفة» قال: «إن أحدكم لا يدري في أي طعامه يبارك له فيه»، انتهى.

(٤) قال العراقي: رواه مسلم من حديث كعب بن مالك دون قوله: «حتى تحمر»، فلم أقف له على أصل، انتهى. والمعنى أنه صلى الله عليه وسلم كان يبالغ في لعقها وكأنه أخذ ذلك من رواية الترمذي في الشمائل كان يلعق أصابعه ثلاثاً أي: يلعق كل إصبع ثلاث مرات.

(٥) قال العراقي: روى مسلم من حديث كعب بن مالك: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان =

و[كان صلى الله عليه وسلم] إذا فرغ قال: «الحمد لله اللهم لك الحمد، أطعمت فأشبعت، وسقيت فأرويت، لك الحمد غير مكفور[1]، ولا مودَّع[2]، ولا مستغنى عنه»[3].

وكان صلى الله عليه وسلم إذا أكل اللحم والخبز خاصةً غسل يديه غسلاً جيداً[4]، ثم يمسح بفضل الماء على وجهه.

= لا يمسح يده بالمنديل حتى يلعقها»، وله من حديث جابر: «فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة» وللبيهقي في الشعب من حديثه: «لا يمسح أحدكم يده بالمنديل حتى يلعق يده فإن الرجل لا يدري في أي طعامه يبارك له»، انتهى. قال ابن حجر في شرح الشمائل: «الأكمل أن يلعق كل إصبع ثلاثاً متوالية لاستقلال كل، فناسب كما تنظيفها قبل الانتقال إلى البقية، فيبدأ بالوسطى لكونها أكثر تلويثاً إذ هي أطول فيبقى فيها من الطعام أكثر من غيرها، ولأنها لطولها أول ما ينزل الطعام، ثم السبابة، ثم بالإبهام، لما روى الطبراني في الأوسط: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يأكل بأصابعه الثلاث قبل أن يمسحها الوسطى، ثم التي تليها، ثم الإبهام.

وعند مسلم: «إذا وقعت لقمة أحدكم فليأخذها وليمط ما كان بها من أذى، ولا يدعها للشيطان ولا يمسح يده بالمنديل حتى يلعق أصابعه، لأنه لا يدري في أي طعامه البركة».

وفي هذه الأخبار الرد على من كره اللعق استقذار، ومن ثم قال الخطابي: عاب قوم أفسد عقولهم الترفه لعق الأصابع، وزعموا أنه مستقبح كأنهم لم يعلموا أن الطعام الذي لعق بالأصابع والصحفة جزء مما أكلوه، فإذا لم يستقذر كله فلا يستقذر بعضه، وليس فيه أكثر من مصها بباطن الشفة، ولا يشك عاقل أن لا بأس بذلك، وقد يدخل الإنسان إصبعه في فيه فيدلكه ولم يستقذر ذلك أحد، انتهى ملخصاً.

(١) أي غير مجحود بفضله ونعمته.

(٢) بتشديد الدال وفتحها: أي غير متروك، ومع كسرها أي حال كوني غير تارك له ومعرض عنه، فمآل الروايتين واحد وهو دوام الحمد واستمراره.

(٣) قيل: هو عطف تفسير، إذ المتروك المستغنى عنه وفيه نظر، بل فيه فائدة لم تستفد من سابقه هنا وهي أنه لا استغناء لأحد عن الحمد لوجوبه أن من تركه لفظاً يأثم به على أنه إن أتى به في مقابلة النعمة أثيب عليه ثواب المندوب.

قال العراقي: رواه الطبراني من حديث الحرب بن الحرث بسند ضعيف، انتهى.

(٤) قال العراقي: روى أبو يعلى من حديث ابن عمر بإسناد ضعيف: «من أكل من هذه =

وكان صلى الله عليه وسلم يشرب في ثلاث دفعات، وله فيها ثلاث تسميات، وفي أواخرها ثلاث تحميدات[1].

وكان صلى الله عليه وسلم يمص الماء مصاً، ولا يعب عباً[2].

وكان صلى الله عليه وسلم يدفع فضل سؤره[3] إلى من على يمينه[4]، فإن كان من على يساره أجل رتبة، قال للذي على يمينه: «السنة أن تعطى فإن أحببت أثرتهم»[5].

وربما [كان صلى الله عليه وسلم] يشرب بنفس واحد حتى يفرغ[6].

= اللحوم شيئاً فليغسل يده من ريح وضره لا يؤذي من حذاءه» انتهى. ورواه ابن عدي في الكامل: «إذا أكل أحدكم طعاماً فليغسل يده من وضر اللحم» وإسناده ضعيف.

(١) قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط من حديث أبي هريرة ورجاله ثقات، ولمسلم من حديث أنس: «كان إذا شرب تنفس ثلاثاً»، انتهى.

(٢) قال العراقي: روى البغوي والطبراني وابن عدي وابن قانع وابن منده وأبو نعيم في الصحابة من حديث بهز: «كان يستاك عرضاً ويشرب مصاً» انتهى. ولفظ حديث أم سلمة عند الطبراني: «كان يبدأ بالشراب إذا كان صائماً، وكان لا يعب فيشرب مرتين أو ثلاثاً».

وروى سعيد بن منصور وابن السني، وأبو نعيم في الطب، والبيهقي في الشعب من مرسل ابن أبي حسين: «إذا شرب أحدكم فليمص مصاً ولا يعب عباً فإن الكباد من العب».

وروى الديلمي من حديث علي: «إذا شربتم الماء فاشربوه مصاً ولا تشربوه عباً فإن العب يوث الكباد».

(٣) أي ما بقي من الشراب.

(٤) قال العراقي: متفق عليه من حديث أنس رضي الله عنه.

(٥) قال العراقي: متفق عليه من حديث سهل بن سعد، انتهى. وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخالد بن الوليد على ميمونة فجاءتنا بإناء من لبن، فشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عن يمينه، وخالد عن شماله، فقال لي: الشربة لك فإن شئت آثرت بها خالداً، فقال: ما كنت أوثر على سؤرك أحداً الحديث. رواه أبو داود والترمذي وابن ماجة، وقال الترمذي واللفظ له: هذا حديث حسن.

(٦) قال العراقي: رواه أبو الشيخ من حديث زيد بن أرقم بإسناد ضعيف، وللحاكم من =

وكان صلى الله عليه وسلم لا يتنفس في الإناء بل ينحرف عنه[١].

وأتي صلى الله عليه وسلم بإناء فيه عسل ولبن؛ فأبى أن يشربه، وقال: «شربتان في شربة، وإدامان في إناء واحد». ثم قال صلى الله عليه وسلم: «لا أحرمه ولكني أكره الفخر، والحساب بفضول الدنيا غداً، وأحب التواضع؛ فإن من تواضع لله رفعه الله»[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم في بيته أشد حياء من العاتق[٣]، لا يسألهم طعاماً، ولا يتشهاه عليهم[٤]، إن أطعموه أكل، وما أعطوه قبل، وما سقوه شرب.

وكان صلى الله عليه وسلم ربما قام فأخذ ما يأكل بنفسه أو يشرب[٥].

= حديث أبي قتادة وصححه: «إذا شرب أحدكم فليشرب بنفس واحد» ولعل تأويل هذين الحديثين على ترك التنفس في الإناء، والله أعلم.

(١) لأنه يغير الماء إما لتغير الفم بالمأكول وإما لترك السواك، وإما لأن النفس يصعد ببخار المعدة.

قال العراقي: روى الحاكم من حديث أبي هريرة: «لا يتنفس أحدكم في الإناء إذا شرب منه ولكن إذا أراد أن يتنفس فليؤخره عنه ثم يتنفس» قال: حديث صحيح الإسناد، انتهى.

(٢) قال العراقي: رواه البزار من حديث طلحة بن عبيد الله دون قوله شربتان في شربة إلخ، وسنده ضعيف.

وأما قوله: «من تواضع لله رفعه» فرواه أبو نعيم في الحلية من حديث أبي هريرة، ورواه ابن النجار بزيادة: «ومن اقتصد أغناه الله».

(٣) يقال: عتقت المرأة خرجت عن خدمة أبويها وعن أن يملكها زوج فهي عاتق بلا هاء، روى الشيخان والترمذي من حديث أبي سعيد: «كان أشد حياء من العذراء في خدرها».

(٤) المراد عدم سؤاله صلى الله عليه وسلم طعاماً تشهاه لنفسه، وإلا فقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يسأل أهله ما عندهم فيقول: «هل عندكم شيء؟».

(٥) قال الحافظ العراقي: روى أبو داود من حديث أم المنذر بنت قيس: دخل عليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه علي وعليٌّ ناقه ولنا دوال معلقة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكل منها الحديث، وإسناده حسن. =

[بيان جملة من آدابه وأخلاقه صلى الله عليه وسلم في اللِّباس]

وكان صلى الله عليه وسلم يلبس من الثياب ما وجد، من إزار، أو رداء، أو قميص، أو جبة، أو غير ذلك[١].

وكان صلى الله عليه وسلم يعجبه الثياب الخضر[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم أكثر لباسه البياض ويقول: «ألبسوها أحياءكم، وكفنوا فيها موتاكم»[٣].

وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القباء المحشو[٤] للحرب، وغير الحرب[٥].

= وللترمذي وصححه، وابن ماجة من حديث كبشة «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فشرب من في قربة معلقة قائماً» الحديث.

(١) قال العراقي: روى الشيخان من حديث عائشة رضي الله عنها أنها أخرجت إزاراً مما يصنع باليمن، وكساء من هذه الملبدة، فقالت: في هذا قبض النبي صلى الله عليه وسلم، وفي رواية أزاراً غليظاً، ولهما من حديث أنس: «كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه رداء نجراني غليظ الحاشية». الحديث لفظ مسلم.

(٢) روى أبو الشيخ وأبو نعيم في الطب من حديث أنس: «كان أحب الألوان إليه صلى الله عليه وسلم الخضرة». أي: من الثياب، وغيرها، لأن الخضرة من ثياب الجنة. قال ابن بطال: وكفى به شرفاً موجباً للمحبة، ورواه كذلك البزار، وأخرج ابن عدي والبيهقي عن قتادة قال: خرجنا مع أنس إلى أرض فقيل: ما أحسن هذه الخضرة؟ فقال أنس: كنا نتحدث أن أحب الألوان إلى النبي صلى الله عليه وسلم الخضرة.

(٣) قال العراقي: رواه ابن ماجة والحاكم من حديث ابن عباس: «خير ثيابكم البيض، فألبسوها أحياءكم وكفنوا فيها موتاكم» قال الحاكم: صحيح الإسناد، وله ولأصحاب السنن من حديث سمرة: «عليكم بهذه الثياب البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيها موتاكم» لفظ الحاكم. وقال: صحيح على شرط الشيخين، وقال الترمذي حسن صحيح، انتهى.

(٤) أي المحشو بالقطن أو الصوف.

(٥) قال العراقي: روى الشيخان من حديث المسور بن مخرمة «أن النبي صلى الله عليه وسلم قدمت عليه أقبية من ديباج مزررة بالذهب» الحديث، وليس في طرق الحديث لبسها إلا في طريق علقها البخاري قال: «فخرج وعليه قباء من ديباج مزرر بالذهب» =

وكان صلى الله عليه وسلم له قباء سندس؛ فيلبسه فتحسن خضرته على بياض لونه[١].

وكانت ثيابه صلى الله عليه وسلم كلها مشمرة فوق الكعبين، ويكون الإزار فوق ذلك إلى نصف الساق[٢].

= الحديث، ولمسلم من حديث جابر: «لبس النبي صلى الله عليه وسلم يوماً قباء ديباج أهدي له ثم نزعه» الحديث.

(١) قال العراقي: روى أحمد من حديث أنس أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي صلى الله عليه وسلم جبة سندس أو ديباج قبل أن ينهى عن الحرير فلبسها». والحديث في الصحيحين، وليس فيه أنه لبسها، وقال فيه: وكان ينهى عن الحرير». وعند الترمذي وصححه، والنسائي، أنه لبسها. ولكنه قال: بجبة ديباج منسوجة فيها الذهب».

(٢) قال العراقي: روى أبو الفضل محمد بن طاهر في كتاب صفوة التصوف من حديث عبد الله بن بسر: كانت ثياب رسول الله صلى الله عليه وسلم إزاره فوق الكعبين وقميصه فوق ذلك، ورداؤه فوق ذلك» وإسناده ضعيف، وللحاكم وصححه من حديث ابن عباس: «كان يلبس قميصاً فوق الكعبين» الحديث. وهو عند ابن ماجة بلفظ: «قميصاً قصير اليدين والطول» وسندهما ضعيف. وللترمذي في الشمائل من رواية الأشعث قال: «سمعت عمتي تحدث عن عمها فذكر النبي صلى الله عليه وسلم وفيه: فإذا إزاره إلى نصف ساقيه» ورواه النسائي وسمى الصحابي عبيد بن خالد، واسم عمة الأشعث رهم بنت الأسود، ولا تعرف، انتهى. وعبيد بن خالد شهد صفين مع سيدنا علي رضي الله عنه وعن الصحابة أجمعين، قال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لو رفعت إزارك كان أبقى وأنقى».
فانظر يا أخي إلى توجيه النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك وبيانه لعلة رفع الثوب عن الكعبين حين قال له: «كان أبقى وأنقى» حيث كانت الطرق في ذاك الوقت ربما اختلط الطين بالنجاسة، أو حتى لا يتلوث الثوب بالطين، فالعلة كما ترى هو «أبقى وأنقى» والحكم يدور مع علته وجوداً وعدماً، ومرجع اللباس في ذلك إلى العرف، وما هو متعارف عليه بشرطه الشرعي وهو أن لا يكون حريراً للرجال، ولا معصفراً ولا مزعفراً أيضاً، وأن يكون ساتراً للعورة سواء للرجل أو المرأة، وغير ذلك البس ما شئت ولا حرج ما دمت متحرزاً عن النجاسة والوساخة في الطرقات، ولا يرد علينا من يأبى إلا أن يكون لباسه مشمراً لنصف الساق بحجة أن هذا هو السنة، والله أعلم بالنيات، وقد قال أحد العارفين في لبس المرقعة التي كانت شعار أهل التصوف والفقراء في وقته: أمرناهم بها لهدم النفوس فاتخذوها لجلب الفلوس فصارت في =

وكان صلى الله عليه وسلم قميصه مشدود الإزار، وربما حلَّ الإزار في الصلاة وغيرها[1].

وكانت له صلى الله عليه وسلم ملحفة[2] مصبوغة بالزعفران، وربما صلى بالناس فيها وحدها[3]. وربما لبس صلى الله عليه وسلم الكساء وحده، وما عليه غيرُه[4].

وكان له صلى الله عليه وسلم كساء ملبد يلبسه ويقول: «إنما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد»[5].

= مذهبنا حراما، وذلك ما نراه اليوم فيمن ادعى أنه على السنة، وهو متمسك بالظواهر، وقد خلا قلبه عن التمسك بالحقائق الثابتة، فافهم فهمنا الله وإياك وهدانا إلى سواء الصراط آمين.

(١) قال العراقي: رواه أبو داود وابن ماجة والترمذي في الشمائل من رواية معاوية بن قرة ابن إياس قال: «أتيت النبي صلى الله عليه وسلم في رهط من مزينة فبايعناه وأن قميصه لمطلق الإزار»، وللبيهقي من رواية زيد بن أسلم قال: «رأيت ابن عمر يصلي محلول إزاره فسألته عن ذلك؟ فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعله». قال العراقي: وللطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسناد ضعيف: دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي محتبياً محلل الإزار.

(٢) بكسر الميم، الملاءة تلتحف بها المرأة.

(٣) قال العراقي: روى أبو داود والترمذي من حديث قيلة بنت مخرمة قالت: رأيتُ النبي صلى الله عليه وسلم وعليه أسمال ملاءتين كانتا بزعفران. قال الترمذي: لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن حسان، ورواته ثقات.

(٤) قال العراقي: رواه ابن ماجة وابن خزيمة من حديث ثابت بن الصامت أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في بني عبد الأشهل وعليه كساء متلفف به، الحديث.

(٥) قال العراقي: روى الشيخان من رواية أبي بردة قال: أخرجت إلينا عائشة رضي الله عنها كساء ملبداً وإزاراً غليظاً فقالت: في هذين قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم. وروى البخاري من حديث عمر رضي الله عنه: «إنما أنا عبد» ولعبد الرزاق في المصنف من رواية أيوب السختياني مرفوعاً معضلاً: «إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد» وقد تقدم.

وكان له صلى الله عليه وسلم ثوبان لجمعته خاصة، سوى ثيابه في غير الجمعة[1].

وربما لبس صلى الله عليه وسلم الإزار الواحد ليس عليه غيره، ويعقد طرفيه بين كتفيه، وربما أمَّ به الناس على الجنائز[2].

وكان صلى الله عليه وسلم يتختم[3]، وربما خرج وفي خاتمه خيط مربوط يتذكر به الشيء[4]. وكان يختم به على الكتب[5]، ويقول: «الخاتم على الكتاب خير من التهمة».

وكان صلى الله عليه وسلم يلبس القلانس[6] تحت العمائم وبغير عمامة[7]، وربما نزع قلنسوته من رأسه فجعلها سترة بين يديه، ثم يصلي إليها[8]، وربما لم تكن العمامة؛ فيشد العصابة على رأسه وعلى جبهته[9].

---

(١) قال العراقي: رواه الطبراني في الصغير، والأوسط، من حديث عائشة بسند ضعيف.

(٢) قال العراقي: روى الشيخان من حديث عمر في حديث اعتزاله أهله، فإذا عليه إزار وليس عليه غيره. وللبخاري من رواية محمد بن المنكدر: صلى بنا جابر في إزار قد عقده من قبل قفاه وثيابه موضوعة على المشجب. أما قوله: «ربما أمّ به الناس على الجنائز» فقال العراقي: لم أقف عليه.

(٣) وقد مر صفة لبسه صلى الله عليه وسلم الخاتم.

(٤) قال العراقي: رواه ابن عدي م حديث واثلة بسند ضعيف.

(٥) روى الشيخان من حديث أنس: «لما أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يكتب إلى الروم قالوا: إنهم لا يقرأون كتاباً إلا مختوماً فاتخذ خاتماً من فضة» الحديث، وللنسائي والترمذي في الشمائل من حديث ابن عمر: «اتخذ خاتماً من فضة فكان يختم به ولا يلبسه». أما حديث «الخاتم على الكتاب خير من التهمة» قال العراقي: لم أقف له على أصل.

(٦) جمع قلنسوة ـ فعنلوة ـ بفتح العين وسكون النون.

(٧) أي وتارة يلبسها بغير عمامة.

(٨) الظاهر أنه كان صلى الله عليه وسلم يفعل ذلك عند عدم تيسر ما يستتر به أو بياناً للجواز، كما قاله السيد في الإتحاف. قال العراقي: رواه الطبراني وأبو الشيخ والبيهقي في الشعب من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٩) قال العراقي: رواه البخاري من حديث ابن عباس: «صعد النبي صلى الله عليه وسلم المنبر قد عصب رأسه بعصابة دسماء» الحديث.

وكانت له صلى الله عليه وسلم عمامة تسمى السحاب، فوهبها من علي؛ فربما طلع علي فيها فيقول صلى الله عليه وسلم: «أتاكم علي في السحاب»[1].

وكان صلى الله عليه وسلم إذا لبس ثوباً لبسه من قبل ميامنه[2]، ويقول: «الحمد لله الذي كساني ما أواري به عورتي، وأتجمل به في الناس»[3]. وإذا نزع ثوبه أخرجه من مياسره[4]. وكان صلى الله عليه وسلم إذا لبس جديداً، أعطى خَلِقَ ثيابه مسكيناً، ثم يقول: «ما من مسلم يكسو مسلماً من سمل ثيابه لا يكسوه إلا لله إلا كان في ضمان الله وحرزه وخيره ما واراه حياً وميتاً»[5].

وكان له صلى الله عليه وسلم فراش من أدم[6] حشوه ليف[7]؛

(١) قال العراقي: رواه ابن عدي، وأبو الشيخ من حديث جعفر بن محمد عن أبيه عن جده، وهو مرسل ضعيف جداً، ولأبي نعيم في دلائل النبوة من حديث عمر في أثناء حديث عمامته السحاب، الحديث، انتهى.

(٢) قال العراقي: رواه الترمذي من حديث أبي هريرة ورجاله رجال الصحيح، وقد اختلف في رفعه، انتهى.

(٣) قال الحافظ العراقي: رواه الترمذي وقال غريب، وابن ماجة، والحاكم وصححه، من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه، انتهى.

(٤) جمع ميسرة ضد الميمنة.

(٥) قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك، والبيهقي في الشعب، من حديث عمر قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا بثيابه فلبسها، فلما بلغ تراقيه قال: «الحمد لله الذي كساني ما أتجمل به في حياتي وأواري به عورتي» ثم قال: «ما من مسلم يلبس ثوباً جديداً» الحديث، دون ذكر تصدقه صلى الله عليه وسلم بثيابه، قال البيهقي: إسناده غير قوي وهو عند الترمذي وابن ماجة دون ذكر لبس النبي صلى الله عليه وسلم لثيابه وهو أصح، انتهى.

(٦) أي جلد مدبوغ وهو محركة جمع أدمة أو أديم.

(٧) أي من ليف النخل. والحديث متفق عليه من حديث عائشة رضي الله عنها، قاله العراقي. ورواه الترمذي في الشمائل.وروى أحمد والأربعة إلا النسائي: كانت وسادته التي ينام عليها من أدم وحشوه ليف.

طوله ذراعان، أو نحوه، وعرضه ذراع وشبر، أو نحوه[(١)].

وكانت له صلى الله عليه وسلم عباءة تفرش له حيثما تنقل، تثنى طاقين تحته[(٢)].

وكان صلى الله عليه وسلم ينام على الحصير ليس تحته شيء غيره[(٣)].

وكان صلى الله عليه وسلم تنام عيناه، ولا ينام قلبه انتظاراً للوحي، وإذا نام نفخ ولا يغط غطيطاً[(٤)]، وإذا رأى في منامه ما يروعه قال: «هو الله لا شريك له». وإذا أخذ مضجعه وضع كفه اليمنى تحت خده وقال: «رب قني عذابك يوم تبعث عبادك»[(٥)].

---

(١) قال العراقي: رواه ابو الشيخ من حديث أم سلمة: كان فراش النبي صلى الله عليه وسلم نحو ما يوضع للإنسان في قبره وفيه من لم يسم، انتهى.

(٢) قال العراقي: رواه ابن سعد في الطبقات، وأبو الشيخ من حديث عائشة: «دخلت على امرأة من الأنصار فرأت فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم عباءة مثنية» الحديث. ولابن سعد عنها أنها كانت تفرش للنبي صلى الله عليه وسلم عباءة باثنين، الحديث، وكلاهما لا يصح، للترمذي في الشمائل من حديث حفصة وسئلت: ما كان فراشه؟ قالت: مسح نثنيه ثنيتين فينام عليه، الحديث، وهو منقطع، انتهى.

(٣) قال العراقي: متفق عليه من حديث عمر في قصة اعتزال النبي صلى الله عليه وسلم نساءه، انتهى.

(٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ، فأتاه بلال فآذنه للصلاة فقام وصلى ولم يتوضأ». رواه البخاري في كتاب الوضوء باب ٣٦ قراءة القرآن بعد الحدث وغيره، ١/ ٢٨٧، وفي كتاب الأذان باب ٥٨ إذا قام الرجل عن يسار الإمام فحوّله الإمام إلى يمينه لم تفسد صلاتهما، حديث رقم ٦٩٨، ٢/ ١٩١ مختصراً وفيه: «ثم نام حتى نفخ - وكان إذا نام نفخ - ثم أتاه المؤذن فخرج فصلى ولم يتوضأ، وزاد قال عمرو: فحدثت به بكيراً فقال: حدثني كريب بذلك. والترمذي في الشمائل ٣١٩.

(٥) رواه النسائي في عمل اليوم والليلة باب: ما يقول إذا أوى إلى فراشه، حديث رقم ٧٥٥، ص ٤٥٠. والإمام أحمد في المسند ٤/ ٣٠٠ و٣٠١. والبغوي في شرح السنة، الحديث رقم ١٣١٠، ٥/ ٩٧. عن البراء بن عازب رضي الله عنه: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أخذ مضجعه، وضع كفه اليمنى تحت خده الأيمن، وقال: «رب =

وكان يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا»، وإذا استيقظ قال: «الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»(١).

[بيان صفة كلامه صلى الله عليه وسلم]

وكان صلى الله عليه وسلم إذا تكلم بيَّن كلامه حتى يحفظه من جلس إليه، ويعيد الكلمة ثلاثاً، لتعقل عنه، ويخزن لسانه لا يتكلم في غير حاجة، ويتكلم بجوامع الكلم، فصل لا فضول ولا تقصير(٢).

وكان صلى الله عليه وسلم يتمثل بشيء من الشعر، ويتمثل بقوله(٣):

ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلاً ويأتيك بالأخبار من لم تزود

= قني عذابك يوم تبعث عبادك». والترمذي في الشمائل ص ٣١٥ و٣١٦ الحديث رقم ٢٥٤.

(١) رواه بنحوه البخاري في كتاب الدعوات، باب ٧، ما يقول إذا نام، حديث رقم ٦٣١٢، ١١/ ١١٣، وقال: تنشرها، تخرجها. وباب ٨ وضع اليد تحت الخد اليمنى، حديث رقم ٦٣١٤، ١١/ ١١٥ بنحوه، وأوله: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل، وضع يده تحت خده ثم يقول...». وباب ١٦، ما يقول إذا أصبح، حديث رقم ٦٣٢٤، ١١/ ١٣٠. وأبو داود في كتاب السنة، باب ١٠٧، ما يقال عند النوم، حديث رقم ٥٠٤٩، ٤/ ٣١١. والنسائي في عمل اليوم والليلة باب ما يقول إذا أراد أن ينام. وابن ماجة في كتاب الدعاء ـ باب ١٦، ما يدعو إذا انتبه من الليل، حديث رقم ٣٨٨٠، والإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٨٥ وما بعدها، وغيرهم. والترمذي في الشمائل ٣١٨.

(٢) رواه أبو داود في كتاب الأدب، باب ٢١، الهدي في الكلام، حديث رقم ٤٨٣٩، ٤/ ٢٦١، نحوه بلفظ: «كان كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلاً يفهمه كل من سمعه». والترمذي في كتاب المناقب، باب ٩، في كلام النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم ٣٦٣٩، ٥/ ٦٠٠. والنسائي في عمل اليوم والليلة باب: سرد الحديث، حديث رقم ٤١٣، ص ٣١٤ و٣١٥ نحوه. والإمام أحمد في المسند ٦/ ١٣٨ وما بعدها. وغيرهم.

(٣) وهو بيت لطرفة بن العبد في معلقته، وقد جرى ذلك مجرى الأمثال. انظر ديوان طرفة ص ٥٦.

وبغير ذلك[١]، صلى الله عليه وسلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يكتحل بالإثمد ثلاثا في كل عين، وربما اكتحل ثلاثاً في اليمين، واثنين في اليسار، وربما اكتحل وهو قائم، وكان يقول: «عليكم بالإثمد فإنه يجلو البصر، وينبت الشعر»[٢].

وكان صلى الله عليه وسلم يكثر دهن رأسه ولحيته[٣]. وكان صلى الله عليه وسلم يترجل غباً. أي: يسرح شعره [وقتاً بعد وقت][٤]، صلى الله عليه وسلم.

وكان يحب التيمن في تنعله، وترجله، وطهوره، وفي شأنه كله، هكذا قالت عائشة رضي الله عنها[٥]، والحديث في الصحيحين، انتهى.

---

(١) روى الإمام أحمد والشيخان والطبراني عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: أصابت إصبع النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً فدميت، وفي لفظ: بينما نحن جلوس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض المشاهد، إذ أصابه حجر فعثر فدميت إصبعه فقال:

هل أنت إلا إصبع دميت ... وفي سبيل الله ما لقيت

(٢) رواه الترمذي في كتاب اللباس، باب ٢٣، ما جاء في الاكتحال، حديث رقم ١٧٥٧، ٤/ ٢٣٤ ثم قال: «وفي الباب عن جابر وابن عمر، ثم قال: حسن غريب لا نعرفه على هذا اللفظ إلا من حديث عباد بن منصور»، انتهى. وفي كتاب الطب، باب ٩، ما جاء في السعوط وغيره، حديث رقم ٢٠٤٨، ٤/ ٣٨٨ ـ ٣٨٩، وزاد في أوله: «إن خير ما تداويتم به اللدود والسعوط والحجامة، والمشي. وخير ما اكتحلتم به الإثمد، فإنه يجلو البصر وينبت الشعر» انتهى. وفي الشمائل حديث رقم ١٠٩١، ٢/ ٦٨٩، وقد رواه أبو نعيم في الحلية ٣/ ٣٤٣ بأوله فقط. والترمذي في الشمائل ٩٢ الحديث رقم ٤٩.

(٣) رواه أبو الشيخ في أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم صفحة ١٤٩، والبيهقي في الشعب ٥/ ٢٢٦، والبغوي في الشمائل حديث رقم ١٠٧٣ ـ ١٠٧٤، ٢/ ٦٨١ و٦٨٢، وفي شرح السنة، حديث رقم ٣١٦٤، ١٢/ ٨٢، وسنده ضعيف.

(٤) وقيل: هو أن يفعل يوماً ويترك يوماً. قال القاضي: والمراد النهي عن المواظبة عليه والاهتمام به، لأنه مبالغة في التزيين وتهالك به، حاشية القاري ١/ ٩٧.
والحديث رواه البغوي في الشمائل، حديث رقم ١٠٨٢، ٢/ ٦٨٥. وكذا الترمذي في الشمائل ٧٩ الحديث رقم ٣٦.

(٥) عن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحب =

ومعنى «التيمُّن» هنا: الابتداء باليمين قبل الشمال، وهو من الألفاظ المشتركة لأن التيمن أيضاً مصدر تيمن إذا تبرك به، والتيمن النسب إلى اليمين.

والتنعُّل: لبس النعال، وهي الحذاء، مؤنثة.

والترجُّل: التسريح. والتيمُّن فيه: الابتداء بالشق الأيمن من الرأس في تسريحه، ودهنه. و[التيمُّن] في الطهور: البداءة باليد اليمنى، والرجل اليمنى في الوضوء. والشق الأيمن في الغسل، وهذه قاعدة مستمرة في الشرع، وهي إنما كان من باب التشريف والتكريم كلبس الثوب، والسراويل، والخف، والنعل، ودخول المسجد، والسواك، وتقليم الأظفار، وقص الشارب، وترجيل الشعر، وحلق الرأس، والسلام من الصلاة، وغسل أعضاء الطهارة، والخروج من الخلاء، والأكل، والشرب، والمصافحة، واستلام الحجر، وغير ذلك مما هو في معناه، يستحب التيامن فيه؛ فأما ما كان بضده كدخول الخلاء والخروج من المسجد، والامتخاط، والاستنجاء، وخلع النعل، والسراويل، والخف وما أشبه ذلك، يستحب فيه التياسر، وذلك كله لكرامة اليمين، وشرفها، والله أعلم.

= التيمن في طهوره إذا تطهر، وفي ترجُّله إذا ترجّل، وفي انتعاله إذا انتعل». رواه البخاري في كتاب الوضوء، باب ٣١، التيمن في الوضوء والغسل، حديث رقم ١٦٨، ١/ ٢٦٩، بلفظ: «كان يعجبه التيمن في تنعله وترجله وطهوره، وفي شأنه كله». وفي كتاب الصلاة، باب ٤٧ التيمن في دخول المسجد وغيره، حديث رقم ٤٢٦، ١/ ٥٢٣ بلفظ: «كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب التيمن ما استطاع في شأنه كله: في طهوره وترجله وتنعله». ورواه أيضاً مسلم في كتاب الطهارة الحديث رقم ٢٦٨، ١/ ٢٢٦، وأبو داود في كتاب اللباس، باب ٤٣، الانتعال، ٤/ ٧٠ عن حفص بن عمر، ومسلم ابن ابراهيم عن شعبة، عن الأشعث به بنحو لفظ البخاري في الصلاة. والترمذي في كتاب الصلاة، باب ٤٢٨، ما يستحب من التيمن في الطهور، ٢/ ٥٠٦. والإمام أحمد في المسند ٦/ ٩٤ ومواضع أخرى. وغيرهم.

وأجمع العلماء على أن تقديم اليمين على اليسار من اليدين والرجلين في الوضوء سنة لو خالفه فاته الفضل، وصح وضوؤه. وقالت الشيعة: هو واجب، ولا اعتداد بخلاف الشيعة. ولتعلم أن من أعضاء الوضوء ما لا يستحب فيه التيامن؛ وهو الأذنان، والكفان، والخدان، بل يغسلن دفعة؛ فإذا تعذر ذلك كما في حق الأقطع ونحوه، قدمت اليمين. فقد علمت أن قول عائشة رضي الله عنها: «وفي شأنه كله»، من العام المخصوص بما تقدم من دخول الخلاء، أو الخروج من المسجد، خلع النعل، وما أشبه ذلك، والله أعلم.

وكان صلى الله عليه وسلم ينظر في المرآة، وربما نظر في الماء في حجرة عائشة رضي الله عنها وسوّى جمته(١).

وكان صلى الله عليه وسلم لا تفارقه قارورة الدهن في سفره، والمكحلة، والمرآة، والمشط، والمقراض، والسواك، والخيوط، والإبرة، فيخيط ثيابه، ويخصف نعله(٢).

وكان صلى الله عليه وسلم يستاك بالأراك(٣).

---

(١) روى أبو الحسن البلاذري عن أنس رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسرح لحيته بالماء في كل يوم.

(٢) عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سافر حمل معه خمسة أشياء: المرآة والمكحلة، والمقراض، والسواك، والمشط «وفي رواية أخرة عنها: ستة أشياء؛ المرآة والقارورة، والمقراض، والسواك، والمكحلة، والمشط». قال العراقي: رواه الطبراني في الأوسط والبيهقي في السنن، والخرائطي في مكارم الأخلاق، واللفظ له، وطرقه كلها ضعيفة، انتهى.

(٣) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كنت أجتني لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواكاً من أراك «أخرجه أبو يعلى ٩/ ٢٠٩. وأخرجه الطيالسي ٢/ ١٥١، حديث ٢٥٦١، والإمام أحمد في المسند ١/ ٤٢٠، وأبو نعيم في الحلية ١/ ١٢٧. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٢٨٩: «ورواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني من طرق».
وروى الإمام أحمد والشيخان وأبو داود والنسائي وابن ماجة عن حذيفة رضي الله عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام من الليل يشوّص فاه بالسواك». =

وكان إذا قام من النوم يشوِّص فاه بالسواك[1]، فيستاك في الليل ثلاث مرات؛ قبل النوم وبعده، وعند القيام لورده، وعند الخروج لصلاة الصبح[2].

فصل
في آداب السواك

ولنذكر هنا شيئاً من آداب السواك؛ فإن الحاجة ماسة لذلك. فنقول:

الكلام على السواك يتعلق بستة أطراف؛

الأول: حكمه.

الثاني: فضله.

الثالث: في كيفيته.

الرابع: في سر مشروعيته.

الخامس: في وقته.

السادس: فيما يستاك به.

والجواب عن الأول: أن السواك مطلوب في الشرع على جهة الندب، بإجماع من يعتد بإجماعه[3].

= أخرجه البخاري ١/٣٥٦، حديث ٢٤٥، ١١٣٦. ومسلم ١/ ٢٢٠ في الطهارة ٤٦/ ٢٥٥.

(١) قوله يشوِّص فاه: بشين معجمة أي يدلكه.

(٢) وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ربما استاك رسول الله صلى الله عليه وسلم من الليل أربع مرات» ذكره الهيثمي في المجمع ٢/ ١٠٠.
وروى مسدد والطبراني وابن أبي شيبة، وعبد، عن أبي أيوب رضي الله تعالى عنه قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستاك من الليل مراراً».
ذكره الهيثمي في الكبير ٢/ ٩٩.

(٣) وهو سنة عند السادة الحنفية لكل وضوء عند المضمضة، ومن فضائل الوضوء، قبل المضمضة عند السادة المالكية، لقوله صلى الله عليه وسلم: «لولا أن أشق على أمتي =

وحكي عن داود[١] وجوبه.

قيل: ولا يصح على مذهبه أنه سنة كالجماعة.

قالوا: ولو صح لم تضر مخالفته، لانعقاد الإجماع الذي عليه المحققون، والأكثرون.

وحكي الوجوب أيضاً عن إسحق. وقالوا: لا يصح ذلك عنه.

وهو عندنا[٢] من فضائل الوضوء، والشافعية يسمونه سنة على اصطلاحهم، إذ لا فرق عندهم بين السنة والفضيلة، والرغيبة والنافلة، ونحن نفرق بين ذلك على ما هو مقرر في مذهبنا.

وعن الثاني[٣]: جاء في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة».

= لأمرتهم بالسواك عند كل وضوء». رواه البخاري تعليقاً والنسائي وابن خزيمة في صحيحه، وصححه الحاكم عن أبي هريرة.

وهو عند السادة الشافعية والحنابلة سنة مستحبة عند كل صلاة، للحديث السابق، برواية الجماعة، «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة»، وسنة أيضاً عند الوضوء بعد غسل الكفين، وقبل المضمضة، ولتغير الفم والأسنان.

وكما أنه يتأكد للصلاة، ولتغير الفم، واصفرار الأسنان، يتأكد أيضاً لقراءة القرآن، والحديث الشريف، والعلم الشرعي، ولذكر الله تعالى، وللنوم واليقظة، ولدخول المنزل، وعند الاحتضار، وفي السحر، وللأكل، وبعد الوتر، وللصائم قبل الظهر، وأضاف الشافعية: ويسن التخلل قبل السواك وبعده، ومن آثار الطعام.

انظر: فتح القدير ١/ ١٥، وما بعدها، اللباب ١/ ١٤، الشرح الصغير ١/ ١٢٤وما بعدها، المجموع ١/ ٣٢٩ وما بعدها، الشرح الكبير١/ ١٠٢ وما بعدها، مغني المحتاج ١/ ٥٥ وما بعدها، المهذب ١/ ١٣، كشاف القناع ١/ ٧٨ وما بعدها، موسوعة الفقه الإسلامي وأدلته لأستاذنا العلامة الدكتور وهبة الزحيلي حفظه الله تعالى ١/ ٣٠٠ وما بعدها.

(١) أي داود الظاهري.

(٢) أي عند السادة المالكية.

(٣) أي الكلام على فضله.

أي: لأمرتهم أمر إيجاب وإلزام، وإلا فمعلوم أننا مأمورون به على طريق الندب.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: في السواك عشر خصال:

«يذهب الحفر، ويجلو البصر، ويشد اللثة، وينقي البلغم، ويطيب الفم، وتفرح له الملائكة، ويرضي الرب تبارك وتعالى، ويوافق السنة، ويزيد في حسنات الصلاة، ويصح الجسم»[1]. **وزاد الحكيم الترمذي:** ويزيد الحافظ حفظاً، وينبت الشعر، ويصفي اللون.

وعن الشافعي رضي الله عنه: «أربع تزيد في العقل؛ ترك الكلام من الفضول، والسواك، ومجالسة العلماء والصالحين، والعمل بالعلم».

ويروى عن كعب أنه قال: من أحب أن يحبه الله فليكثر من السواك، والتخلل، فالصلاة بهما تعدل مائة صلاة. قال: وروي عن خالد عن أبيه قال: «السواك شطر الوضوء، والوضوء شطر الصلاة، والصلاة شطر الإيمان».

قلت: وهذه آداب حسنة ينبغي تعاهدها في السواك، فإن ذلك لا يجلب إلا خيراً.

وعن الثالث[2]: ينبغي أن يستاك عرضاً[3]؛ فإن الشيطان يستاك طولاً، إلا في اللسان؛ فإنه يستاك فيه طولاً[4].

---

(١) وفي طبقات الشافعية للإمام السبكي رحمه الله تعالى: فائدة في السواك: السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب، مفرح للملائكة، مسخط للشيطان، يزيد في الثواب، ويقوي البصر وأصور الشعر، ويشد اللثة، ويقطع البلغم، ويحل عقد اللسان، ويزيد في الذكاء، ويقوي الباءة، ويكثر الرزق، ويزيل تغير الرائحة والقلح - وهي تغير الأسنان بصفرة أو خضرة - ويهوّن سكرات الموت قال: نقل ذلك بعض مشايخنا رضي الله عنهم.
طبقات الشافعية الكبرى - الإمام السبكي ٩/ ١٣١، تحقيق الطناحي والحلو.

(٢) أي كيفيته.

(٣) لخبر: «إذا استكتم فاستاكوا عرضاً» رواه أبو داود في مراسيله.

(٤) كما ذكره ابن دقيق العيد مستدلاً بخبر في سنن أبي داود، بسنده عن أبي بردة عن أبيه =

وينبغي أن يبدأ بالسواك من الجانب الأيمن من فيه، قال الترمذي الحكيم رضي الله عنه: وتجعل الخنصر من يمينك أسفل السواك، وتحته البنصر والوسطى، والسبابة فوق السواك، واجعل الإبهام من أسفل رأس السواك تحته، كذلك السنة فيه كما روي عن عبد الله بن مسعود. ولا تقبض القبضة على السواك؛ فإن ذلك يورث البواسير.

قالت الشافعية: ويستحب أن يمر بالسواك على أطراف أسنانه، وكراسي أضراسه، وسقف حلقه، إمراراً لطيفاً.

قال الترمذي الحكيم: وابلع ريقك من أول ما تستاك؛ فإنه ينفع من الجذام والبرص، وكل داء سوى الموت، ولا تبلع بعده شيئاً فإنه يورث الوسوسة.

قال: ولا تمص السواك مصاً فإن ذلك يورث العمى، ولا تضع السواك إذا وضعته عرضاً، وانصبه نصباً، فإنه يروى عن سعيد بن جبير رضي الله عنه أنه قال: من وضع سواكه بالأرض فجنَّ من ذلك فلا يلومنَّ إلا نفسه.

وعن الرابع: أما سر مشروعية السواك؛ فقيل: إن العبد إذا قام إلى الصلاة يقرأ القرآن؛ لا يزال الملك يدنو منه إعجاباً منه بالقرآن؛ فيضع فاه على فيه، فلا تخرج آية إلا في جوفه، فأمر بالسواك لتطييب الفم للملائكة الذين معك حافظيك، والملك الذي يستقبلك ويضع فاه على فيك(1).

= قال: «أتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نستحمله، فرأيته يستاك على لسانه» سنن أبي داود ١/ ١٢، والإلمام لابن دقيق العيد: ص ١٦.

(1) عن سيدنا علي رضي الله عنه أنه أمر بالسواك وقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن العبد إذا تسوّك ثم قام يصلي قام الملك خلفه فيستمع لقراءته فيدنو منه، أو كلمة نحوها، حتى يضع فاه على فيه، فما يخرج من فيه شيء من القرآن إلا صار في جوف الملك، فطهّروا أفواهكم للقرآن».
رواه البزار بإسناد جيد لا بأس به، وروى ابن ماجة بعضه موقوفاً، ولعله أشبه. ذكره المنذري في الترغيب والترهيب.

وقد قال صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم: «من أكل من هاتين الشجرتين - يعني الثوم والكراث - فلا يقرب مسجدنا «قيل: يا رسول الله فإذا كان أحدنا خالياً؟ قال عليه الصلاة والسلام: إن الملائكة لتتأذى مما يتأذى منه بنو آدم»[١].

وقال الحكيم الترمذي أيضاً - ما معناه - إن الإنسان إذا نام ارتفعت معدته وانتفخت وتصعد بخارها إلى الفم والأسنان، فينتن ويغلظ، ويرى أن الشيطان ذلك طعامه، ويمسح لسانه عليه، ويرمي به.

فهذا أصل استحباب السواك عند القيام من النوم، والله أعلم.

وعن الخامس[٢]: الاستياك عندنا في كل وقت للصائم وغيره، أول النهار ووسطه وآخره.

وقالت الشافعية: يكره الاستياك للصائم بعد الزوال[٣]، خوف إزالة رائحة الخلوف المستحبة[٤].

قالوا: ويتأكد استحباب السواك في خمسة أوقات:

الأول: عند الصلاة[٥]، سواء كان متطهراً بماء أو بتراب، أو غير متطهر كمن لم يجد ماء ولا تراباً.

---

(١) حديث: «من أكل من هذه الشجرة الخبيثة فلا يقرب مسجدنا، فإن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه الإنس» رواه الشيخان بسندهما عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.
انظر: كنز العمال ١٥/ ٢٦٨ الحديث رقم ٤٠٩١٣.

(٢) أي وقت السواك.

(٣) أي من وقت صلاة الظهر إلى أن تغرب الشمس.

(٤) لخبر الصحيحين: «الخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» وأطيبية الخلوف تدل على طلب إبقائه، فكرهت إزالته.
والخلوف: تغير رائحة الفم، والخلوف بعد الزوال لخبر: «أعطيت أمتي في شهر رمضان خمساً؛ ثم قال: وأما الثانية فإنهم يمسون وخلوف أفواههم أطيب عند الله من ريح المسك».

(٥) لحديث: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة كما يتوضؤون» رواه أحمد بإسناد جيد.

الثاني: عند الوضوء[1].

الثالث: عند قراءة القرآن[2].

الرابع: عند الاستيقاظ من النوم[3].

الخامس: عند تغير الفم.

وتغييره يكون بأشياء؛ منها: ترك الأكل والشرب. ومنها: ما له رائحة كريهة. ومنها: طول السكوت. ومنها: كثرة الكلام. والله أعلم.

وعن السادس[4]: قال العلماء: أحسن ما يستاك به الأراك، رطباً ويابساً[5].

قال أصحابنا: إلا الصائم فإنه يكره أن يستاك بالأخضر، وأما الجوزة المحمرة فحرام للصائم، وأما العود المبلول بالماء فلا كراهة فيه[6].

= ورواه البزار والطبراني في الكبير من حديث العباس بن غبد المطلب، ولفظه: «لولا أن أشق على أمتي لفرضت عليهم السواك عند كل صلاة كما فرضت عليهم الوضوء».

(١) لخبر: «لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك مع كل وضوء» رواه الطبراني في الأوسط بسند حسن، عن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) وقد مر خديث سيدنا علي رضي الله عنه آنفاً في حاشية الصفحة فانظره ثمة.

(٣) روى الطيالسي، والإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا ينام إلا والسواك عنده، فإذا استيقظ بدأ بالسواك». انظر مسند الإمام أحمد ٢/١١٧.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إن النبي صلى الله عليه وسلم كان لا يرقد من ليل ولا نهار، فيستيقظ إلا تسوَّك قبل أن يتوضأ».

(٤) أي فيما يستاك به.

(٥) روى أبو يعلى وابن حبان بسندهما عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «كنت أجتني لرسول الله صلى الله عليه وسلم سواكاً من أراك». أخرجه أبو يعلى ٩/٢٠٩، والطيالسي ٢/١٥١ الحديث رقم ٢٥٦١، والإمام أحمد في المسند ١/٤٢٠، وأبو نعيم في الحلية ١/١٢٧.

(٦) روى ابن سعد عن عكرمة مرسلاً: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استاك بجريد رطب وهو صائم» أخرجه ابن سعد ١/٢/١٧٠.

فإن لم يجد الأراك فبشيء خشن، ويجزي عندنا الأصبع[١].

وللشافعية فيها خلاف بتفصيل؛ قالوا: إن كانت لينة لم يحصل بها السواك، وإن كانت خشنة؛ فثلاثة أوجه: المشهور أنه لا تجزي، والثاني: تجزي، والثالث: إن لم يجد غيرها[٢].

ويستحب أن تكون بين اليبوسة والليونة، وهذا ما أردنا الكلام على السواك، والله تعالى أعلم.

وكان صلى الله عليه وسلم يحتجم في الأخدعين، وبين الكتفين[٣].

---

(١) وذلك عند عدم السواك في رأي السادة الحنابلة والسادة المالكية رضي الله عنهم. قال الإمام علي رضي الله عنه: «التشويص بالمسبحة والإبهام سواك» وروى البيهقي وغيره من حديث أنس يرفعه: «يجزي من السواك الأصابع» وقد تكلم فيه المحدثون، ورواه أيضاً ابن عدي والدارقطني.
انظر: نيل الأوطار للشوكاني ١/١٠٦، ونصب الراية ١/ ١٠. وموسوعة الفقه الإسلامي وأدلته للعلامة الزحيلي.

(٢) ولا يحصل السواك بالأصبع في الأصح عند الشافعية والحنابلة، كما لا يحصل بخرقة عند الحنابلة، ويصح بكل خشن عند الشافعية؛ لأن استعمال الإصبع لايسمى استياكاً، ولم يرد الشرع به، ولا يتحقق به الإنقاء الحاصل بالعود، هكذا قالوا. ولا يستاك بعود الرمان، ولا الآس، ولا الريحان، ولا الأعواد الزكية الرائحة، لأنها تضر بلحم الفم، ولا يحصل الإنقاء بها، ولم يرد بها الشرع، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تخللوا بعود الريحان، ولا الرمان، فإنهما يحركان عرق الجذام» رواه محمد بن الحسين الأزدي عن قبيصة بن ذؤيب. ولا يستاك أيضاً بقصب الشعير، ولا بعود الحلفاء، ونحوهما من كل ما يضر أو يجرح، ولأنهما يورثان الأكلة أو البرص. ويقول إذا استاك: «اللهم طهر قلبي ومحص ذنوبي» واستحب بعضهم أن يقول في أول السواك: «اللهم بيض به أسناني، وشدّ به لثاتي، وثبت به لهاتي، وبارك لي يا أرحم الراحمين» قال الإمام النووي رضي الله عنه: وهذا لا بأس به، وإن لم يكن له أصل، فإنه دعاء حسن.
مغني المحتاج ١/٥٦، وموسوعة الفقه الإسلامي للعلامة الزحيلي ١/ ٣٠٤.

(٣) روى الترمذي والحاكم عن أنس، والطبراني في الكبير، والحاكم، عن ابن عباس رضي الله عنهم: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجم في الأخدعين، والكاهل، =

والأخدع: عرق في موضع المحجمتين، وهو شعبة من الوريد، وهما أخدعان، قاله الجوهري.

واحتجم صلى الله عليه وسلم وهو محرم، على ظهر القدم[(١)].

وكان يحتجم لسبع عشرة، وتسع عشرة، وإحدى وعشرين[(٢)].

وكان صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين,وسيد المرسلين، وآتاه الله علم الأولين، والآخرين، وفضّله على سائر الخلق أجمعين، ولا يحصي مناقبه أحد من العالمين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله، وصحبه أجمعين، وعلى أزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين، وعلينا معهم يا رب العالمين.

= وكان يحتجم لسبع عشر، وتسع عشر، وإحدى وعشرين». وروى أبو داود والبيهقي، وابن ماجة، عن أبي كبشة الأنماري رضي الله تعالى عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يحتجم على هامته وبين كتفيه ويقول: من هَرَاق من هذه الدماء فلا يضره أن لا يتداوى بشيء لشيء». أخرجه أبو داود ٣٨٥٩، والبيهقي ٩/ ٣٤٠، وابن ماجة ٣٤٨٤.

(١) روى ابن حبان في صحيحه عن أنس رضي الله عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم احتجم وهو محرم على ظهر القدم من وجع كان به». وروى ابن أبي شيبة برجال ثقات، قال: احتجم رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محرم من وجع وجده في رأسه.

(٢) روى الإمام أحمد والترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «خير ما تحتجمون يوم سبع عشرة، ويوم تسع عشرة، ويوم إحدى وعشرين» زاد الإمام أحمد والحاكم: «وما مررت بملأ من الملائكة ليلة أسري بي إلا قالوا: عليك بالحجامة يا محمد».

الباب العاشر

في معجزاته وما خصه به تعالى من آياته صلى الله عليه وسلم، ومجّد وكرّم، وشرّف وعظّم، ووالى عليه وأنعم

المعجزات جمع معجزة، «مفعلة» من العجز، إنما يتحدى به النبي عن الإتيان بمثله.

هذا معنى المعجزة، وتسمى أيضاً: آية. قال عليه الصلاة والسلام: «ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة»[1].

وقد اختلف المتكلمون في حد المعجزة؛ فقال الإمام في الإرشاد[2]: لفظة تطلق على الآية الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم. واعترض على الحد بما لا نطول بذكره، وأولى عبارة حررت في حدها أن يقال: المعجزة معلوم خارق للعادة، ظاهر على حسب سؤال مدعي النبوة، غير مكذب ممتنع وقوعه عقلاً من غير النبي إذا كان ينبغي معارضة يعقبه وقوع العلم بالتصديق ضرورة للحاضرين بشرط تقدم علمهم بما يتوقف عليه تلك الضرورة.

فقولنا: «معلوم» احتراز من الإعدام.

---

(١) أخرجه ابخاري في: ٦٦- كتاب فضائل القرآن ١، باب كيف نزول الوحي، وأول ما نزل، الحديث ٤٩٨١، ص ٩/ ٣. وأعاده البخاري في الاعتصام عن عبد العزيز بن عبد الله. وأخرجه مسلم في كتاب الإيمان ٧١، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الحديث ٢٣٩، ١/ ١٣٤ عن قتيبة بن سعيد.

(٢) أي إمام الحرمين الجويني في كتابه «الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد».

وقولنا: «خارق» احتراز من العادي.

وقولنا: «ظاهر على حسب سؤال المدعي» احتراز من وقوعها على عكس سؤاله. وقولنا: «غير مكذب» احتراز من تكذيب المعجز له.

وقولنا: «ممتنع وقوعه من غيره إذا كان ينبغي معارضة» احتراز من وقوعها من نبي آخر مصدق له أو ولي. وقولنا: «يعقبها علم ضروري بالتصديق» احتراز من عدم ذلك؛ فلا يكون ذلك حجة.

وقولنا: «بشرط تقدم علم الحاضرين بما يتوقف عليه صحة هذه الضرورة» لأن من يعلم ذلك لا يحصل له العلم، ولا يعلم وجه دلالة المعجزة.

قال صاحب لباب النقول: وتتساوى المعجزات والكرامات في كونها ناقضة للعادات، والفرق بينهما بالتسمية، لأن صاحب المعجزة يتحدى بها خصومه مبالغة في الإظهار؛ وصاحب الكرامة لا يتحدى ولا يدعي، بل يجتهد في الكتمان، والإسرار، وصاحب المعجزة بعد ظهورها عليه مأمون عليه، معصوم من الكفر والمعاصي، بخلاف صاحب الكرامة، وذكر عن بعض العلماء ما يشعر بجواز تحدي الولي بالكرامة كما يتحدى النبي بالمعجزة. واستيعاب ذلك في فين الكلام.

فمن أفضل معجزاته صلى الله عليه وسلم القرآن الكريم، الذي أعجز الفصحاء، وأخرس البلغاء لانطوائه على وجوه من الإعجاز كثيرة، ونحصيها ونلخصها من جهة ضبط أنواعها دون مفرداتها في أربعة أوجه؛

الوجه الأول: حسن تأليفه والتئام كلمه[1]، وفصاحته ووجوه إيجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب الفصحاء البلغاء.

---

(١) حسن تأليفه: أي نظم كلماته مؤتلفة متوافقة، والتئام كلمه: كونها متناسبة بحسب الدلالة ومقتضى مقاماتها.

الوجه الثاني: صورة نظمه العجيب وأسلوبه الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج[(1)] نظمها ونثرها الذي جاء عليه، [ووقفت] مقاطع آيه، وانتهت فواصل كلمه إليه[(2)]، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع أحد مماثلة شيء منه؛ بل حارت فيه عقولهم، وتدلهت دونه أحلامهم[(3)]، ولم يهتدوا إلى مثله في جنس كلامهم؛ من نظم أو نثر، أو سجع أو رجز، أو شعر.

الوجه الثالث: ما انطوى[(4)] عليه من الإخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع؛ فوجد؛ كما ورد على الوجه الذي أخبر به؛ كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ﴾[(5)]. وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾[(6)].

وقوله تعالى: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾[(7)].

---

(1) قوله مناهج: جمع منهج، وهو الطريق؛ أي لا يشبه كلامهم المنظوم، وهو الشعر، ولا المنثور من الخطب وغيرها.

(2) المقاطع: جمع مقطع؛ وهو آخر الكلام الذي يقف عليه القاريء، والمراد انتهت ووصلت، والفواصل: جمع فاصلة؛ وهي الكلمة الأخيرة من الفقرة ونحوها.

(3) تدلهت أي دهشت وتحيرت في شأنه، والأحلام جمع حلم؛ وهو العقل، يعني أن عقولهم لم تصل إليه؛ إذ تحيرت فيما هو أقل منه، فكيف به!.

(4) أي ما اشتمل عليه.

(5) سورة الفتح ـ الآية ٢٧. رأى النبي صلى الله عليه وسلم وهو بالمدينة عام الحديبية أنه دخل المسجد الحرام مع أصحابه، وأخبرهم بذلك، فظنوا أنه سيقع في ذلك العام، فلما صدهم المشركون عن الدخول شق عليهم ذلك، فأخبرهم الله تعالى بأنه سيقع بعد ذلك، وكان كما أخبر.

(6) سورة الروم ـ الآية ٣. أخبر الله تعالى أن الروم تغلب فارس بعد مدة، وكان كما أخبر الله تعالى في كتابه.

(7) سورة التوبة ـ الآية ٣٣. وعد الله تعالى بأن دين رسول الله صلى الله عليه وسلم سيظهر، وتغلب أمته جميع الأمم، وكان كما قال تعالى.

وقوله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾﴾ الآية[1].

وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾[2]؛ فكان جميع هذا، كما قال؛ فغلبت الرومُ فارسَ في بضع سنين، ودخل الناس في الإسلام أفواجا[3]؛ فما مات صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب كلها موضع لم يدخله الإسلام. واستخلف الله المؤمنين في الأرض، ومكَّن فيها دينهم، وملّكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب[4]، كما قال عليه الصلاة والسلام: «زويت لي الأرض؛ فأريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها»[5].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[6]؛ فكان كذلك، لا يكاد يُعَدُّ من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطِّلة، لا سيما القرامطة[7]؛ فأجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم، اليوم

---

(١) سورة النور ـ الآية ٥٥. قوله: ليستخلفنهم: أي يجعلهم خلفاء في أرضه، مالكين لها، منصورين على أعدائهم، وكان كما أخبر تعالى.

(٢) سورة النصر، نزلت مبشرة بفتح مكة؛ وكان الفتح.

(٣) أفواجاً: جماعات كثيرة، بعد جماعات كثيرة.

(٤) أي أبعد مكان من جانب المشرق، إلى أبعد مكان من جانب المغرب.

(٥) رواه مسلم في صحيحه ـ ٢٢١٥. وذكره في الشفاء صفحة ٣٧٥.

(٦) سورة الحجر ـ الآية ٩. أخبر تعالى أنه تولى حفظ القرآن من التبديل والتغيير في سائر الزمان.

(٧) الملحدة من الإلحاد، وهو الميل عن الحق، سموا بذلك لعدولهم عن ظواهر الشريعة، وتأويلها بأمور سخيفة، ويسمون باطنية: نسيم الرياض ٢/٥٥٣. والمعطلة: الذين نفوا الصانع، والقرامطة: طائفة من الملحدين أيضاً قال السمعاني في الأنساب: القرمطي =

نيِّفاً على مدة سبعمائة عام وتسع وعشرين سنة[١] لأول نزوله، إلى وقتنا هذا، فما قدروا على إطفاء شيء من نوره، ولا تغيير كلمة من كلامه، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه، وغير ذلك مما لا يحصى، والحمد لله.

الوجه الرابع: في إعجازه من إنبائه من أخبار القرون السالفة، والأمم البائدة، والشرائع الدائرة[٢]، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أحبار أهل الكتاب[٣] الذي قطع عمره في تعلُّم ذلك؛ فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه، ويأتي به على نصه؛ فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه، وأن مثله[٤] لم ينله بتعليم.

وقد علموا أنه صلى الله عليه وسلم أمي لا يقرأ ولا يكتب، ولا اشتغل بمدارسةٍ، ولا مثافنة[٥]، ولم يغب عنهم، ولا جهل حاله أحد منهم.

= بكسر القاف نسبة لطائفة خبيثة وهم من أهل هجر والحسا، وأصلهم رجل من سواد الكوفة يقال له قرمط، وقيل حمدان بن قرمط.

(١) وهذا تاريخ تأليف هذا الكتاب كما هو مستفاد من هذه العبارة، أما الآن وهو وقت خروج هذا الكتاب إلى النور فقد مضى ألف وأربعمائة وعشرون عاماً، وهو باق على ما هو عليه وسيبقى إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، دون تحريف ولا تغيير ولا تبديل لأنه كلام من قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ صدق الله العظيم.

(٢) قوله الشرائع الدائرة: أي الدارسة، التي لم يبق لها أثر، فالمراد معرفته بالشرائع القديمة التي نسيت ونسخت أحكامها.

(٣) الفذُّ: الفرد والشاذ، والأحبار: جمع حبر، وهو العالم الحافظ الواسع علمه، والعرف يخصه بعلماء أهل الكتاب.

(٤) قوله مثله: أي مثل النبي، أو مثل هذا الكلام لم يصل إليه النبي صلى الله عليه وسلم بتعليم من البشر، بل بوحي من الله تعالى خالق القُوَى والقُدَر.

(٥) بمدارسة: بحفظ وتلقٍّ من الأفواه، وقوله: «مثافنة» أي مداومة طلب، ومجالسة تحتك فيها الركب بالركب حتى يؤثر فيها الاحتكاك، وهو عبارة عن كثرة الجلوس مع أهل العلم بالأخبار والشرائع للتعلم عنهم، وفي نسخة مثاقبة ويراد بها المزاحمة في المعرفة، من ثقوب الذهب، وهو وصوله إلى الصواب.

وقد كان أهل الكتاب كثيراً ما يسألونه ـ صلى الله عليه وسلم ـ عن هذا فينزل عليه من القرآن ما يتلو عليهم منه ذكراً؛ كقصص الأنبياء مع قومهم، وخبر موسى والخضر، ويوسف وإخوته، وأصحاب الكهف، وذي القرنين، [ولقمان وابنه، وأشباه ذلك من الأنبياء والقصص، وبدء الخلق، وما في التوراة، والإنجيل، والزبور]، وصحف ابراهيم وموسى، مما صدقه فيه العلماء بها، ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها؛ بل أذعنوا لذلك غاية الإذعان[1]، ولا يحتاج النهار إلى بيان. هذا معنى كلام القاضي أبي الفضل ـ رحمه الله تعالى ـ وأكثر لفظه. قال: وقد جاءت آي بتعجيز قوم في قضايا[2]، وإعلامهم أنهم لا يفعلونها، فما فعلوا ولا قدروا على ذلك؛ كقوله لليهود: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾[3].

قال أبو إسحاق الزجاج[4]: في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال: ﴿فَتَمَنَّوُا ٱلْمَوْتَ﴾؛ وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً، فلم يتمنه واحدٌ منهم.

وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم إلا غص بريقه ـ يعني يموت مكانه ـ»[5].

---

(١) أي: أقروا واعترفوا منقادين له صلى الله عليه وسلم.

(٢) جمع قضية، وهي الحادثة الواقعة في حكم قضاه الله تعالى وقدره.

(٣) سورة البقرة ـ الآية ٩٤. قال لهم ذلك لما ادعوا دعاوى باطلة؛ كقولهم: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً أو نصارى.

(٤) في تفسيره المسمى بمعاني القرآن وهو تفسير جليل يعتمد عليه الزمخشري في كشافه، وهو مأخذه، والإمام الزجاج اسمه ابراهيم بن السري بن سهل بن الزجاج نسبة لصنعته، توفي سنة إحدى عشر وثلاثمائة من الهجرة.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٢، والغصة: ما تقف في الحلق فتمنه النفس حتى تهلكه. وغصَّ بريقه: وقع الموت به سريعاً.

فصرفهم الله تعالى عن تمنيه وجزَّعهم ليظهر صدق رسوله صلى الله عليه وسلم، وصحة ما أوحي إليه، إذ لم يتمنه أحد منهم؛ وكانوا على تكذيبه أحرص لو قدروا؛ ولكن الله يفعل ما يريد؛ فظهرت بذلك معجزته، وبانت حجته.

قال أبو محمد الأصيلي: من أعجب أمرهم أنه لا يوجد منهم جماعة، ولا واحد، من يوم أمر الله بذلك نبيه ـ يُقدم عليه[1]، ولا يجيب له.

وهذا موجود مشاهد لمن أراد أن يمتحنه منهم.

وكذلك آية المباهلة[2] من هذا المعنى، حيث وفد عليه صلى الله عليه وسلم أساقفة نجران، وأبوا الإسلام؛ فأنزل الله تعالى عليه آية المباهلة بقوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾[3].

فامتنعوا منها[4]، ورضوا بأداء الجزية؛ وذلك أن «العاقب» عظيمَهم قال لهم: قد علمتم أنه نبي، وأنه ما لاعن قوماً نبيٌّ قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم.

ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟﴾[5] الآية.

فأخبرهم أنهم لا يفعلون؛ كما كان.

---

(١) أي على تمني الموت، ولا يجيب إليه أي إلى تمنيه، إذا قيل له: تمنَّ.

(٢) المباهلة: الملاعنة، أي الدعاء باللعنة على الظالم من الفريقين.

(٣) سورة آل عمران ـ الآية ٦١.

(٤) أي من المباهلة.

(٥) سورة البقرة ـ الآيتان ٢٣، ٢٤.

وهذه الآية تدخل في باب الإخبار عن الغيب، ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها، والله عز وجل أعلم.

فصل

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم انشقاق القمر

ومنها: انشقاق القمر له فرقتين حين سألته قريش؛ فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال صلى الله عليه وسلم: «اشهدوا»[1].

وأنزل الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[2].

---

(١) وذلك بمكة قبل الهجرة، رواه ابن الجوزي في «الوفا» عن ابن عباس، وقوله: اشهدوا، أي اشهدوا على معجزتي ونبوتي، ووقوع ما طلبوه، لأنهم أهل بهتان وجحود. قال الخفاجي في نسيم الرياض: قال السبكي: إنه متواتر لا يجوز إنكاره، وردوا قول الماوردي: إن الجمهور على خلافه، وتأويل ينشق بمعنى سينشق، فإنه لو وقع لم يبق أحد إلا رآه. ولم يعتد القاضي عياض بهذه المقالة، وهي لا تخرق إجماع السلف من أهل السنة. انظر الشفا ص ٣٩٧.

(٢) سورة القمر ـ الآية ١. عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر مرتين. وعنه أيضاً: سأل أهل مكة النبي صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر بمكة فرقتين مرتين ﴿وَإِن يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾. يقول: ذاهب». أخرجه البخاري في كتاب المناقب ٢٧ باب سؤال المشركين أن يريهم النبي صلى الله عليه وسلم آية، فأراهم انشقاق القمر، حديث ٣٦٢٧، فتح الباري ٦/ ٦٣١، عن عبد الله بن محمد، عن يونس، عن شيبان، عن قتادة، عن أنس، وأعاده في كتاب مناقب الأنصار ٣٦، باب انشقاق القمر، حديث ٣٨٦٨، فتح الباري ٧/ ١٨٣، عن عبد الله بن عبد الوهاب، عن بشر بن المفضل، عن سعيد ابن أبي عروبة، عن قتادة، عن أنس، وبالإسناد الأول أعاده البخاري في تفسير وانشق القمر.

«فتح الباري ٨/ ٦١٧».

وأخرجه مسلم في: كتاب المنافقين ـ باب انشقاق القمر، حديث ٤٣، ٤٧، ٤٨. عن عبد الله بن مسعود، وعن أنس، وعن ابن عباس، ٤/ ٢١٥٨. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٣٧٧، ٤١٣، ٤٤٧ و٣/ ٢٧٥، ٢٧٨ و٤/ ٨٢.

فصل
ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم نبع الماء وتكثيره ببركته

ومنها: نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم، وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم.

عن أنس رضي الله عنه قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحانت صلاة العصر، فالتمس الناس الوَضوء[1]، فلم يجدوه، فأتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوَضوء؛ فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده في ذلك الإناء، وأمر الناس أن يتوضؤوا منه. قال: فرأيت الماء ينبع من بين أصابعه، فتوضأ الناس حتى توضؤوا من عند آخرهم[2].

فائدة:

مما جرى على ألسنة الناس قديماً أنهم إذا بالغوا في وصف إنسان بالكرم قالوا: هذا ندي الكف، يكنون بذلك عن كرمه مجازاً؛ فما هو لغيره صلى الله عليه وسلم مجاز فعله الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم حقيقة.

---

(١) التمس الناس: أي طلبوا.
والوَضوء بفتح الواو: الماء الذي يتوضأ به.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي ٣٥ باب غزوة الحديبية، الحديث ٤١٥٢ عن يوسف ابن عيسى، عن ابن فضيل، عن حصين، عن سالم، عن جابر، فتح الباري ٧/ ٤٤١. وأخرجه مسلم في المغازي عن أبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبد الله بن نمير، كلاهما عن عبد الله بن إدريس، عن رفاعة بن الهيثم، عن - لد بن عبد الله، عن حصين، وعن أبي موسى وبندار، عن غندر، عن شعبة، عن عمرو بن مرة.

فصل

ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير الطعام ببركته ودعائه

ومنها: تكثير الطعام ببركته صلى الله عليه وسلم ودعائه صلى الله عليه وسلم.

روينا في كتاب «الشفا» عن جابر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه(١)؛ فأطعمه شطر وسق شعير(٢)؛ فما زال يأكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله(٣)، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره، فقال: لو لم تكله لأكلتم منه ولقام بكم(٤).

ومن ذلك حديث أبي طلحة المشهور، وإطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين أو سبعين رجلاً من أقراص من شعير جاء بها أنس تحت يده؛ أي إبطه، فأمر بها ففتت، وقال فيها ما شاء الله أن يقول(٥).

---

(١) يستطعمه: يطلب منه طعاماً له ولأهله، لشدة احتياجه.

(٢) شطر وسق شعير: الشطر: النصف، أو البعض. والوَسق: بفتح الواو وكسرها: الحمل، أو مقدار ستين صاعاً.

(٣) أي استمر أكلهم منه من غير نقص شيء منه إلى أن كاله، فظهر نقصه بعد الكيل مما يأخذ منه، فكانت البركة في ترك كيله حتى لو لم يكله لم ينفد.

(٤) قوله: لأكلتم منه: استمر أكلكم منه إلى غير نهاية، وقوله: ولقام بكم، لكفاكم مدة حياتكم. وكان فيه قوام لكم من غير نقص، والحديث في صحيح مسلم ١٧٨٤، في كتاب الفضائل، وذكره القاضي عياض في الشفا صفحة٤١٠.

(٥) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال أبو طلحة لأم سليم: لقد سمعت صوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضعيفاً أعرف فيه الجوع، فهل عندك من شيء؟ فقالت: نعم. فأخرجت أقراصاً من شعير، ثم أخذت خماراً لها فلفّت الخبز ببعضه، زاد يحيى: ثم دسته تحت ثوبي.وردتني ببعضه، ثم اتفقا، قال: ثم أرسلتني إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فذهبت به فوجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً في المسجد، ومعه الناس، فقمت عليهم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أرسلك أبو طلحة؟» فقلت: نعم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن =

وحديث جابر في إطعامه صلى الله عليه وسلم يوم الخندق ألف رجل من صاع شعير وعناق.

وقال جابر: فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا، وإن برمتنا لتغط كما هي، وإن عجيننا ليخبز[1].

= معه: «قوموا» قال: فانطلق وانطلقت بين أيديهم، حتى جئت أبا طلحة، فأخبرته، فقال أبو طلحة: يا أم سليم!! لقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس، وليس عندنا ما نطعمهم. فقالت: الله ورسوله أعلم. قال: فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم معه حتى دخل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «هلمي ما عندك يا أم سليم!!». فأتت بذلك الخبز، فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فَفُتَّ وعصرت عليه أم سليم عُكَّة لها، فأدمته، ثم قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما شاء الله أن يقول، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم خرجوا، زاد قتيبة: ثم قال: ائذن لعشرة فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأذن لهم فأكلوا حتى شبعوا، ثم قال: ائذن لعشرة، فأكل القوم وشبعوا، والقوم سبعون أو ثمانون رجلاً. أخرجه البخاري في الصحيح عن قتيبة، كتاب الأيمان والنذور، باب إذا حلف أن لا يأتدم فأكل تمراً بخبز، وما يكون منه الأدم، الحديث ٦٦٨٨، فتح الباري ١١/ ٥٧٠. وأخرجه البخاري أيضاً بطوله في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، الحديث ٣٥٧٨، فتح الباري ٦/ ٥٨٦، ومختصراً في الصلاة باب ٤٣، كلاهما عن عبد الله بن يوسف. وأخرجه مسلم عن يحي بن يحي في كتاب الأشربة، باب جواز استتباعه غيره إلى دار من يثق برضاه، الحديث ١٤٢/ ١٦١٢. وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، عن إسحاق بن موسى ٥/ ٥٩٥. وذكره البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٨٩ وما بعدها.

(١) عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الخندق، نحفر فيه، فلبثنا ثلاثة أيام لا نطعم شيئاً، ولا نقدر عليه، فعرضت في الخندق كُديةٌ فجئت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت: هذه كدية قد عرضت في الخندق فرششنا عليها الماء، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبطنه معصوبة بحجر، فأخذ المعول أو المسحاة، ثم سمى ثلاثاً، ثم ضرب فعادت كثيباً أهيل، فلما رأيت ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: يا رسول الله !! ائذن لي، قال: فأذن لي، فجئت امرأتي، فقلت: ثكلتك أمك إني رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لا صبر عليه، فما عندك؟ قالت: عندي صاع من شعير وعناق - وهي الأنثى من ولد المعز - قال: فطحنا الشعير، وذبحنا العناق وأصلحناها، وجعلناها في البرمة، =

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك. رواه عن جابر سعيد بن ميناء، و[عبد الواحد بن] أيمن.

وأنشد:

أشبع ألفاً بقدر صاع ... بر ولم ينقصوا قلامه

وكيف يفنى طعام بر ... صير من ريقه ختامه

وحديث أبي أيوب رضي الله عنه، أنه صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ولأبي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: ادع بثلاثين من أشراف الأنصار، فدعاهم فأكلوا حتى تركوا؛

= وعجنت الشعير، ثم رجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلبث ساعة ثم استأذنته الثانية، فأذن لي فجئت، فإذا العجين قد أمكن، فأمرتها بالخبز، وجعلت القدر على الأثافي، ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فساررته، فقلت: إن عندنا طعيماً لنا فإن رأيت أن تقوم معي أنت ورجل أو رجلان معك فعلت؛ فقال: ما هو؟، وكم هو؟، قلت: صاع من شعير وعناق. قال: ارجع إلى أهلك فقل لها لا تنزع البرمة من الأثافي، ولا تخرج الخبز من التنور حتى آتي، ثم قال للناس: قوموا إلى بيت جابر.قال: فاستحييت حياء حتى لا يعلمه إلا الله، فقلت لامرأتي: ثكلتك أمك، وقد جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أجمعون، فقالت: أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم سألك عن الطعام؟ قلت: نعم. قالت: الله ورسوله أعلم قد أخبرته بما كان عندك؛ فذهب عني بعض ما كنت أجد، قلت: لقد صدقت، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ثم قال لأصحابه: لا تضاغطوا - أي لا تزدحموا - ثم برَّك على التنور وعلى البرمة، فجعلنا نأخذ من التنور الخبز، ونأخذ اللحم من البرمة، فنثرد ونغرف، ونقرِّب إليهم، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ليجلس على الصحفة سبعة أو ثمانية، فلما أكلوا كشفنا التنور والبرمة، فإذا هما قد عادا إليّ أملأ ما كانا، فنثرد ونغرف ونقرِّب إليهم، فلم نزل نفعل ذلك كلما فتحنا التنور وكشفنا عن البرمة، وجدناهما أملاء ما كانا حتى شبع المسلمون منها وبقيت طائفة من الطعام، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الناس قد أصابتهم مخمصة فكلوا وأطعموا. فلم نزل يومنا نأكل ونطعم. قال: وأخبرني أنهم كانوا ثمان مائة، أو ثلاثمائة. رواه البخاري عن خلاد بن يحي في كتاب المغازي ٢٩، باب غزوة الخندق، الحديث ٤١٠١، فتح الباري ١٧/ ٣٩٥. والبيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٤٢٢ وما بعدها، وسنن الترمذي ٥/ ٥٩٥.

ثم قال: ادع ستين؛ فكان مثل ذلك؛ ثم قال: ادع سبعين فأكلوا حتى تركوا، وما خرج منهم أحد حتى أسلم وبايع.

قال أبو أيوب: فأكل من طعامي مائة وثمانون رجلاً[1].

وعن سمرة بن جندب: أتي النبي صلى الله عليه وسلم بقصعة فيها لحم، فتعاقبوها من غدوة حتى الليل، يقوم قوم ويقعد آخرون[2].

وغير ذلك مما لا يحصى كثرة.

فصل في كلام الشجرة
وشهادتها له صلى الله عليه وسلم بالنبوة وإجابتها دعوته

ومنها: كلام الشجرة وشهادتها له بالنبوة وإجابتها دعوته صلى الله عليه وسلم:

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فدنا منه أعرابي، فقال: يا أعرابي، أين تريد؟، قال: إلى

---

(١) عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: صنعت للنبي صلى الله عليه وسلم طعاماً ولأبي بكر قدر ما يكفيهما، فأتيتهما به، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اذهب فادع لي بثلاثين من أشراف الأنصار، فشق ذلك علي وقلت: ما عندي شيء أزيده، فكأني تغافلت، قال: اذهب فادع لي بثلاثين من أشراف الأنصار، فدعوتهم فجاؤوا فقال: أطعموا فأكلوا حتى صدروا، ثم شهدوا أنه رسول الله وبايعوه قبل أن يخرجوا، ثم قال: ادع لي ستين، قال: وذكر الحديث، قال: فأكل من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلاً كلهم من الأنصار. رواه الطبراني والبيهقي، وذكره القاضي عياض في الشفا صفحة ٤١٢. وابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ١١ وقال: غريب متناً وإسناداً.

(٢) عن سمرة بن جندب رضي الله عنه أن قصعة كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: فجعل الناس يأكلون منها، قال: فكلما شبع قوم قاموا وجلس مكانهم أناس آخرون، قال كذلك إلى صلاة الأولى، قال: فقال رجل أما تَمَدُّ بشيء؟ فقال سمرة: فمم تعجب لو كانت تمد بشيء لم تتعجب، ما كانت تمد إلا من ها هنا، فأومأ إلى السماء أو كما قال. رواه أحمد في المسند ٥/ ١٢، والبيهقي في الدلائل ٦/ ٩٣، والقاضي عياض في الشفا صفحة ٤١٢.

أهلي، قال: هل لك إلى خير؟، قال: وما هو؟ قال: تشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله.

قال: من يشهد لك على ما تقول؟. قال: هذه الشجرة السمرة، وهي بشاطيء الوادي، وادعها فإنها تجبك.

فأقبلت تخد الأرض حتى قامت بين يديه، فاستشهدها ثلاثاً، فشهدت أنه كما قال، ثم رجعت إلى مكانها[١].

وعن بريدة: سأل أعرابي النبي صلى الله عليه وسلم أية، فقال له: قل لتلك الشجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوك.

قال: فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها، فتقطّعت عروقها، ثم جاءت تخدُّ الأرض، تجر عروقها، مغبرّة حتى وقفت بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت: السلام عليك يا رسول الله. قال الأعرابي: مرها فلترجع إلى منبتها، فرجعت، فدلت عروقها فاستوت[٢].

فقال الأعرابي: ائذن لي أسجد لك.

قال: لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها.

قال: فأذن لي أن أقبل يديك ورجليك، فأذن له[٣].

وفي الصحيح - في حديث جابر بن عبد الله - ذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته، فلم ير شيئاً يستتر به، فإذا بشجرتين في شاطيء الوادي، فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إحداهما،

---

(١) ذكره الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ١٢٥، ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٥، والبزار، والدارمي مسنداً عن ابن عمر رضي الله عنهما، وذكره في الشفا ص ٤٢٠.

(٢) قوله دلّت عروقها: أدخلتها في الأرض. وقوله: فاستوت: انتصبت قائمة من غير ميل بها.

(٣) في حديث رواه البزار مسنداً. وذكره عياض في الشفا ص ٤٢١.

فأخذ بغصن من أغصانها، فقال: انقادي عليّ بإذن الله[1]، فانقادت معه كالبعير المخشوش[2] الذي يصانع قائده.

فصل
في قصة حنين الجذع وأنينه لفراقه صلى الله عليه وسلم

ومنها: حنين الجذع له صلى الله عليه وسلم[3]:

---

(١) أي طاوعيني وميلي علي.

(٢) قوله كالبعير المخشوش: المخشوش: الذي يوضع في أنفه خشاش، والبعير يعسر قوده يخرق أنفه ويوضع فيه شيء يذلل به فإن كان عوداً من خشب فهو خشاش، وإن كان مفتولاً من وبر ونحوه فهو خزام، وإن كان من نحاس ونحوه فهو برة.

(٣) وقد روى القصة أبي بن كعب: رواه الإمام الشافعي وأحمد وابن ماجة والبغوي وابن عساكر. وحديث أنس بن مالك رواه: الإمام أحمد والترمذي وصححه، وأبو يعلى، والبزار، وابن ماجة، وأبو نعيم من طرق على شرط مسلم، وبريدة: رواه الدارمي. وحديث جابر بن عبد الله رواه الإمام أحمد والبخاري والترمذي. وحديث المطلب بن أبي وداعة رواه الزبير بن بكار، ورواه عبد بن حميد وابن أبي شيبة، وأبو يعلى، وأبو نعيم بسند على شرط مسلم، وحديث عائشة رواه الطبراني والبيهقي، وحديث أم سلمة رواه أبو نعيم والبيهقي بإسناد جيد بألفاظ متقاربة المعنى أدخلت بعضها في بعض: «أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يخطب إلى جذع نخلة، فاتخذ له منبر، فلما فارق الجذع، وغدا إلى المنبر الذي صنع له، جزع الجذع فحنَّ له كما تحنّ الناقة، وفي لفظ: فخار كخوار الثور، وفي لفظ: فصاحت النخلة صياح الصبي حتى تصدع وانشق، فنزل النبي صلى الله عليه وسلم فاحتضنه، فجعلت تئن أنين الصبي الذي يسكن فسكن، وقال: «اخترْ أن أغرسك في المكان الذي كنت فيه فتكون كما كنت، وإن شئت أن أغرسك في الجنة، فتشرب من أنهارها وعيونها، فيحسن نبتك وتثمر فيأكل منك الصالحون» فاختار الآخرة على الدنيا، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو لم أحتضنه لحنَّ إلى يوم القيامة» وقال: لا تلوموه فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفارق شيئاً إلا وجد. رواه البخاري من حديث جابر ٢/ ٣٩٧«٩١٨، ٢٠٩٥، ٣٥٨٤، ٣٥٨٥» وأخرجه الدارمي ١/ ١٦، ١٩. والإمام أحمد في المسند ١/ ٢٤٩، ٢٦٧، ٣٦٣. وابن ماجة ١٤١٥. والبخاري في التاريخ ٧/ ٢٦، والطبراني في الكبير ١٢/ ١٨٧، وأبو نعيم في الدلائل ٦/ ٦٦ وما بعدها. وانظر البداية والنهاية ٦/ ١٤٥ وما بعدها. وكنز العمال «٣١٧٨٤، ٣٢٠٨٤».

روينا في كتاب «الشفا»:

قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه: كان المسجد[1] مسقوفاً على جذوع نخل؛ فكان النبي صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقوم[2] إلى جذع منها، فلما صنع له المنبر سمعنا لذلك الجذع صوتاً كصوت العشار[3].

وفي رواية أنس: حتى ارتج المسجد بخواره[4].

وفي رواية سهل: وكثر بكاء الناس لما رأوا به.

وفي رواية المطَّلب وأُبيّ: حتى تصدع وانشق، حتى جاء النبي صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت.

زاد غيره: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إن هذا بكى لما فقد من الذكر.

وزاد غيره: والذي نفسي بيده لو لم ألتزمه لم يزل هكذا إلى يوم القيامة؛ تحزُّناً على رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأمر به صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر.

هكذا في حديث المطَّلب، وسهل بن سعد، وإسحاق؛ عن أنس.

وفي حديث أبي: فكان إذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى إليه؛ فلما هدم المسجد أخذه أبي، فكان عنده إلى أن أكلته الأرض، وعاد رفاتاً[5].

---

(١) أي مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة.

(٢) أي يقوم مستنداً.

(٣) قوله كصوت العشار: العشار: الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر، وزال عنها اسم المخاض، ثم لا يزال ذلك اسمها حتى تضع، وبعد وضعها أيضاً. والمراد خوارها حين وضعها أو عقبه، نزاعاً لولدها إذا لم تره.

(٤) الخوار في الأصل يختص بصياح البقر، ثم توسعوا فيه في أصوات جميع البهائم.

(٥) ذكره البيهقي في الدلائل ٦/٦٧. وأخرجه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها «١٩٩» باب ما جاء في بدء شأن المنبر، الحديث ١٤١٤ «١/ ٤٥٤».

وذكر الاسفرائيني: أن النبي صلي الله عليه وسلم دعاه إلى نفسه، فجاء يخرق الأرض[1]، فالتزمه، ثم أمره فعاد إلى مكانه.

وفي حديث بريدة: فقال - يعني النبي صلى الله عليه وسلم: إن شئت أردك إلى الحائط الذي كنت فيه تنبت لك عروقك، ويكمل خلقك، ويجدد لك خوص وثمرة، وإن شئت أغرسك في الجنة فيأكل أولياء الله من ثمرك؛ ثم أصغى له النبي صلى الله عليه وسلم يسمع ما يقول.

فقال: تغرسني في الجنة، فيأكل مني أولياء الله، وأكون في مكان لا أبلى فيه.

فسمعه من يليه[2].

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قد فعلت؛ ثم قال: اختار دار البقاء على دار الفناء.

فكان الحسن إذا حدث بهذا بكى، وقال: يا عباد الله!! إن الخشبة تحن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم شوقاً لمكانه؛ فأنتم أحق أن تشتاقوا إلى لقائه[3].

فصل
ومثل هذا في سائر الجمادات

ومنها: تسبيح الطعام.

---

(١) أي يشقها بمشيه فيها.

(٢) أي من يقرب منه.

(٣) ولقد أبدع من قال: شعراً:

وألقى له الرحمن في الجُمد حبّه ... فكانت لإهداء السلام له تُهدَا
وفارق جذعاً كان يخطب عنده ... فأنَّ أنين الأم إذ تجد الفقدا
يحنُّ إليه الجذع يا قومُ هكذا ... أما نحن أولى أن نحِنَّ له وجدا
إذا كان جذعٌ لم يُطِقْ بُعْدَ ساعةٍ ... فليس وفاءً أن نطيقَ له بُعْدا

عن ابن مسعود رضي الله عنه: كنا نأكل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الطعام، ونحن نسمع تسبيحه[(١)].

ومنها: تسبيح الحصى في كفه صلى الله عليه وسلم.

قال أنس رضي الله عنه: أخذ النبي صلى الله عليه وسلم كفاً من حصى، فسبَّحن في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا التسبيح، ثم صبَّهنّ في يد أبي بكر رضي الله عنه فسبَّحن، ثم في أيدنا فما سبَّحن[(٢)].

وروى مثله أبو ذر، وذكر أنهنّ سبَّحن في كف عمر وعثمان[(٣)].

---

(١) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: إنكم تعدون الآيات عذاباً، وكنا نعدها بركة على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، كنا نأكل مع النبي صلى الله عليه وسلم الطعام، ونحن نسمع تسبيح الطعام، وأتي النبي صلى الله عليه وسلم بإناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «حي على الطهور المبارك والبركة من السماء» حتى توضأنا كلنا.
أخرجه البخاري في ٦١ ـ كتاب المناقب، «٢٥» باب علامات النبوة في الإسلام، الحديث «٣٥٧٩»، فتح الباري «٦/ ٥٨٧».
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب: حديث «٣٦٣٣»، ٥/ ٥٩٧، وقال: حسن صحيح.
وأخرجه البيهقي في الدلائل ٦/ ٦٢.

(٢) في حديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه، وعياض في الشفا ص ٤٣٠.

(٣) روى الطبراني، والبيهقي، والبزار عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كان بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع حصيات، أو قال: تسع حصيات، فأخذهن في كفه، فسبّحنَ حتى سمعت لهنَّ حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنَّ فخرسن، ثم أخذهنّ فوضعهنّ في كف أبي بكر فسبّحن حتى سمعت لهنّ حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنّ فخرسنَ، ثم تناولهنّ فوضعهنّ في يد عمر فسبّحنَ حتى سمعت لهن حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنّ فخرسنَ، ثم تناولهنّ فوضعهنّ في يد عثمان فسبّحنَ حتى سمعت لهنّ حنيناً كحنين النحل، ثم وضعهنّ فخرسن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «هذه خلافة النبوة». رواه البزار والطبراني والبيهقي ورواه محمد بن يحي الذهبي والبيهقي وابن عساكر عن أنس بنحوه. والخبر ذكره أيضاً ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ١٣٢ عن البيهقي، والسيوطي في الخصائص الكبرى، ٢/ ٧٤، وعزاه للبزار، والطبراني في الأوسط، والبيهقي، وذكره القاضي ص ٤٣١.

ومنها: ما روي عن علي رضي الله عنه قال: كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فخرج إلى بعض نواحيها، فما استقبله شجرة، ولا جبل، إلا قال له: السلام عليك يا رسول الله[1].

وعن جابر بن سمرة عنه صلى الله عليه وسلم: إني لأعرف حجراً بمكة كان يسلِّم علي [ليالي بعثت، إني لأعرفه إذا مررت عليه]؛ قيل: إنه الحجر الأسود[2].

وعن عائشة رضي الله عنها، أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: لما استقبلني جبريل عليه السلام بالرسالة جعلت لا أمرُّ بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله[3].

فصل
في الآيات في ضروب الحيوانات

ومنها: ما رويناه في كتاب «الشفا»[4] **عن ابن عمر رضي الله عنهما**: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من أصحابه إذ جاء أعرابي قد صاد ضبّاً[5]، فقال: ما هذا؟، قالوا: نبي الله. فقال: واللات والعزى لا آمنت بك أو يؤمن هذا الضب؛ وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: يا ضبُّ؛ فأجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعاً: لبيك وسعديك[6] ....

---

(١) أخرجه الدارمي ١/ ١٢، والترمذي في كتاب المناقب ٥/ ٥٩٣«٣٦٢٦»، والحاكم ٢/ ٦٥، والبيهقي في الدلائل ٢/ ١٥٣.

(٢) في حديث رواه مسلم في صحيحه، وهو في سنن الترمذي ٥/ ٥٩٣، وعند البيهقي في الدلائل ٢/ ١٥٣.

(٣) في حديث صحيح رواه البزار في مسنده. وانظر في ذلك أيضاً: طبقات ابن سعد ١/ ١٠٢.

(٤) انظر الشفا للقاضي عياض ١/ ٤٣٥ ط عيسى الحلبي.

(٥) الضب: حيوان بري، والأعراب تصيده وتأكله.

(٦) لبيك وسعديك: لبيك: إجابة بعد إجابة. وسعديك: مساعدة وطاعة لك بعد طاعة، وهما عبارة عن سرعة الإجابة والانقياد والطاعة.

يا زين من وافى القيامة[1]. قال: من تعبد؟. قال: الذي في السماء عرشه، وفي الأرض سلطانه، وفي البحر سبيله[2]، وفي الجنة رحمته، وفي النار عقابه.

قال: فمن أنا؟. قال: رسول رب العالمين، وخاتم النبيين، وقد أفلح من صدّقك، وخاب من كذّبك. فأسلم الأعرابي[3].

ومنها: ما روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: بينا راع يرعى غنماً له عرض الذئب لشاة منها فأخذها الراعي منه، فأقعى الذئب[4]، وقال للراعي: ألا تتقي الله!! حلت بيني وبين رزقي!!!.

قال الراعي: العجب من ذئب يتكلم بكلام الإنس!!!، فقال الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟. رسول الله بين الحرَّتين[5] يحدّث الناس بأنباء ما قد سبق.

فأتى الراعي النبي صلى الله عليه وسلم، فأخبره؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: قم فحدِّثهم؛ ثم قال: صدق[6].

---

(١) قوله من وافى القيامة: الموافاة الحضور والمجيء، وإنما جعله زيناً؛ أي مزيناً لأهلها ومن بها، لأنه سيدهم وقائدهم، والشفيع لهم، والعرب تقول: يا زين القيوم ـ لأشرفهم وأحسنهم.

(٢) سبيله: أي طريقه التي جعلها مسلوكة لعباده بتسخير الريح ونحوه مما لا يقدر عليه غيره.

(٣) رواه أبو نعيم في الدلائل ٣٢٠، عن أبي القاسم الطبراني، ونقله ابن كثير ٦/ ١٤٩، عن البيهقي، ونقله السيوطي في الخصائص الكبرى ٢/ ٦٥، وعزاه للطبراني في الأوسط، والصغير، ولابن عدي، وللحاكم في المعجزات، وللبيهقي ولأبي نعيم، ولابن عساكر. وذكره القاضي ص ٤٣٥.

(٤) قوله فأقعى الذئب: أي قعد على عقبيه ناصباً يديه.

(٥) الحرَّة: ثنية مرتفعة ذات حجارة سود، كأنها اسودت من الحر، والحرتان بالمدينة.

(٦) رواه الطبراني، والبيهقي، وهو عند القاضي في الشفا ١/ ٤٣٦.

وفي بعض الطرق عن أبي هريرة رضي الله عنه: فقال الذئب: أنت أعجب!! واقفاً على غنمك، وتركت نبياً لم يبعث الله نبياً قط أعظم منه عنده قدراً، قد فتحت له أبواب الجنة، وأشرف أهلها على أصحابه، ينظرون قتالهم[١]، وما بينك وبينه إلا هذا الشِّعب[٢]، فتصير من جنود الله.

قال الراعي: من لي بغنمي؟. قال الذئب: أنا أرعاها حتى ترجع.

فأسلم الرجل إليه غنمه ومضى.

وذكر قصته وإسلامه ووجوده النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقاتل؛ فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: عد إلى غنمك تجدها بوفرها[٣]!.

فوجدها كذلك، وذبح للذئب شاة منها[٤].

ومنها: حديث الظبية.

وذلك ما روت أم سلمة رضي الله عنها قالت: كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء، فنادته ظبية: يا رسول الله!!، قال: ما حاجتك؟، قالت: صادني هذا الأعرابي، ولي خشفان[٥] في ذلك الجبل، فأطلقني حتى أذهب فأرضعهما وأرجع.

---

(١) قوله ينظرون قتالهم: أي ينظرون إليهم وهم صفوف واقفون في القتال كصفوف الملائكة.

(٢) الشِّعب: منفرج بين جبلين، يعني: أنه قريب منك لا عذر لك في التخلف عنه، يريد: فتخلفك منه هذا أعجب من نطقي الذي تعجبت منه.

(٣) أي بتمامها وكمالها، لم ينقص منها شيء، ولم يعد عليها الذئب، حيث اصطلح الذئب مع الغنم لما اصطلح العبد مع الله.

(٤) رواه البيهقي والبخاري في تاريخه، ونقل هذه القصة كذلك السيوطي في الخصائص الكبرى ٢/٦١، وعزاها لأحمد، ولابن سعد، وللبزار، وللحاكم، وللبيهقي، ولأبي نعيم كلهم من طرق مختلفة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وذكرها عياض ص ٤٣٧.

(٥) الخشف: الظبي الصغير الذي ولدته أمه.

قال: أو تفعلين؟، قالت: نعم. فأطلقها، فذهبت ورجعت، فأوثقها[1]، فانتبه الأعرابي، وقال: يا رسول الله!! ألك حاجة؟، قال: تطلق هذه الظبية. فأطلقها، فخرجت تعدو في الصحراء، وتقول: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنك رسول الله[2].

ومنها: تسخير الأسد لسُفَينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

إذ وجهه صلى الله عليه وسلم إلى معاذ باليمن، فلقي الأسد فعرّفه أنه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعه كتابه، فهمهم وتنحى عن الطريق، وذكر في منصرفه مثل ذلك[3].

---

(١) أي ربطها كما كانت.

(٢) في حديث رواه الطبراني، والبيهقي، وصححه ابن حجر. وقال ابن كثير: إنه لا أصل له، لأن في سنده مجاهيل.

وله طرق أخرى ذكرها ابن كثير في البداية والنهاية «٦/ ١٤٧»، والسيوطي في الخصائص الكبرى «٢/ ٦٠»، عن أنس بن مالك، وعن أم سلمة، وغيرها، وكذا البيهقي في الدلائل ٦/ ٣٤ وما بعدها.

وروى أبو نعيم في الدلائل عن زيد بن أرقم قال: «كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء أعرابي فإذا ظبية مشدودة إلى الخباء، فقالت: يا رسول الله!!، إن هذا الأعرابي اصطادني وفي خشفان في البرية، وقد تعقّد اللبن في أخلافي، فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني فأرجع إلى خِشْفَيَّ في البرية، فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تركتك ترجعين؟. قالت: نعم، وإلا عذبني الله عذاب العشار فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلم تلبث أن جاءت تلمَّظ، فشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخباء، وأقبل الأعرابي ومعه قربة، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتبيعنيها؟ قال: هي لك يا رسول الله!. فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية، وتقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. رواه البيهقي في الدلائل ٦/ ٣٥.

(٣) قصة الأسد نقلها الحافظ ابن كثير في التاريخ ٦/ ١٤٧، عن الإمام البيهقي، وذكرها السيوطي في الخصائص الكبرى ٢/ ٦٥، عن ابن سعد، وأبي يعلى، والبزار، وابن منده، والحاكم وصححه، والبيهقي، وأبي نعيم، كلهم عن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وفي نسيم الرياض: قال السيوطي: لم أقف على هذا الحديث =

وفي رواية أخرى عنه ـ أن سفينة تكسرت به، فخرج إلى جزيرة فإذا الأسد؛ فقلت له: أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجعل يغمزني بمنكبه حتى أقامني على الطريق(١).

وللتفتازاني رحمه الله تعالى شعر:

وحسبك من دلائله حديث   تواتره لمولاه سفينه
نجا من أسره فأصاب ليثاً   له من بابه درع حصينه
فقال: إليك! فما تعدى   وأبعد بعد زأرته حنينه
أليس من العجائب أن حالاً   تخاف عدىً لخائفها معينه

ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم دخل حائط أنصاري ومعه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ورجل من الأنصار، رضي الله عنهم، وفي الحائط غنم فسجدت له، فقال أبو بكر: نحن أحق بالسجود لك منها...، الحديث(٢).

ومنها: أن حمام مكة أظلّت النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها، فدعا لها صلى الله عليه وسلم بالبركة(٣).

= هكذا. وأخرج البيهقي أنه وقع لسفينة حين ضل عن الجيش بأرض الروم، إلا أن البخاري ذكره في تاريخه، كما قال عياض في الشفا فلا اعتراض عليه. انظر: نسيم الرياض ٣/ ٩٢.

(١) عن محمد بن المنكدر أن سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ركبت البحر فانكسرت بي سفينتي التي كنت فيها، فركبت لوحاً من ألواحها، فطرحني اللوح إلى أجمة فيها الأسد، فدخلت فخرج إلي الأسد، فأقبل إلي، فقلت: يا أبا الحارث!، أنا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فطأطأ رأسه وأقبل إليّ يدفعني بمنكبيه، فأخرجني من الأجمة، ووقفني على الطريق، ثم همهم، فظننت أنه يودعني، فكان هذا آخر عهدي به.

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه، في حديث صحيح مسند رواه أحمد، والبزار، وفي الشفا ٤٣٩.

(٣) في نسيم الرياض ٣/ ٨٩ وهذا الحديث لم يخرجوه. وذكره عياض ص ٤٤١.

ومنها: أن الله تعالى أمر ليلة الغار[1] شجرة فنبتت تجاه النبي صلى الله عليه وسلم، فسترته، وأمر حمامتين فوقفتا بفم الغار[2].

وفي حديث آخر: وأن العنكبوت نسجت على بابه؛ فلما أتى الطالبون له، ورأوا ذلك قالوا: لو كان فيه أحد لم تكن الحمامتان ببابه، والنبي صلى الله عليه وسلم يسمع كلامهم؛ فانصرفوا[3].

ومنها: أنه قُرِّب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بدناتٌ خمس، أو ست، أو سبع، لينحرها يوم عيد، فازدلفن إليه بأيِّهن يبدأ[4].

ومنها: أن يهودية أهدت للنبي صلى الله عليه وسلم بخيبر شاة مصليَّةً سمَّتها، فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها، وأكل القوم، فقال: ارفعوا أيديكم، فإنما أخبرتني أنها مسمومة.

فمات بشر بن البراء.

وقال لليهودية: ما حملك على ما صنعت؟، قالت: إن كنت نبياً لم يضرك الذي صنعت، وإن كنت ملكاً أرحت الناس منك.

قال: فأمر بها فقتلت. وقد روى هذا الحديث أنس، وفيه: قالت: أردت قتلك. فقال: ما كان الله ليسلطك على ذلك. فقالوا: نقتلها؟ قال: لا[5].

---

(١) الغار هو غار ثور الذي اختفى فيه النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر من مكة إلى المدينة.

(٢) رواه ابن سعد عن أنس، والبزار، والطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم. عن أنس وزيد بن أرقم، والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم، وذكره عياض ص ٤٤١.

(٣) رواه ابن سعد والبزار، والطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم، والقاضي عياض في الشفا ٤٤١.

(٤) هذا الحديث رواه الحاكم، والطبراني، وأبو نعيم مسنداً عن عبد الله بن قرط رضي الله عنه. وذكره القاضي ص ٤٤١.

(٥) رواه الشيخان عن أنس بن مالك رضي الله عنه، والإمام أحمد، وابن سعد، عن ابن عباس، والدارمي، والبيهقي عن جابر، والبيهقي بسند صحيح عن عبد الرحمن بن =

قال ابن سحنون: أجمع أهل الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمَّته(١).

وقد ذكر القاضي اختلاف الروايات عن أبي هريرة وأنس وجابر(٢).

قال [القاضي رحمه الله تعالى]: واختلف أئمة النظر في هذا الباب؛ فمن قائل يقول: هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة الميتة، والحجر، أو

= كعب بن مالك، والطبراني عنه عن أبيه، والبزار والحاكم، وأبو نعيم عن أبي سعيد، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنهم أجمعين، والبيهقي عن ابن شهاب رحمه الله تعالى. انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/٢٩٣، وشرح المواهب للزرقاني٢/ ٢٣٩، والسيرة الحلبية ٣/ ٦٣، والبداية والنهاية لابن كثير ٤/ ٢٠٨ وما بعدها، والسيرة النبوية لابن كثير ٣/ ٣٩٤، والمغازي للواقدي ٢/ ٦٧٧.

(١) اختلف في إسلام زينب بنت الحارث التي أهدت الشاة المسمومة وفي قتلها، أما إسلامها؛ فروى عبد الرزاق في مصنفه عن معمر عن الزهري أنها أسلمت، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركها، قال معمر: والناس يقولون قتلها. وجزم بإسلامها سليمان التيمي في مغازيه، ولفظه بعد قولها: «وإن كنت كاذباً أرحت الناس منك، وقد استبان لي أنك صادق وأنا أشهدك ومن حضرك أني على دينك، وأن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، قال: وانصرف عنها حين أسلمت». وأما قتلها وتركها: فروى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم ما عرض لها، وعن جابر قال: فلم يعاقبها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى ابن سعد عن شيخه محمد بن عمر بأسانيد له متعددة هذه القصة، وفي آخرها: فدفعها إلى أولياء بشر بن البراء، فقتلوها، قال محمد بن عمر: وهو أثبت، وروى أبو داود من طريق الزهري عن جابر نحو رواية معمر عنه، والزهري لم يسمع من جابر، ورواه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه. قال البيهقي رحمه الله تعالى: يحتمل أن يكون تركها أولاً، ثم لما مات بشر بن البراء من الأكلة قتلها. وبذلك أجاب السهيلي رحمه الله تعالى، وزاد أنه تركها، لأنه كان لا ينتقم لنفسه، ثم قتلها ببشر قصاصاً. قال الحافظ رحمه الله تعالى: يحتمل أن يكون تركها أولاً، ثم لما مات بشر لكونها أسلمت، وإنما أخر قتلها حتى مات بشر لأنه بموته يتحقق وجوب القصاص بشرطه. وروى أبو سعد النيسابوري أنه صلى الله عليه وسلم قتلها وصلبها، فالله أعلم. انظر دلائل النبوة للبيهقي ٤/ ٢٦١.

(٢) انظر الشفا للقاضي عياض رحمه الله تعالى ١/ ٤٤٤ وما بعدها.

الشجر، وحروف وأصوات يحدثها الله فيها، ويسمعها منها دون تغيير أشكالها، ونقلها عن هيئتها.

وهو مذهب الشيخ أبي الحسن[١]، والقاضي أبي بكر[٢] رحمهما الله تعالى.

وآخرون ذهبوا إلى إيجاد الحياة بها، ثم الكلام بعده.

وحكي هذا أيضاً عن شيخنا أبي الحسن، وكلٌّ محتمل، والله أعلم؛ إذ لم نجعل الحياة شرطاً لوجود الحروف والأصوات؛ إذ لا يستحيل وجودها مع عدم الحياة بمجردها. فأما إذا كانت الحياة عبارة عن الكلام النفسي فلا بد من شرط الحياة لها؛ إذ لا يوجد كلام النفس إلا من حي، خلافاً للجبَّائي[٣] من بين سائر متكلمي الفرق في إحالة[٤] وجود الكلام اللفظي والحروف والأصوات إلا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والأصوات.

والتزم ذلك في الحصى، والجذع، والذراع؛ وقال: إن الله خلق فيها حياة، وخرق لها فماً ولساناً، وآلة، أمكنها بها من الكلام.

وهذا لو كان [لكان] نقله[٥] والتهمُّم به[٦] أكد من التهمّم بنقل تسبيحه أو حنينه، ولم ينقل أحد من أهل السير والرواية شيئاً من ذلك؛ فدلَّ على سقوط دعواه، مع أنه لا ضرورة إليه في النظر، والله أعلم.

ومنها: أنه صلى الله عليه وسلم أتي بصبي قد شب لم يتكلم قط؛ فقال: من أنا؟. فقال: رسول الله، صلى الله عليه وسلم[٧].

---

(١) أي الشيخ أبي الحسن الأشعري رضي الله عنه.

(٢) أي الباقلاني رحمه الله تعالى.

(٣) شيخ المعتزلة، توفي سنة ثلاث وثلاثمائةمن الهجرة.

(٤) أي عدُّه محالاً عقلاً ونقلاً.

(٥) أي لوجد نقله وسمع.

(٦) أي الاهتمام والاعتناء به.

(٧) رواه وكيع ـ رفعه عن فهد بن عطية. انظر: القاضي عياض «الشفا» ص ٤٤٨.

ومنها: ما روي عن معرِّض بن معيقيب: رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجباً؛ جيء بصبي يوم ولد فقال له: من أنا؟ قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وهو حديث مبارك اليمامة، ويعرف بحديث «شاصونة»: اسم راويه، وفيه: فقال النبي صلى الله عليه وسلم: صدقت، بارك الله فيك[1].

[ثم إن الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب، فكان يسمى مبارك اليمامة. وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع.][2].

ومنها: أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر أنه طرح بنية[3] له في وادي كذا، فانطلق معه إلى الوادي، وناداها باسمها: يا فلانة، أجيبي بإذن الله؛ فخرجت وهي تقول: لبيك وسعديك!، فقال لها: إن أبويك قد أسلما؛ فإن أحببتِ أن أردَّكِ عليهما؟ قالت: لا حاجة لي فيهما؛ وجدت الله خيراً منهما[4].

ومنها: ما روي[5] عن عبد الله بن عبيد الله الأنصاري قال: كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن شماس، وكان قتل باليمامة[6]، فسمعناه حين أدخلناه القبر يقول: محمد رسول الله، أبو بكر الصديق، عمر الشهيد، عثمان البر[7] الرحيم؛ فنظرنا فإذا هو ميت[8].

---

(١) في نسيم الرياض ٣/١٠٦ قال السيوطي: قد وقعت روايته من طرق؛ فهو حديث حسن، وقد وقع في حجة الوداع، وكانت سنة ست عشرة من الهجرة، مع كثرة الناس، فكان حقه أن يشتهر. وذكره عياض ص ٤٤٩.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من الأصل المخطوط استكمل من الشفا ٤٤٩.

(٣) أي رماها فماتت. وقيل: وأدها على عادة الجاهلية.

(٤) قال في شرح القاري ١/٦٤٩: والحديث عن الحسن لم يعلم من رواه. وذكره القاضي ص ٤٤٩.

(٥) والراوي هو البيهقي.

(٦) وكانت وقعة اليمامة سنة ١٢ من الهجرة في خلافة سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٧) أي البار لقومه عامة.

(٨) رواه البيهقي، وذكره القاضي ص ٤٥٠.

ومنها: أن زيد بن خارجة خرَّ ميتاً في بعض أزقّة المدينة، فرفع وسجي[1] إذ سمعوه بين العشاءين والنساء يصرخن حوله يقول: أنصتوا، أنصتوا؛ فحسر عن وجهه فقال: محمد رسول الله، النبي الأمي، وخاتم النبيين، كان ذلك في الكتاب الأول؛ ثم قال: صدَّق صدَّق، وذكر أبا بكر، وعمر، وعثمان؛ ثم قال: السلام عليك يا رسول الله، ورحمة الله وبركاته؛ ثم عاد ميتاً كما كان[2].

ومنها: أن عين قتادة بن النعمان وقعت على وجنته، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فكانت أحسن عينيه[3].

ومنها: أن أعمى قال: يا رسول الله؛ ادع الله أن يكشف عن بصري.

قال: فانطلِقْ فتوضأ: ثم صلِّ ركعتين؛ ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيي محمد نبي الرحمة؛ يا محمد؛ إني أتوجه بك إلى ربك أن يكشف عن بصري، اللهم شفِّعه فيّ».

قال: فرجع وقد كشف الله عن بصره[4].

---

(١) أي غطي.

(٢) رواه الطبراني، وأبو نعيم، وابن منده، ورواه ابن أبي الدنيا عن أنس أيضاً، وذكر صاحب «الاستيعاب»٥٤٧ أن زيد بن خارجة بن زيد هو الذي تكلم بعد الموت، لا يختلفون في ذلك. وقال في «أسد الغابة»٢/ ٢٣٧: وهو الذي تكلم بعد الموت في أكثر الروايات، وهو الصحيح.

(٣) نقله الحافظ ابن كثير في التاريخ ٣/ ٢٩١، وأضاف: وقد روينا عن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز أنه لما أخبره بهذا الحديث عاصم بن عمر بن قتادة وأنشد مع ذلك:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فرُدَّت بكف المصطفى أيما رد

فقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى عند ذلك منشداً قول أمية بن أبي الصلت في سيف بن ذي يزن، فأنشده عمر في موضعه حقاً:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ورواه أبو سعيد الخدري عن قتادة رضي الله عنهما كما في البيهقي، وهي في الاستيعاب ١٢٧٦، والإصابة ٥/ ٤١٧، والشفا ٤٥١.

(٤) وهو حديث الصحابي الجليل عثمان بن حنيف الذي أخرجه الترمذي في كتاب =

قلت: وقد أخبرني شيخ بمصر: أنه قد كان عمي ودعا بهذا الدعاء المذكور فأبصر؛ ورأيته مبصراً.

ومنها: ما روي أن ملاعب الأسنة[1] أصابه استسقاء، فبعث إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأخذ بيده حثوة من الأرض، فتفل عليها؛ ثم أعطاها رسوله، فأخذها متعجباً؛ يرى أن قد هزيء به؛ فأتاه بها، وهو على شفاً[2] فشربها، فشفاه الله[3].

ومنها: أن فديكاً[4]، ويقال: فريكاً، أن أباه ابيضت عيناه؛ فكان لا يبصر بهما شيئاً، فنفث رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فأبصر، فرأيته يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين[5].

= الدعوات ١١٩ منه، الحديث رقم ٣٥٧٨، سنن الترمذي ٥/٥٦٩، عن محمود بن غيلان، وأخرجه ابن ماجة في سننه في كتاب الصلاة عن أحمد بن منصور بن سيار، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/١٦٦ وما بعدها، كلهم عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه، وتتمة الحديث: «قال عثمان: فو الله ما تفرقنا ولا طال الحديث حتى دخل الرجل وكأن لم يكن به ضر قط».وذكره القاضي في الشفا ص ٤٥٢.

(١) هو عامر بن مالك بن جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة، وإنما سمي ملاعب الأسنة في يوم سوبان، ويوم سوبان هذا كان يوماً من أيام جبلة وهي أيام كانت بين قيس وتميم، وجبلة: اسم لهضبة عالية، وكان سبب تسمية عامر ملاعب الأسنة في يوم سوبان أن أخاه طفيل بن مالك وهو الذي يلقب فارس قرزل، كان قد أسلمه في هذا اليوم وفر، فقال في ذلك بعض الشعراء:

فـررتَ وألـمـت ابـن أمـك عـامـراً ... يـلاعـب أطـراف الـوشـيـج الـمـزعـزع

فسمي ملاعب الرماح، وملاعب الأسنة، وكان له إخوة أربعة: أحدهم طفيل فارس قرزل، والآخر ربيعة والد لبيد بن ربيعة، وكان يلقب ربيعة المعترين، والثالث عبيدة الوضاح، والرابع معاوية معود الحكماء.

(٢) أي قريب من الموت.

(٣) الراوي هو الواقدي، وأبو نعيم عن عروة. وملاعب الأسنة: هو عامر بن مالك. والخبر في الواقدي ١/ ٣٥٠. ونسيم الرياض ٣/ ١١٥. والاستسقاء: مرض، وهو أن يقع الماء الأصفر في بطنه.

(٤) ذكره العقيلي عن حبيب بن فديك.

(٥) أخرج هذا الحديث البيهقي، والطبراني، وابن أبي شيبة، في مسنده. وعياض ٤٥٣.

ومنها: أن كلثوم بن الحصين رمي يوم أحد في نحره[١]؛ فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه، فبرأ[٢].

وتفل على شجَّة عبد الله بن أنيس فلم تُمِدّ[٣].

وتفل في عيني علي يوم خيبر، وكان رمداً، فأصبح بارئاً[٤].

ونفث على ضربة بساق سلمة بن الأكوع يوم خيبر فبرئت[٥].

---

(١) أي في مقدم عنقه.

(٢) في شرح القاري ١/ ٦٥٤: قال الدلجي: لا أدري من رواه. وذكره عياض ٤٥٣.

(٣) روى ابن شهاب قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة في ثلاثين راكباً فيهم عبد الله بن أنيس السلمي إلى اليسير بن رزام اليهودي، حتى أتوه بخيبر، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يجمع غطفان ليغزوه بهم، فأتوه فقالوا: أرسلنا إليك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليستعملك على خيبر، فلم يزالوا به حتى تبعهم في ثلاثين رجلاً مع كل رجل منهم رديف من المسلمين، فلما بلغوا قرقرة ثبار وهي من خيبر على ستة أميال ندم البشير، فأهوى بيده إلى سيف عبد الله بن أنيس ففطن له عبد الله، فزجر بعيره، ثم اقتحم يسوق بالقوم حتى إذا استمكن من السير ضرب رجله فقطعها، واقتحم السير وفي يده مخرش ـ وهي عصا معوجة الرأس ـ من شوحط فضرب به وجه عبد الله شجة مأمومة ـ أي تبلغ أم الرأس والدماغ ـ كل رجل من المسلمين على رديفه فقتله، غير رجل واحد من اليهود أعجزهم شداً ولم يصب من المسلمين أحدٌ، وقدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فبصق في شجة عبد الله بن أنيس فلم تقح ولم تؤذه حتى مات. نقلها ابن كثير في التاريخ ٤/ ٢٢١. ورواه الطبراني، والبيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٢٩٣، ٢٩٤.وذكره عياض٤٥٣.

(٤) في صحيح البخاري ٥/ ١٧١، ومسلم في ٣٢ كتاب الجهاد، «باب» غزوة ذي قرد، الحديث رقم ١٤٣٩ ـ ١٤٤١، وذكره في الشفا ص ٤٥٣.

(٥) عن يزيد بن أبي عبيد قال: رأيت أثر ضربة في ساق سلمة، فقلت: يا أبا مسلم! ما هذه الضربة؟، قال: هذه ضربة أصابتني يوم خيبر، فقال الناس: أصيب سلمة، أصيب سلم. قال: فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنفث فيه ثلاث نفثات معاً، فما اشتكيت منها حتى الساعة. أخرجه البخاري في ٦٤ ـ كتاب المغازي، باب غزوة خيبر، الحديث ٤٢٠٦، فتح الباري ٧/ ٤٧٥، عن المكي بن ابراهيم، وأخرجه أبو داود في الطب عن أحمد بن أبي سريح الرازي، والإمام البيهقي في دلائل النبوة ٤/ ٢٥١.

وفي رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب، حين قتل ابن الأشرف، فبرئت[1].

و ـ نفث ـ على ساق علي بن الحكم يوم الخندق إذ انكسرت، فبريء مكانه، وما نزل عن فرسه[2].

وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوِّذ بن عفراء، فجاء يحمل يده، فبصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألصقها فلصقت[3].

فصل
في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم

ومنها: إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم: [جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم] إذا دعا لرجل أدركت الدعوة ولده وولد ولده[4].

وروينا في كتاب «الشفا» عن أنس رضي الله عنه قال: قالت أمي: يا رسول الله، خادمك أنس؛ ادع الله له، قال: «اللهم أكثر ماله وولده، وبارك له فيما رزقته»[5].

---

(١) أخرجه البخاري ٥/ ١٧٠، ومسند الطيالسي ٢/ ١٢٤، والشفا ٤٥٣.

(٢) في كتاب المعجم لأبي القاسم البغوي بإسناده عن كثير، عن معاوية بن الحكم، عن أبيه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزى أخي، علي بن الحكم فرساً له خندقاً، فأصاب رجله جدار الخندق، فدمتها، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم وما نزل عن فرسه فمسحها وقال: بسم الله، فما آذاه منها شيء. ذكره ابن حجر في الإصابة ٢/ ٥٠٧، في ترجمة علي بن الحكم السلمي، وقال: رواه البغوي والطبراني، وابن السكن، وابن منده من طريق كثير بن معاوية بن الحكم السلمي، عن أبيه وقال ابن منده: غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه. وانظر: «دلائل النبوة» للبيهقي ٦/ ١٨٥.

(٣) رواه ابن إسحاق، والبيهقي عن ابن وهب، كما نقله السيوطي. وعياض ص ٤٥٤.

(٤) رواه الإمام أحمد، وعنه القاضي عياض ص ٤٥٥.

(٥) أخرجه البخاري في: ٨٠ ـ كتاب الدعوات «١٩»، باب قول الله تبارك وتعالى ـ وصلِّ عليهم. ومن خص أخاه بالدعاء، الحديث ٦٣٣٤، عن سعيد بن الربيع، وفي ٢٦ باب =

قال أنس: فو الله، إن مالي لكثير، وإن ولدي وولد ولدي ليعادّون اليوم على نحو المائة.

وفي رواية: وما أعلم أحداً أصاب من رخاء العيش ما أصبت، ولقد دفنت بيدي هاتين مائة من ولدي، لا أقول سقطاً ولا ولد ولد[1].

ودعا لعبد الرحمن بن عوف بالبركة؛ قال عبد الرحمن: «فلو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب تحته ذهباً أو فضة»[2].

وفتح الله عليه، ومات فحفر الذهب من تركته بالفؤوس، حتى مجلت[3] فيه الأيدي، وأخذت كل زوجة ثمانين ألفاً وكن أربعاً. وقيل: مائة، وقيل: بل صولحت إحداهن؛ لأنه طلقها في مرضه، على نيف[4] وثمانين ألفاً، وأوصى بخمسين ألفاً بعد صدقاته الفاشية في حياته[5]، وعوارفه العظيمة: أعتق يوماً ثلاثين عبداً، وتصدّق مرة بعِير فيها سبعمائة بعير، وردت عليه تحمل من كل شيء، فتصدق بها وبما عليها، وبأقتابها وأحلاسها[6].

= دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لخادمه بطول العمر وبكثرة ماله، الحديث ٦٣٤٤، فتح الباري ١١/ ١٤٤، عن عبد الله بن أبي الأسود، عن حرمي بن عمارة، وأخرجه مسلم في الفضائل - فضائل الصحابة، باب من فضائل أنس ابن مالك رضي الله عنه، الحديث ١٤٣، ٤/ ١٩٢٩. والبيهقي في الدلائل ٦/ ١٩٤و١٩٥.

(١) من حديث في الصحيحين عن أنس بن مالك رضي الله عنه، صحيح مسلم: ١٩٢٨. والحديث في الترمذي أيضاً ٥/ ٦٨٢، وأخرجه مسلم أيضاً ١٩٢٩. وفي «نسيم الرياض» ٣/ ١٢٤، وذكره القاضي ٤٥٦.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب النكاح باب قلة المهر، الحديث ٢١٠٩، ٢/ ٢٣٥، عن موسى بن إسماعيل. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢١٩.

(٣) مجلت: المجل: تغير يكون في اليد من كثرة العمل. فيه: أي في الحفر. أي حتى خرج في أيديهم نفاطات وجراحات من كثرة عملهم.

(٤) النيف: ما زاد على العقد إلى أن يبلغ ما فوقه من العقود.

(٥) أي الظاهرة المشهورة.

(٦) رواه البيهقي، وعياض ٤٥٧.

ودعا لمعاوية رضي الله عنه بالتمكين في البلاد، فنال الخلافة.

ولسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أن يجيب الله دعوته، فما دعا على أحد إلا استجيب له(١).

ودعا بعز الإسلام بعمر رضي الله عنه، أو بأبي جهل، فاستجيب له في عمر(٢).

قال ابن مسعود: ما زلنا أعزة منذ أسلم عمر.

---

(١) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت قاعداً عند عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جاءه ناس من أهل الكوفة فشكوا سعداً، قالوا: إنه لا يحسن الصلاة! فقال: عهدي به وهو حسن الصلاة، فدعاه فأخبره بما قيل. فقال: أما صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد صليت بهم أركد في الأوليين، وأحذف في الأخريين - أي أطول الأوليين وأقصر الأخريين -، فقال: ذاك الظن بك. أبا إسحاق!، فبعث معه من يسأل عنه بالكوفة، فطيف به في مساجد الكوفة، فلم يقل له إلا خيراً. حتى انتهى إلى مسجد فإذا رجل يدعى أبا سعدة واسمه أسامة بن قتادة - فقال: اللهم إن كان لا ينفر في السرية، ولا يقسم بالسوية، ولا يعدل في القضية، قال: فغضب سعد وقال: اللهم إن كان كاذباً فأطل عمره، واشدد فقره، واعرض عليه الفتن. قال: فزعم ابن عمير أنه رآه قد سقط حاجباه على عينيه، قد افتقر وافتتن، فما يجد شيئاً.قيل: كيف أنت أبا سعدة؟ فيقول: كبير مفتون أجبت في دعوة سعد!.
رواه البخاري في كتاب الأذان - باب وجوب القراءة للإمام والمأموم، في الصلوات كلها في الحضر والسفر. فتح الباري ٢/ ٢٣٦، عن موسى، عن أبي عوانة.
وأخرجه مسلم عن إسحاق بن ابراهيم في كتاب الصلاة، ٣٤ باب القراءة في الظهر والعصر، ١/ ٣٣٥. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٩٠.

(٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم أعز الإسلام بأحب هذين الرجلين إليك، أبو جهل بن هشام، أو عمر بن الخطاب» قال: فكان يعني عمر رضي الله عنه أحبهما إلى الله عز وجل.
وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب «باب» في مناقب عمر بن الخطاب رضي الله عنه، الحديث ٣٦٨١، ٥/ ٦١٧، وابن سعد في الطبقات، والبيهقي في الدلائل ٢/ ٢١٦، عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأصاب الناس في بعض مغازيه عطش، فسأله عمر الدعاء، فدعا؛ فجاءت سحابة، فسقتهم حاجتهم، ثم أقلعت[1].

ودعا في الاستسقاء فسقوا، ثم شكوا إليه المطر؛ فدعا، فصحوا[2].

وقال للنابغة[3]: لا يفضض الله فاك[4]؛ فما سقطت له سن[5].

وفي رواية: فكان أحسن الناس ثغراً؛ إذا سقطت له سن نبتت له أخرى، وعاش عشرين ومائة سنة، وقيل: أكثر من هذا.

ودعا لابن عباس رضي الله عنهما: «اللهم فقهه في الدين، وعلّمه التأويل». فسمي بعد الحبر، وترجمان القرآن[6].

---

(١) رواه البيهقي، والحاكم، وصححه عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
وقوله: «أقلعت» أي انجلت وكفت عن المطر بعد قضاء حاجتهم من الماء الذي يزيل عطشهم.

(٢) في حديث أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء، باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، فتح الباري ٢/٥١٩.
ومسلم في كتاب صلاة الاستسقاء ٢ باب الدعاء في الاستسقاء، الحديث ٥، ٢/٦١٤.
وابن كثير في البداية والنهاية، ٦/ ٩٠ ـ ٩٢، عن البيهقي، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٣٩ وما بعدها.
وقوله: «فصحوا»: أي صحت السماء وانكشف غيمها. وذكره عياض ٤٥٧.

(٣) أي: للنابغة الجعدي.

(٤) قوله: «لا يفضض الله فاك» تقول العرب في الدعاء عليه: فض الله فاه، وفي الدعاء له: لا يفضض الله فاه.

(٥) الخبر في سيرة ابن هشام ٤/١٣٩، ونقله الحافظ ابن كثير في التاريخ ٥/١٧، والبيهقي في الدلائل ٥/ ٢٥١، وذكره عياض ص ٤٥٨.

(٦) الحديث بدون زيادة «وعلمه التأويل»: رواه الشيخان في صحيحيهما؛ صحيح مسلم ١٩٢٧، وصحيح البخاري ٥/ ٣٤. وبزيادة: «وعلّمه التأويل» رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٥٣٤، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. وقال الذهبي: صحيح.
والحبر: بكسر الحاء وفتحها: العالم المتقن الذي تبقى آثاره بعده، والترجمان: من يفسر لساناً بلسان، ويطلق الترجمان على من يبلغ الكلام.

ودعا لعلي أن يكفى الحر والقر، فكان يلبس في الشتاء ثياب الصيف، وفي الصيف ثياب الشتاء، ولا يصيبه حر ولا برد(١).

ودعا على مضر فأقحطوا، حتى استعطفته قريش، فدعا لهم فسقوا(٢).

ودعا على كسرى حين مزّق كتابه أن يمزِّق الله ملكه؛ فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة في أقطار الدنيا(٣).

ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي صلى الله عليه وسلم، أي لا، فرآه؛ فقال: كذلك كن، فلم يزل يختلج إلى أن مات(٤).

وقال لعتبة بن أبي لهب: اللهم سلط عليه كلباً من كلابك(٥)؛ فأكله الأسد.

---

(١) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/١٢٢، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، وإسناده حسن، ورواه البيهقي في الدلائل ٤/٢١٣، وابن ماجة في سننه ٤٣. وعياض ٤٥٩.

(٢) في حديث صحيح رواه الشيخان والنسائي، عن ابن عباس رضي الله عنهما، والبيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه. وذكره عياض ٤٦٠.

(٣) في حديث رواه الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما، ونص الكتاب في «نسيم الرياض» ٣/١٣٦، وذكره عياض ٤٦٠.

(٤) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٦/٢٣٩مسنداً من طرق صحيحة، وذكره عياض ٤٦١.

(٥) في حديث رواه الحاكم، والبيهقي، وابن إسحاق من طرق صحيحة مسندة. أن عتبة ابن أبي لهب قال: يا محمد! هو يكفر بالذي دنا فتدلى، فكان قاب قوسين أو أدنى، كذا في حديث هبار، وفي حديث طاوس وأبو الضحى: ويكفر برب النجم إذا هوى، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سلط عليه كلباً من كلابك» وكان أبو لهب يحتمل البز إلى الشام، ويبعث بولده مع غلمانه ووكلائه، ويقول: إنكم قد عرفتم سني وحقي، وإن محمداً قد دعا على ابني دعوة، والله ما آمنها عليه، فتعاهدوه، فكانوا إذا نزل المنزل ألزقوه إلى الحائط، وغطوا عليه الثياب والمتاع، حتى نزلوا في مكان من الشام يقال له الزرقاء بيلاً، فطاف بهم الأسد، فجعل عتبة يقول: يا ويل أمي، هو والله آكلي كما دعا محمد علي، فتلني محمد وهو بمكة وأنا بالشام، لا والله ما أظلت السماء على ذي لهجة أصدق من محمد، ثم وضعوا العشاء فلم يدخل يده فيه، ثم جاء النوم، فحاطوا أنفسهم بمتاعهم ووسوه بينهم، وناموا، فجاء الأسد يهمس يستنشق =

ودعا على سراقة لما اتبعه حين هاجر فارتطمت فرسه[1].

وهذا الباب أكثر من أن يحاط به.

فصل

ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون وإخباره بذلك

ومنها: أنه أخبر أن طوائف من أمته يغزون في البحر وأن أم حرام بنت ملحان منهم، وكان كما قال صلى الله عليه وسلم[2].

= رؤوسهم رجلاً رجلاً، حتى انتهى إليه، وقال هبار: فجاء الأسد فشم وجوهنا فلما لم يجد ما يريد تقابض ثم وثب، فإذا هو فوق المتاع فشم وجهه ثم هزمه هزمة ففضخ رأسه، فقال وهو بآخر رمق: ألم أقل لكم إن محمداً أصدق الناس؟، ومات، فبلغ ذلك أبا لهب، فقال: ألم أقل لكم إني أخاف عليه دعوة محمد؟، قد والله عرفت ما كان لينفلت من دعوة محمد. وكان عتبة هذا عنده ابنة للنبي صلى الله عليه وسلم فطلقها، فآذاه فدعا عليه.

وفي ذلك قال سيدنا حسان بن ثابت:

سائل بني الأشقر إن جئتهم ... ما كان أبناء أبي واسع
لا وسع الله قبره ... بل ضيق الله على القاطع
رحم بني جده ثابت ... يدعو إلى نور له ساطع
أسبل بالحجر لتكذيبه ... دون قريش نهزة القادع
فاستوجب الدعوة منه بما ... بين للناظر والسامع
إن سلط الله بها كلبه ... يمشي الهوينا مشية الخادع
حتى أتاه وسط أصحابه ... وقد علتهم سنة الهاجع
فالتقم الرأس بيافوخه ... والنحر منه فغرة الجائع

(١) روى أبو نعيم في المستخرج عن مسلم، عن البراء بن عازب رضي الله عنه، في حديث هجرة النبي صلى الله عليه وسلم، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليه، قال: «اللهم اكفناه بما شئت»، فساخت به فرسه في الأرض إلى بطنها. انظر: سبل الهدى والرشاد ١٠/ ٢٢٠.

(٢) عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدخل على أم حرام بنت ملحان ـ وهي أخت أم سليم وخالة أنس بن مالك ـ فتطعمه، وكانت أم حرام تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً، =

ومنها: إخباره يوم بدر بمصارع المشركين؛ فلم يعد واحد منهم مصرعه الذي عينه[(١)].

ومنها: قوله لعثمان رضي الله عنه: إنه سيصيبه بلوى شديدة، فكانت، وقتل رضي الله عنه[(٢)].

= فأطعمته، ثم جلست تفلي رأسه ـ وهي ذات محرم من قبل خالاته ـ فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت ما يضحكك يا رسول الله!؟. قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر أي وسطه، ملوكاً على الأسرَّة، أو مثل الملوك على الأسرَّة، يشك أيهما قال، قالت: فقلت: يا رسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم وضع رأسه فنام ثم استيقظ وهو يضحك، قالت: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟. قال: ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله، كما قال في الأولى، قالت: فقلت يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «أنت من الأولين»، فركبت أم حرام بنت ملحان البحر في زمان معاوية فصرعت عن دابتها حين خرجت من البحر فهلكت. أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء. وأخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٤٥٠ و٤٥١.

(١) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « هذا مصرع فلان غداً، ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان غداً، ووضع يده على الأرض، وهذا مصرع فلان غداً ووضع يده على الأرض، فقال: والذي نفسي بيده، ما جاوز أحد منهم عن موضع يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأخذ بأرجلهم فسحبوا فألقوا في قليب بدر. أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد، باب في الأسير ينال منه ويضرب، الحديث ٢٦٨١، ٣/ ٥٨. وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، الحديث ٨٣، ٣/ ١٤٠٣ و١٤٠٤. والبيهقي في الدلائل ٣/ ٤٧ و٤٨ وما بعدها.

(٢) روى الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنة، فمر رجل فقال. يقتل فيها هذا يومئذ ظلماً. قال: فنظرت فإذا هو عثمان رضي الله عنه، وقال عليه الصلاة والسلام لأبي موسى، وهو قاعد على قف بئر أريس لما طرق عثمان رضي الله عنه الباب: «ائذن له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه» إشارة إلى ما يقع من استشهاده يوم الدار، فاستشهد وبين يديه المصحف، فنضح الدم على هذه الآية: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ «البقرة ـ الآية ١٣٧».

وقوله صلى الله عليه وسلم للأنصار: إنكم سترون بعدي أثرة، فكانت في ولاية معاوية رضي الله عنه[١].

ومنها: قوله: «إن ابني هذا سيد، ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين»[٢] فكان كذلك.

ومنها: أنه أخبر بقتل العنسي الكذاب ليلة قتله، وبمن قتله، وهو بصنعاء اليمن، فكان كذلك[٣].

ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم: «زويت لي الأرض فرأيت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها». فكان كما قال صلى الله عليه وسلم[٤]، فبلغ ملكهم من أول المشرق من بلاد الترك إلىآخر المغرب من أرض الأندلس.

ومنها: قوله صلى الله عليه وسلم لثابت بن قيس[٥]: «يا ثابت؛ أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة!؛ فقتل يوم اليمامة»[٦].

---

(١) روى الإمام أحمد والشيخان والبيهقي والترمذي والنسائي عن أسيد بن حضير، والإمام أحمد في المسند، والترمذي عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للأنصار حين أفاء الله عليه أموال هوازن: «إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض».

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصلح بين الناس، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «إن ابني هذا سيد» ٣/ ٢٤٤ ط الأميرية. وأعاده في باب علامات النبوة في الإسلام من كتاب المناقب. ورواه أحمد في المسند ٥/ ٤٩. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٤٤٢ و٤٤٣.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التعبير، ومسلم في الرؤيا، الحديث ٢١، والترمذي وابن ماجة في الرؤيا، والإمام أحمد في المسند ١/ ٢٦٣.

(٤) مر تخريجه في هامش الصفحة ٢٧٩.

(٥) هو ثابت بن قيس بن شماس خطيب الأنصار، كان من نجباء أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، ولم يشهد بدراً، شهد أحداً، وبيعة الرضوان، واستشهد يوم اليمامة رضي الله عنه.

(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله، الحديث ١٨٧، ١/ ١١٠.

ومنها: أن رجلاً ارتد ولحق بالمشركين؛ فبلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنه مات؛ فقال: «إن الأرض لا تقبله». قال أبو طلحة: فأتيت تلك الأرض التي مات فيها؛ فوجدته منبوذاً، فقلت: ما شأن هذا؟ فقالوا: إنا دفناه فلم تقبله الأرض.

ومنها: **كتاب حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة**، كان قد بعثه مع امرأة إليهم، فأطلعه الله عليه؛ فبعث علي بن أبي طالب رضي الله عنه والزبير رضي الله عنه فأدركاها، فاستخرجاه من قرونها[1].

ومنها: أن رجلاً كان في عسكره لا يدع شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، وقال أصحابه: ما أجزى منا اليوم أحد كما أجزى فلان. فقال صلى الله عليه وسلم: «إنه من أهل النار» فأصابته جراحة؛ فاستعجل الموت؛ فاتكأ على ذؤابة سيفه؛ فقتل نفسه[2].

ومنها: قوله: «لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

---

(١) الحديث في قصة حاطب بن أبي بلتعة أخرجه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٧٩، وأخرجه البخاري في كتاب الجهاد، باب الجاسوس، الحديث ٣٠٠٧، فتح الباري ٦/ ١٤٣، عن علي بن عبد الله المديني. وأخرجه البخاري أيضاً في تفسير سورة الممتحنة، باب لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء، الحديث ٤٨٩٠، فتح الباري ٨/ ٦٣٣، عن الحميدي. وأخرجه البخاري أيضاً في كتاب المغازي، باب غزوة الفتح، وما بعث به حاطب لأهل مكة، فتح الباري ٧/ ٥١٩، عن قتيبة بن سعيد. وأخرج مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أهل بدر، الحديث ١٦١، ١٩٤١. وأخرجه أبو داود في الجهاد، والترمذي في تفسير سورة الممتحنة.وأبو يعلى والحاكم والضياء عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعبد بن حميد عن جابر بن عبد الله، وابن مردويه عن أنس، وعن سعيد بن جبير وابن اسحاق عن عروة، والواقدي عن شيوخه.

(٢) واسمه قزمان، مولى لبعض الأنصار، وكان شجاعاً لكنه كان منافقاً، وكان قاتل قتالاً شديداً أعجب الصحابة. قال الخفاجي في «نسيم الرياض»: هذا الحديث متفق على صحته لرواية الشيخين له، عن أبي هريرة رضي الله عنه.
وقد روى ذلك الواقدي في المغازي ١/ ٢٦٣، وانظر الشفا ٤٧٧.

قيل: هم العرب لأنهم المختصون بالسقي بالغرب، وهو الدلو.

وقيل: هم أهل المغرب، وقد ورد المغرب كذا في الحديث بمعناه[١].

وفي حديث آخر: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، قاهرين لعدوهم، حتى يأتيهم أمر الله». قيل: يا رسول الله وأين هم؟ قال: ببيت المقدس[٢].

ومنها: إخباره صلى الله عليه وسلم بملك بني أمية[٣]، وولاية معاوية ووصاه[٤]، واتخاذ بني أمية مال الله دولاً[٥] وخروج ولد العباس بالرايات السود[٦] وملكهم أضعاف ما ملكوا، وخروج المهدي[٧]، وما ينال أهل بيته وتقتيلهم وتشريدهم، وقتل علي رضي الله عنه، وأن الفتن لا تظهر ما دام عمر حياً[٨]، وبمحاربة الزبير لعلي[٩]؛ وبنباح كلاب الحوأب على بعض

---

(١) قال القاري ١/ ٦٨٢: لكن فيه أنه لا يعلم من رواه. ذكره عياض٤٧٥.

(٢) رواه الطبراني، وعبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل، المسند٥/ ٢٦٩، ورواه أيضاً الترمذي في سننه ٥/ ٥١٤، وعياض ٤٧٥.

(٣) رواه البيهقي، وعياض ٤٧٥.

(٤) ووصاه أي وصى معاوية، إذا تملك بالعدل والرفق، لما قال له: إذا ملكت فانصح.

(٥) في حديث رواه الترمذي والحكم، والبيهقي.
وقوله: دولاً: يتداولونه ويأخذونه واحداً بعد واحد، والمراد أنهم استأثروا به ومنعوا حقوقه، فأسرفوا وبذروا. وانظر: عياض ٤٧٥.

(٦) في حديث رواه أحمد، والبيهقي، بسند فيه ضعف، وانظر: سنن الترمذي ٥/ ٥٣١، وعياض ٤٧٥.

(٧) خروج المهدي في آخر الزمان، كما ورد في حديث رواه أصحاب السنن، وغيرهم، من طرق كثيرة إلا أنه قيل: إن أسانيده لا تخلو من ضعف، سنن أبي داود ٢/ ١٣٥، وسنن الترمذي ٥/ ٥٠٦، وعياض ٤٧٥.

(٨) روى البيهقي هذا الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما، والشيخان عن حذيفة رضي الله عنه.

(٩) روى البيهقي هذا الحديث في «دلائل النبوة» من طرق؛ وهو مما أخبر به صلى الله عليه وسلم من المغيبات.

أزواجه[1]، وأنه يقتل حولها قتلى كثيرة، وتنجو بعدما كادت[2]؛ فنبحت على عائشة رضي الله عنها، عند خروجها إلى البصرة.

وقال لعبد الله بن الزبير: ويل للناس منك، وويل لك من الناس[3].

وأن عماراً تقتله الفئة الباغية؛ فقتله أصحاب معاوية[4].

وقال: الخلافة في قريش[5].

ولن يزال هذا الأمر في قريش ما أقاموا الدين[6].

وأنذر بالردة[7]، وبأن الخلافة بعده ثلاثون سنة[8]، ثم تكون ملكاً؛ فكانت كذلك بمدة الحسن بن علي.

---

(١) الحوأب: موضع بين البصرة والكوفة، نزلته السيدة عائشة رضي الله عنها لما توجهت للصلح بين علي ومعاوية، فلم تقدر، فكانت وقعة الجمل، قال الخفاجي ٣/ ١٨٥: وهو حديث صحيح رواه البزار عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/ ٥٢و٩٧، ونقله الحافظ ابن كثير في البداية والنهاية ٦/ ٢١١ و٢١٢. وقال: هذا إسناد على شرط الشيخين ولم يخرجوه. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٤١٠ وما بعدها، بروايات مختلفة. وذكره عياض ٤٧٦.

(٢) أي بعدما قاربت عدم النجاة.

(٣) قال له هذا لما شرب دماً من فضل دمه صلى الله عليه وسلم؛ وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد احتجم، وأعطاه دمه، وقال له: أرقه في محل لا يرى، فلما رجع قال له النبي صلى الله عليه وسلم: لعلك شربته؟ فقال: نعم. فقال له ذلك. وذكره عياض ٤٧٧.

(٤) عمار بن ياسر رضي الله عنه الصحابي المشهور، وقوله: الباغية: من البغي، وهو الخروج بغير حق على الإمام.
والحديث في صحيح مسلم كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء، الحديث ٧٢، ٤/ ٢٢٣٦. فقتله أصحاب معاوية وهو مع علي بصفين.

(٥) في حديث رواه أحمد، والترمذي. سنن الترمذي ٥/ ٥٠٣.

(٦) في حديث آخر رواه البخاري، صحيح البخاري: ٤/ ٢١٨.

(٧) وهو مما رواه الشيخان عن ابن عمر، وذكره في الشفا ص٤٧٨.

(٨) رواه أصحاب الكتب الستة مسنداً.

وقال[1]: إن هذا الأمر بدا[2] نبوة ورحمة، ثم يكون رحمة وخلافة. ثم يكون ملكاً عضوضاً[3]، ثم يكون عتواً وجبروتاً وفساداً في الأمة[4].

وأخبر بشأن الخوارج[5] وصفتهم، والمُخْدَج الذي فيهم، وأن سيماهم التحليق[6].

ويُرى رعاء الغنم رؤوسَ الناس[7]، والعراة الحفاة يتبارون في البنيان، وأن تلد الأمة ربتها[8].

---

(١) في حديث رواه البزار، والبيهقي.

(٢) قوله «بدا» أي ظهر وبرز.

(٣) قوله: «عضوضاً» أي سلطنة خالية عن الرحمة والشفقة على الرعية، فكأنهم يعضون بالنواجذ فيه عضاً، حرصاً على الملك، ويعض بعضهم عضاً بسببه.

(٤) عتواً: العتو هو الخروج عن طاعة الله تعالى، والجبرية بفتح الجيم وتسكن أيضاً من الجبر وهو الإكراه والقهر.

(٥) الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٦) قوله مخدج اليد: ناقص اليد، والتحليق: أي يحلقون شعور رؤوسهم، ولم يكن في الصدر الأول حلق الرؤوس إلا في النسك. وقيل: المراد جلوسهم حلقاً حلقا، أخرجه أبو داود في كتاب السنة، باب في قتال الخوارج، الحديث ٤٧٦٥، ٤/ ٢٤٣، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٤٣٠، وروى مسلم عن محمد ابن عبيدة قال: ذكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه أهل النهروان، فقال: فيهم رجل مودن اليد مثدون اليد، أو مخدج اليد، لولا أن تبطروا لنبأتكم ما وعد الله الذين يقاتلونهم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم، قال: قلت: أنت سمعت هذا؟ قال: إي ورب الكعبة.
وقوله: «مخدج اليد ـ مودن اليد»: أي ناقص اليد، و«مثدون اليد» أي صغير اليد مجتمعها. والحديث أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتال الخوارج، الحديث ١٥٥، ٢/ ٧٤٧. و٢/ ٧٤٨ عن محمد بن المثنى، عن ابن أبي عدي، عن ابن عون. والبيهقي في الدلائل ٦/ ٤٣١.

(٧) رؤوس الناس: أي رؤساءهم، والحديث في الصحيحين بمعناه، وبعض ألفاظه. وهو في صحيح مسلم ٣٩.

(٨) ربتها: أي سيدتها، وهو من حديث مشهور، رواه الشيخان: صحيح مسلم ٣٩. وغيرهما؛ وهو من المغيبات، وأشراط الساعة التي أخبر بها النبي صلى الله عليه وسلم. وفي مسلم: ربها. بدل ربتها،. وفي رواية أخرى: بعلها.

وأخبر بالمال الذي تركه عمه العباس رضي الله عنه عند أم الفضل بعد أن كتمه؛ فقال: ما علمه غيري وغيرها، فأسلم[1].

وأخبر بقتل أهل مؤتة يوم قتلوا، وبينهم مسيرة شهر أو أزيد[2].

وبموت النجاشي يوم أن مات بأرضه[3].

وأخبر فيروز إذ ورد عليه رسولاً من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم، فلما حقق فيروز القصة أسلم[4].

وقال في الذين كانوا معه على حراء: اثبت، فإنما عليك نبي وصدّيق، وشهيد؛ فقتل علي، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وطعن سعد[5].

وأعلم قريشاً بأكل الأرضة ما في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم، وأنها أبقت فيها كل اسم لله؛ فوجدوها كما

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٣/ ٢٩٩، والبيهقي في دلائل النبوة ٣/ ١٤٢و١٤٣، ورواه أحمد، عن ابن عباس، والحاكم، وصححه، والبيهقي عن الزهري، وأم الفضل: هي زوجة العباس رضي الله عنه. وانظر أيضاً: الشفا ٤٨٣.

(٢) في حديث صحيح رواه البخاري عن أنس، صحيح البخاي ٥/ ١٨٢. ومؤتة: اسم موضع بالشام كانت فيه الغزوة المشهورة. وذكره عياض ٤٨٤.

(٣) رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه. وذكره عياض٤٨٤.

(٤) في حديث رواه البيهقي، وذكره عياض ٤٨٤.

(٥) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر، الحديث ٣٦٧٥، فتح الباري ٧/ ٢٢، عن محمد بن بشار، وأعاده في مناقب عمر، الحديث ٣٦٨٦، فتح الباري ٧/ ٤٢، عن مسدد، عن يزيد ابن زريع، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، ثم أعاده في مناقب عثمان: الحديث ٣٦٩٩، فتح الباري ٧/ ٥٣، عن مسدد. وأخرجه الترمذي في كتاب المناقب، باب في مناقب عثمان بن عفان، الحديث ٣٦٩٧، ٥/ ٦٢٤، عن محمد بن بشار، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد، عن قتادة، عن أنس، وأخرجه أبو داود في السنة، ٤٦٥١، ٤/ ٢١٢، عن مسدد، عن يزيد. وأخرجه الإمام أحمد في المسند ٥/ ٣٣١، ٣٤٦. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٣٥٠. وحراء: اسم جبل معروف بقرب مكة. قال في صحيح مسلم: وعليه النبي، وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم أجمعين.

قال[1]. ووصفه لكفار قريش بيت المقدس حين كذبوه في خبر الإسراء، ونعته إياه نعت من عرفه[2].

هذا ما انتخبته من كلام القاضي وغيره.

وبالجملة فمعجزاته صلى الله عليه وسلم لا تحصى، ولا يحاط بها ولا تستقصى، وقد قال القاضي: وبحسب هذا الفصل أن يكون ديواناً مفرداً يشتمل على أجزاء وحده[3]. وصدق رحمه الله تعالى، ومن ذا يحيط

---

(١) انظر في تعاقد قريش على بني هاشم، وبني المطلب، وكتابتهم صحيفة هذا العقد: ابن هشام ١/ ٣٧١، وابن سعد ١/ ١/ ١٣٩، والطبري ٢/ ٣٣٥، وابن كثير ٣/ ٨٤، والنويري ١٦/ ٢٥٨، واسيرة الحلبية ١/ ٤٤٩، والدرر في اختصار المغازي والسير ٥٣، وسبل الهدى والرشاد ٢/ ٥٠٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٣١٤، وعياض ٤٨٥.

(٢) في حديث الإسراء المشهور، «أخرج ابن جرير، وابن أبي حاتم، عن أبي هارون العبدي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، في حديث الإسراء والمعراج قال: ثم أصبح بمكة يخبرهم بالعجائب، أني أتيت البارحة بيت المقدس، وعرج بي إلى السماء، ورأيت كذا وكذا، فقال أبو جهل بن هشام: ألا تعجبون مما يقول محمد!، يزعم أنه أتى البارحة بيت المقدس، ثم أصبح فينا، وأحدنا يضرب مطيته مصعدة شهراً ومنقلبة شهراً، فهذا مسيرة شهرين في ليلة واحدة.
فأخبرهم بعير لقريش لما كان في مصعدي رأيتها في مكان كذا وكذا، وأنها نفرت، فلما رجعت رأيتها عند العقبة، وأخبرهم بكل رجل وبعيره كذا وكذا، ومتاعه كذا وكذا، فقال أبو جهل: يخبرنا بأشياء، فقال رجل من المشركين: أنا أعلم الناس ببيت المقدس، وكيف بناؤه، وكيف هيأته، وكيف قربه من الجبل. فإن يكون محمد صادقاً فسأخبركم، وإن يكن كاذباً فسأخبزكم، فجاءه ذلك المشرك، فقال: يا محمد! أنا أعلم الناس ببيت المقدس فأخبرني كيف بناؤه، وكيف هيأته، وكيف قربه من الجبل؟، قال: فرفع لرسول الله صلى الله عليه وسلم بيت المقدس من مقعده فنظر إليه كنظر أحدنا إلى بيته، بناؤه كذا وكذا، وهيأته كذا وكذا، وقربه من الجبل كذا وكذا، فقال الآخر: صدقت، فرجع إلى الصحابة فقال: صدق محمد فيما قال «أو نحواً من هذا الكلام.» دلائل النبوة للبيهقي ٢/ ٣٩٥ و٣٩٦. انظر أيضاً: المصدر نفسه ٢/ ٣٥٤ وما بعدها، والشفا للقاضي عياض ٤٨٧.

(٣) وقد ألف في معجزاته صلى الله عليه وسلم جمع من الأئمة والعلماء نذكر بعضها على سبيل التبرك لا الحصر: =

بالبحر الزخار، ولو أجهد نفسه آناء الليل وأطراف النهار. زاده الله شرفا، وغفر لنا ببركاته وعفا.

فصل

وها أنا أنبهك - أيها المحب لهذا النبي صلى الله عليه وسلم - شرح الله صدري وصدرك، وضاعف به حبي وحباك - على نكتة بديعة، وروضة مريعة[1]، تشفي الغليل، وتنقذ العليل؛ وهي: أنك ترى العالم الحاذق ذا العقل الفائق، والذهن الرائق، الذي أفنى عمره ليله ونهاره في درس العلوم

= ١ - الأنوار في معجزات النبي المختار للثعالبي.
٢ - البشائر والإعلان - لابن القطان.
٣ - حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين للإمام النبهاني.
٤ - صيانة العوام في معجزات النبي صلى الله عليه وسلم لابن غصن الإشبيلي.
٥ - الآيات الواضحات في وجه دلائل المعجزات لابن مرزوق التلمساني.
٦ - الأحكام في معجزات النبي عليه السلام للجياني.
٧ - الإعجاز المتين في معجزات سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم للغماري.
٨ - تشويق المسلمين بمعجزات النبي الأمين لمحفوظ الخطيب.
٩ - الدرر البهية في معجزات خير البريه صلى الله عليه وسلم لأحمد بن عيسى بن حجاج.
١٠ - تنوير الضمير في معجزات البشير النذير للقره داغي.
١١ - ريحانة المشتاقين في معجزات سيد المرسلين لعباس المرحومي.
١٢ - الفرج القريب في معجزات الحبيب صلى الله عليه وسلم لشعبان الآثاري.
١٣ - نظم الدرر في معجزات سيد البشر للرهوني.
١٤ - البراهين القوية في معجزات خير البرية صلى الله عليه وسلم لعبد الحميد أبي طالب.
١٥ - مصابيح الأخبار في معجزات النبي المختار صلى الله عليه وسلم للكتاني.وغيرها كثير مما ألفه العلماء الأجلاء من صالحي هذه الأئمة رضي الله عنهم.وانظر للتوسع ما ذكره العلامة السيد عبد الله الحبشي في معجم الموضوعات، والعلامة صلاح الدين المنجد في معجم ما ألف عن الرسول صلى الله عليه وسلم.

(١) روضة مريعة: أي خصبة.

وتفهمهاوأجهد نفسه في تعليمها وتعلمها لا يحصل من ذلك بعد التعب الجليل والفكر الطويل، إلا على النزر القليل، بل لو اعتكف على علم واحد من علوم الشريعة وغيرها، لا يبلغ منتهاه ولا يحيط بجمع معناه، وأنت ترى هذه الكتب المصنفات وسائر العلوم المؤلفات، والحكم المسموعات، إنما هي مستفادة من النبي صلى الله عليه وسلم، ومفرعة عما جاء به عن ربه عز وجل من الكتاب والسنة، ثم هو مع ذلك نبي أمي لا يقرأ كتاباً، ولا خط بقلم، ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[1] ولا اشتغل بدراسة ولا مباحثة، ولا ارتحل عن بلده في طلب شيء من ذلك، فأي معجزة أعظم من هذه؟وأي برهان أعظم من هذا البرهان، وأي حجة أفلح من هذه الحجة، وأي محجة أهدى من هذه المحجة؟.

شعر:

علوم الورى في لفظه من كلامه ... ولا بدع في أن يعدل الفرد بالجمع

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

وأنت ترى إذا نظرت في الكتاب العزيز أو في السنة، وكلاهما من عند الله؛ فإنه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[2]، رأيت العجب العجاب، وما يذهل ذوي الألباب.

أما النظر في الكتاب العزيز، فقال بعض المتأخرين: إما أن يتعلق بألفاظه، أو بمعانيه، أو بهما:

أما الألفاظ: فإما في كيفية كتبها، أو في كيفية النطق بها.

أما كيفية كتبها: فيتفرع عنه علم الخط جملة، وعلم خط المصحف.

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية ٤٨.

(٢) سورة النجم ـ الآيتان ٣ و٤.

وأما كيفية النطق بها: فيتفرع عنه علم مخارج الحروف وعلم النحو، وعلم الاشتقاق، وعلم الوقف والابتداء، وعلم القراءات السبعة وما يتعلق بذلك كله؛ من معرفة الرواة، ومن أخذوا عنه، وإسناد روايتهم عن شيوخهم إلى الصحابة رضي الله عنهم، الذين أخذوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، عن جبريل عليه السلام، عن رب العزة.

نكتة في التنبيه عليها: وهي أن انحصار القراءات في سبع، واشتهار ذلك في الأمصار كلها، واتفاق الأمة على العمل بها وعلى إلغاء ما سواها، فيه معجزة من معجزات النبي صلى الله عليه وسلم، وهي الإعلام بالغيب؛ فإنه صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرؤوا ما تيسر منه»[1].

فدل على أن مراده بسبعة أحرف هذه القراءات السبع التي وقع الاتفاق عليها، وإلغاء ما سواها في جميع الأمصار، وكذلك أجرى الله عز وجل الألسنة بقولهم: «قرأت حرف نافع، وقرأت حرف ابن كثير»، فعبر عن ذلك بالحروف، وموافقة للفظه المبارك صلى الله عليه وسلم. وإن كان قد اختلف في ذلك[2].

---

(١) حديث: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف، فاقرأوا ما تيسر منه» رواه الشيخان، وأبو داود والترمذي والنسائي، والإمام أحمد كلهم عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ـ الجامع الصغير ١/٣٣٩ الحديث رقم ٢٤١٢.

(٢) ورد حديث: «نزل القرآن على سبعة أحرف» من رواية جمع من أصحابة زادوا على عشرين، حتى بلغ حد التواتر.

وقد اختلفوا في معنى هذا الحديث على نحو أربعين قولاً، منها:

أولاً: أنه من المشكل الذي لا يدرى معناه، لأن لفظ «حرف» تصدق في اللغة على: حرف الهجاء، وعلى الكلمة، وعلى المعنى، وعلى الجهة.

ثانياً: أنه ليس المراد بالسبعة حقيقة العدد، بل المراد التيسير والتسهيل والسعة.

ثالثاً: أن المراد بها سبع قراءات.

رابعاً: أن المراد سبعة أوجه من المعاني المتفقة بألفاظ مختلفة نحو: أقبل، وتعال، وهلمّ، وعجِّل، وأسرع. وعن أبيّ: «قلت: سميعاً، عليماً، عزيزاً، حكيماً، مالم تخلط =

ويتعلق بذلك أيضاً معرفة الأسباع، والأعشار، والأخماس، وعدد الآي، وعدد الكلمات، وعدد الحروف، ومعرفة أعلام النحو، وأئمته وأخبارهم.

وأما النظر في معانيه: فإما في معاني الألفاظ المركبة، أو المفردة.

أما المفردة: فيتفرع منه علم أسماء الله الحسنى، وعلم غريب القرآن، وعلم اللغة، وعلم الأدب، وعلم أشعار العرب. ويتفرع من علم أشعار العرب علم العروض وغير ذلك من شروحها، وتفسير ما اشتملت عليه من غريب وقصص، ووقائع، وغير ذلك من طبقات النحويين، واللغويين، وطبقات الكتاب الوزراء، وطبقات الشعراء.

وأما النظر في معانيه المركبة: فيتفرع منها علم أصول الدين، والرد على الملحدين، وعلم أصول الفقه، وعلم الفرائض، وعلم الفقه، وعلم الخلاف، وعلم الجدل، وعلم الأدلة والبراهين، وعلم أحكام القرآن، وعلم أمثال القرآن، وعلم تشبيهات القرآن، وعلم متشابه القرآن، وعلم مجاز القرآن، وعلم لطائف القرآن وإشاراته، وعلم أسباب النزول، وعلم الناسخ والمنسوخ، وعلم المكي والمدني، وعلم القصص والأنبياء عليهم السلام، وعلم الأدعية، وعلم الأخلاق، وعلم السياسة الربانية، وعلم الورع والتقوى، وفضائل السور، وفضائل الآي، ومنافع الآي، والرقى وغير ذلك، وعلم الحساب من الحروف المقطعة في أوائل السور، وتفرع

= آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب» رواه أبو داود.

خامساً: أن المراد بها كيفية النطق بالتلاوة من: إدغام وإظهار، وتفخيم وترقيق، وإمالة وإشباع، ومد مقصر، وتشديد وتخفيف، وتليين وتحقيق.

سادساً: أن المراد سبع لغات هي أفصح لغات العرب ـ أي لهجات ـ

والحقيقة أن هذه الأقوال والوجوه أكثرها متداخل، ولا يعرف لها مستند، ولا عمن نقلت، وقد ظن كثير من العوام أن المراد بها القراءات السبعة وهو جهل قبيح.

انظر: مختصر الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ـ اختصار صلاح الدين أرقه دان ـ صفحة ٩٣ و٩٤.

علم الحساب أيضاً من علم الفرائض، وتفرع منه كذلك علم طبقات الفقهاء، وعلم الطب، وعلم الساعات والأوقات، وتفرع من ذلك أيضاً علم تعبير الرؤيا، وعلم المواعظ، وعلم الزهد في الدنيا، والرغبة في الآخرة، وعلم أحوال الآخرة، وأوصاف الجنة والنار، وأوصاف كل واحد منهما.

وأما النظر فيهما معا: فيتفرع منه علم البيان، والفصاحة، والبلاغة، وعلم صناعة البديع، ويتفرع عن ذلك علم النظر، وحسن التلاؤم والتوافق.

وأما السنة: فالنظر فيها؛ إما في المتن، وهو نص الحديث. وإما في الطريق؛ وهو السند.

أما الطريق فتفرع عنه: معرفة الرواية، وكيفيتها وشروطها، وكيفية الأخذ والتعبير عنه، على ما هو معروف عند المحدثين.

وتفرع عنه: علم السند، والمرسل، والمقطوع، والموقوف، وغير ذلك. وما يتعلق بها من التدليس، وغيره، ومعرفة الصحاح، والغرائب، والحسان، ومعرفة المسلسلات، وغيرها، ومعرفة الصحابة رضي الله عنهم، ومعرفة التابعين، ومعرفة من دونهم من الرواة، ومن بعدهم، ومعرفة التعديل والتجريح، ومعرفة الضعفاء والمتروكين، والمجاهيل، ومن ينسب إلى وضع الحديث واختلافه، وعلم تاريخ الرواة، وأنسابهم، وإسنادهم وأسماءهم، وكناهم، وألقابهم، والمؤتلف والمختلف من أسمائهم، ومشتبه النسبة فيها، وعلم طبقات المحدثين.

وأما المتن فتفرع عنه: بيان الكتاب العزيز، لقوله تعالى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[1]، فجاء فيه تفسير مجمل القرآن، كتفسير الإيمان، والإسلام، والإحسان، والصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وأوقاتها، وشروطها، وأحكامها.

---

(١) سورة النحل ـ الآية ٤٤.

وتفرع أيضاً من علم متن الحديث: علم غريب الحديث، وعلم مختلفه، وعلم ناسخه ومنسوخه، وعلم أحكامه، وعلم فقهه، وأمثاله، وفوائده، وحكمه، وعلم مشكله، وعلم شعب الإيمان، وجميع ما تقدم ذكره، مما يحتاج فيه إليه في فهم الكتاب العزيز، من النحو وغيره، فهو محتاج إليه في علم السنة أيضاً.

وتفرع عنه أيضاً: علم السير، وعلم المعاني، وعلم شمائل المصطفى صلى الله عليه وسلم، وعلم نسبه، وعلم صفاته، وأخلاقه، وعلم فتوح البلاد التي وعده الجليل جل جلاله، وعلم أخبار مكة زادها الله شرفاً، وعلم أحكامها، وعلم أحكام دورها، وعلم الأموال، وأحكام الصلح والعنوة، وما اشتملت عليه كتب الأربعين لقوله صلى الله عليه وسلم: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً دخل الجنة»[1]، وعلم أسماء الله الحسنى، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائة إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة»[2].

وفي حاشية البخاري: «من حفظها دخل الجنة».

وعلم طريق الحديث، وعلم ما اشتملت عليه كتب الرقائق، والزهد، وعلم حلي الأولياء، وعلم طبقات النساك، وطبقات الصوفية، وعلم الفرق؛ لقوله صلى الله عليه وسلم: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة»[3]، وعلم الطب، وعلم عبارة الرؤيا، وعلم الحق والحقيقة لقوله

---

(١) حديث: «من حفظ على أمتي أربعين حديثاً ينفعهم بها قيل له ادخل من أي أبواب الجنة» أخرجه السيوطي في الدر المنثور ٥/ ٣٤٣.

(٢) رواه الشيخان والترمذي، والبيهقي، عن أبي هريرة رضي الله عنه، وابن عساكر عن عمر رضي الله عنه. «انظر: الكنز ١/ ٤٤٨ الحديث رقم ١٩٣٣.

(٣) حديث «تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهن في النار إلا واحدة ما أنا عليه اليوم وأصحابي» رواه الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه. «كنز العمال ١/ ٢١٠ الحديث رقم ١٠٥٧».

صلى الله عليه وسلم لحارثة بن مالك الأنصاري الزرقي: «إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟»[1].

إلى غير ذلك مما يطول تعداده، وكل علم من هذه العلوم إذا شغل الإنسان به نفسه، وعمر أوقاته بطلبه، وأفنى قوته في درسه وتحصيله وجعل ذلك ديدنه طول عمره لم يبلغ منتهاه، ولا أدرك غايته، ولا أقصاه، بل لو جمع الكتب المصنفة في فن من هذه الفنون، وشغل نفسه بمطالعتها دون درسها وتحصيلها لذهب عمره في ذلك، والله عز وجل أعلم.

قال الإمام المازري: قال شيخنا أبو الحسن اللخمي: اختصرت المدونة نحواً من اثنين وثلاثين اختصاراً، ليس فيها أحسن من المهذب للباجي، قال: يريد في موافقة ألفاظ المدونة، وأما مختصر أبي محمد بن أبي زيد فلا يلحق به أحد، فهذا اختصار كتاب واحد من كتب الفقه بلغت عدته هذه الجملة. ويحتمل أن يكون هناك اختصارات أخر لم يقف عليها الفقيه أبو الحسن مما صنف بالمشرق والمغرب، والأندلس، وغيرها من البلاد.

فإذا عرفت هذه الجملة صار عندك كونه صلى الله عليه وسلم، أوتي جوامع الكلم أوضح من الشمس؛ فسبحان من خصه بهذا الشرف الذي لا تدرك غايته، والعلم الذي لا يبلغ رايته، والفضل الذي لا يعلم كنهه، ولا

(١) قطعة من حديث لفظه: «عن أنس رضي الله عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد والحارث بن مالك نائم فحركه برجله، قال: ارفع رأسك، فرفع رأسه، فقال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله!، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: كيف أصبحت يا حارث بن مالك؟ قال: أصبحت يا رسول الله مؤمناً حقاً، قال: إن لكل حق حقيقة فما حقيقة ما تقول؟، قال: عزفت عن الدنيا، وأظمأت نهاري، وأسهرت ليلي، وكأني أنظر إلى عرش ربي فكأني أنظر إلى أهل الجنة فيها يتزاورون، وإلى أهل النار يتعاوون، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: أنت امرؤ نوّر الله قلبه، عرفت فالزم». رواه ابن عساكر بسنده عن أنس رضي الله عنه. انظر «كنز العمال ١٣/ ٣٥٢ الحديث رقم ٣٦٩٨٩».

نهايته، سيدنا ومولانا وشفيعنا، ونبينا، وحبيبنا، محمد صلى الله عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، صلاة لا يفنى عددها، ولا ينقضي أمدها.

ومما ينبغي أن ينبه عليه، ويعتمد في إعجاز القرآن العظيم عليه، وإن كان لا يخطر في الغالب بالبال، وهو باد في تأمل أحسن من سمط اللآل، وذاك أن الحروف المقطعة في أول سور القرآن الدالة على صدق من جاء به، فأفرغ الحق في غالبه، فإن أمرها غريب وسرها عجيب، إذا أعطيت من التأمل حقها.

قال ابن خطيب زملكا[١] في «برهانه»[٢]: وسأوضّح لك ذلك بشيء من دقيق المسالك ـ يشير إلى إعجاز القرآن ـ منه **فواتح السور** التي هي حروف هجاء، وإذا نظرتها ببادي الرأي وجدتها مما يكاد يمجه السمع، ويقل به النفع، مع أنها من الحسن ترفل في أثواب الحبر، ويقصر عنها دقيق النظر، **وذلك من وجوه:**

الأول: أنها كالمهيجة لمن سمعها من الفصحاء، والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل والأخذ في التفاضل. ألا تراها بمنزلة زمجرة الراعد قبل الماطر في الإعلام لتعي الأرض فضل الغمام، وتحفظ ما أفيض عليها من الإنعام، وتخاف مواقع الانتقام بما فيه العجمة [التي لا تؤلف في الكلام. وما هذا شأنه خليق بالنظر فيه، والوقوف]على معانيه بعد حفظ مغانيه، بل حكم الدواعي الجبلية أن تبعث على ذلك اضطراراً لا اختياراً، لا سيما وهي صادرة عن رجل عليه مهابة وجلالة، قد قام مقام

---

(١) عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الأنصاري الزملكاني، أبو المكارم، كمال الدين، ويقال له ابن خطيب زملكا. أديب من القضاة، له شعر حسن، ولي قضاء صرخد، ودرّس مدة ببعلبك، وتوفي بدمشق. له: التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن، ورسالة في الخصائص النبوية. توفي رضي الله عنه سنة ٦٥١ من الهجرة. انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ١٧٦.

(٢) يقصد كتاب «البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن».

أولي الرسالة، وكشف ما هم عليه من الجهالة والضلالة، وتواعدهم بأن الهلكات نازلة بهم لا محالة.

الثاني: التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط، ولم يعانِ النظر فيه، على ما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[1] متنزل منزلة الأقاصيص عن الأمم السالفة ممن [ليس] له اطلاع على ذلك.

الثالث: انحصارها في نصف [أسماء]حروف المعجم؛ لأنها أربعة عشر حرفاً، وهي: الألف، واللام، والميم، والصاد، والراء، والكاف، والهاء، والياء، والعين، والطاء، والسين، والحاء، والقاف، والنون.

قلت: يجمعها قولك: «نص حكيم قاطع له سر».

قال: وهذا واضح على من عدَّ حروف المعجم ثمانية وعشرين حرفاً. وقال: «لا» مركَّبة من اللام والألف، وإن كان بعيداً من الصواب، مع أنه المشهور في التهجي.

والصحيح إنها تسعة وعشرون [حرفاً]، والنطق ب «لا» في [التهجي] كالنطق ب[لا في]: «لا رجل في الدار»وذلك أن الواضع جعل كل حرف من حروف التهجي صدر اسمه إلا الألف [فإنه] لما لم يمكن أن يبدأ به لكونه مطبوعاً على السكون ولا يقبل الحركة أصلاً توصل إليه باللام لأنه يناسبه في الامتداد والانتصاب [ولذلك يكتب على صورة الألف إذا اتصل بما بعده][2].

وذكر ابن عصفور أن منشأ الخلاف عند النحويين في عدد حروف المعجم، هل الهمزة من قبل الحروف، أو من قبل الضبط؟.

---

(١) سورة العنكبوت ـ الآية ٤٨.

(٢) ما بين المعقوفتين ساقط من النسخة المخطوطة، استكمل من كتاب البرهان المشار إليه ـ صفحة ٥٧ و٥٨ ط رئاسة ديوان الأوقاف في الجمهورية العراقية ـ إحياء التراث الإسلامي رقم ٩.

الرابع: مجيئها في تسع وعشرين سورة بعدد الحروف.

الخامس: كما روعي تنصيفها باعتبار هجائها، روعي تنصيفها باعتبار أجناسها.

قلت: يريد أن كل جنس من أجناس الحروف كالمجهورة، والمهموسة، والرخوة، والشديدة، وغير ذلك من أجناسها، قد نصفت غالباً؛ فاستعمل نصفها في القرآن، وأهمل نصفها الآخر، وإذا تأملت ذلك وجدته. ثم إن النصف المستعمل في القرآن هو الأخف والأكثر استعمالاً من النصف المهمل.

ثم قال: ومن وقف على ذلك علم أن القرآن ليس من كلام البشر، وجزم بأنه كلام خالق القوى والقدر، فإن المتبحر في معرفة الحروف وتصرف مخارجها؛ الخفيف والثقيل، وعدد أجناسها، لا يهتدي إلى هذا النظر الدقيق.

ومما يشد من عضد ما ذكرناه أن الألف واللام والميم يكثرن في الفواتح، ما لم يكثر غيرها من الحروف لكثرتها في الكلام، ولأن الهمزة من الرئة فهي من أعمق الحروف، واللام مخرجها من طرف اللسان، ملصقة بصدر الغار الأعلى من الفم، فصوتها يملأ ما وراءها من هواء الفم، والميم مطبقة لأن مخرجها من الشفتين إذا أطبقتا فرمز بهنَّ إلى باقي الحروف كما رمز صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله»[1] إلى الإتيان بالشهادتين وغيرهما مما هو من لوازمهما، وكذلك لسائر الحروف الفواتح شأن ليس لغيرها، ووراء ذلك من الأسرار الإلهية ما لا تستقل بفهمه البشرية ولهذا استخرج بعض أئمة

---

(١) حديث: «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها. قيل: وما حقها؟ قال: زنى بعد إحصان، وكفر بعد إيمان، أو قتل نفس فيقتل بها». رواه الطبراني في الأوسط عن أبي بكرة، وابن جرير عن أنس. انظر: كنز العمال ١/٨٨ الحديث رقم ٣٧٥.

المغرب ـ رحمه الله تعالى ـ من قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾[1]، فتوح بيت المقدس، واستنقاذه من يد العدو في سنة معينة، وكان كما قال، انتهى[2].

ولو جئنا نتتبع ما أعطي عليه الصلاة والسلام من المعجزات، وما ظهر على يديه من الآيات الباهرات، لاحتجنا إلى كثير من المجلدات المطولات، ولقصرت عن إدراكه العبارات، من ذا الذي يحصي موج البحر الزخار؟ ولو أجهد نفسه آناء الليل وأطراف النهار دائماً أبداً، ﴿قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا ۝١٠٩﴾[3].

فلنقتصر على هذه النبذة اليسيرة ونفوض التعداد في ذلك إلى عالم السريرة؛ فإنه لا يحصيه إلا هو تعالى.

اللهم اجعلنا من خيار أمته، وضاعف لنا الأجر على ولايته ومحبته، وارزقنا العمل بكتابك وسنته، واحشرنا يوم القيامة تحت لوائه وفي زمرته، آمين يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأزواجه الطاهرات أمهات المؤمنين إنك عزيز حكيم.

---

(١) سورة الروم ـ الآيات ١ ـ ٣.

(٢) انظر: البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن ـ لابن الزملكاني صفحة ٥٩ ـ ٦٠.

(٣) سورة الكهف ـ الآية ١٠٩.

الباب الحادي عشر

في من استغاث به صلى الله عليه وسلم وأغيث في القديم والحديث

اعلم أن أول من استغاث بنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم أبونا آدم، عليه السلام، وذكر شيخ الإسلام والمسلمين أبو عبد الله محمد. الشهير بابن النعمان[1]، بسنده في كتاب «مصباح الظلام» إلى جابر رضي الله عنه[2] قال: قلت يا رسول الله متى كنت نبياً؟ قال: لما خلق الله الأرض واستوى إلى السماء، فسواهن سبع سموات، وخلق العرش، كتب على ساق العرش «محمد رسول الله خاتم النبيين»، وخلق الله الجنة التي أسكنها آدم وحواء، فكتب اسمي على الأبواب والأوراق والقباب، والخيام، وآدم بين الروح والجسد، فلما أحياه الله تعالى، نظر إلى

---

(١) هو الإمام العلامة محمد بن موسى، أبو عبد الله شمس الدين ابن النعمان، من أئمة السادة المالكية، مراكشي، الأصل تلمساني، ثم من أهل فاس، وقيل في نسبه المزالي الإشبيلي الهنتاني، من أجلّ كتبه: «مصباح الظلام في المستغيثين بخير الأنام» عليه أفضل الصلاة والسلام، مخطوط في شستر بيتي ٣٦٧٧، «أعلام الأجناد والعباد أهل الاجتهاد بفضل الرباط والجهاد» ذكره في الأعلام ـ الزركلي ١١٨/٧.

(٢) في سبل الهدى والرشاد ذكره عن ميسرة الضبي رضي الله عنه، وكذا في المواهب اللدنية للإمام القسطلاني قال: هذا لفظ رواية أحمد ٥٩/٥، ورواه البخاري في تاريخه، وأبو نعيم في الحلية، وصححه الحاكم. انظر: سبل الهدى والرشاد ٨٦/١، والمواهب اللدنية ٥٨/١ و٥٩.

العرش؛ فرأى اسمي؛ فأخبره تعالى: إنه سيد ولدك. فلما غرهما الشيطان، تابا واستشفعا باسمي إليه»[1].

وأخرج البيهقي في «دلائله» من حديث عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن جده، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما اقترف آدم الخطيئة، قال: يا رب أسألك بحق محمد لما غفرت لي، فقال الله عز وجل: يا آدم!!، وكيف عرفت محمداً ولم أخلقه؟، قال: لأنك يا رب لما خلقتني بيدك ونفخت فيَّ من روحك، رفعت رأسي فرأيت على قوائم العرش مكتوباً «لا إله إلا الله محمد رسول الله»؛ فعلمت أنك لم تضف إلى اسمك إلا أحب الخلق إليك، فقال الله عز وجل: صدقت يا آدم، إنه لأحب الخلق إلي، وإذ سألتني بحقه فقد غفرت لك ولولا محمد ما خلقتك»[2].

---

(١) رواه ابن الجوزي بسند جيد لا بأس به عن ميسرة رضي الله عنه. «سبل الهدى والرشاد ١/٨٦».

(٢) البيهقي ـ دلائل النبوة ٥/٤٨٩. ورواه الحاكم وصححه، وذكره الطبراني وزاد فيه: وهو آخر الأنبياء من ذريتك.

قال الإمام الزاهد الشيخ ابراهيم الرقي رحمه الله تعالى: لو لم يتب عليه لبقي هو وذريته في دار السخط أبد الأبد. فما ظنك برجل واحد شمل العالمين كلهم بركته، حتى صولح به المتمردون ورزق به المحرومون، وجبر به المنكسرون، وأنقذ به المعذَّبون، ومن العجب أن ننتظر شفاعته في القيامة وقد سبقت شفاعته فينا وفي أبينا من أول دنيانا، فهو مظهر الباطن والظاهر، مبارك الأول والآخر.

ورحم الله سيدي علي بن أبي الوفا نفعنا الله تعالى بهم وأمدنا بإمداداتهم حيث يقول شعراً:

سكن الفؤاد فعش هنيئاً يا جسد ... هذا النعيم هو المقيم إلى الأبد
روح الوجود حياة من هو واحد ... لولاه ما تم الوجود لمن وجد
عيسى وآدم والصدور جميعهم ... هم أعين هو نورها لما ورد
لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سجد
أو لو رأى النمروذ نور جبينه ... عبد الجليل مع الخليل وما عند
لكن جمال الله جل فلا يرى ... إلا بتوفيق من الله الصمد

قال البيهقي: تفرد به عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، من هذا الوجه عنه، وهو ضعيف[1] والله أعلم.

وذكره الطبراني: وزاد فيه: «وهو آخر الأنبياء من ذريتك».

وذكر السمرقندي ومكي وغيرهما: «أن آدم عند معصيته قال: اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي»[2].

ويروى: «تقبل توبتي. قال الله: من أين عرفت محمداً؟ قال: رأيت في كل موضع من الجنة مكتوباً: «لا إله إلا الله محمد رسول الله»[3].

وفي رواية: «محمد عبدي ورسولي»، فعلمت أنه أكرم خلقك عليك؛ فتاب الله عليه وغفر له. قال القاضي: هذا تأويل عند من تأول قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[4].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: اختصم ولد آدم عليه السلام؛ فقال بعضهم: أبونا آدم أكرم الخلق على الله، خلقه بيده، وأسجد له ملائكته، وقال بعضهم: جبريل أكرم الخلق على الله؛ فخرج آدم عليه السلام فقال: فيم أنتم؟ فأخبروه، فقال: يا بني إن الله عز وجل لما نفخ فيّ الروح فأول ما فتح مني عيناي، رأيت على العرش مكتوباً» لا إله إلا الله محمد رسول الله «فلما وقعت في الخطيئة قلت: يا رب!

---

(١) ضعّفه يحي بن معين، والإمام أحمد، والنسائي. انظر: الميزان٢/ ٥٦٤، وذكره العقيلي في «الضعفاء الكبير» ٢/ ٣٣١.

(٢) قال الإمام القسطلاني في المواهب: وروي أنه لما خرج آدم من الجنة رأى مكتوباً على ساق العرش وعلى كل موضع في الجنة اسم محمد صلى الله عليه وسلم مقروناً باسمه تعالى، فقال: يا رب، هذا محمد من هو؟ فقال الله: هذا ولدك الذي لولاه ما خلقتك، فقال: يا رب بحرمة هذا الولد ارحم هذا الوالد. فنودي: يا آدم!! لو تشفعت إلينا بمحمد في أهل السماوات والأرض لشفعناك. ذكره في المواهب ١/ ٨٢.

(٣) المواهب اللدنية للعلامة القسطلاني ١/ ٨٢.

(٤) سورة البقرة ـ الآية ٣٧.

أسألك بحق محمد لما تبت علي. فتاب علي، محمد أكرم الخلق على الله عز وجل»[1].

وأنشد أبو الحسن علي بن هارون[2] في هذا المعنى من قصيدة له:

من نور رب العرش كون نوره ... والناس في خلق التراب سواء
خرت له شرفات كسرى هيبة ... وليوم مولده اضمحل بناء
وبه توسل آدم من ذنبه ... وتشفعت بمقامه حواء
وبه توسل نوح في طوفانه ... وأجيب حين طغى عليه الماء
وبه دعا إدريس فارتفعت له ... عند الإجابة رتبة علياء
وبه استجيب دعا أيوب وقد ... أودى به عند المصاب بلاء
وبه نجا من بطن حوت يونس ... لما دعا وتجلت الظلماء
وبه تمكن يوسف في مصر ... من بعد ما أودت به الضراء
وبه محا الإله خطا داود ... وله استجيب تضرع ودعاء
وبه سليمان استجار فعاد عن ... لبث لملك أبيه كيف يشاء
وبه الخليل نجا من النار التي ... أذكى ضرام لهيبها الأعداء
وبه الذبيح فدي بذبح جاءه ... فله كما شهد الكتاب فداء
بمحمد فاز الكليم بطوره ... لما أتاه من الإله نداء

---

(١) روى ابن أبي الدنيا عن سعيد بن جبير رضي الله تعالى عنه قال: «اختصم ولد آدم: أي الخلق أكرم على الله تعالى؟، فقال بعضهم: آدم خلقه الله بيده، وأسجد له ملائكته، وقال آخر: بل الملائكة الذين لم يعصوا الله. فذكروا الكلام لآدم ـ عليه السلام ـ فقال: لما نفخ فيّ الروح لم تبلغ قدمي، فاستويت جالساً فبرق العرش فنظرت فيه: محمد رسول الله. فذاك أكرم الخلق على الله عز وجل». ذكره في سبل الهدى والرشاد ١/ ٨٦.

(٢) علي بن هارون بن علي بن يحيى أبو الحسن، من آل المنجم، كان راوية للشعر، من ندماء الخلفاء، مولده ووفاته ببغداد، له كتب منها «شهر رمضان»، ألفه للراضي العباسي، و«الرد على الخليل» في العروض، و«النوروز والمهرجان» و«الفرق بين إبراهيم بن المهدي وإسحاق الموصلي في الغناء» توفي سنة ٣٥٢ من الهجرة. انظر الأعلام للزركلي ٥/ ٣٠.

وبـبـعـثـه الـتـوراة يـشـهـد لـفـظـهـا بـالـمـصـطـفـى وبـهـا عـلـيـه ثـنـاء
وكـذلـك يـحـي عـاد مـعـصـومـاً بـه ولـه عـن الـذنـب الـدنـي إبـاء
وبـه اسـتـجـارت مـريـم فـي حـمـلـهـا فـأجـاء عـن لـبـس وزال عـنـاء
ويـبـسـره عـيـسـى تـوسـل فـانـثـنـى مـن شـأنـه بـيـن الـورى الإحـيـاء

وللإمام زكي الدين عبد العظيم بن أبي الإصبع[1] في قصيدة له شعراً:

ونـجـى أبـاه آدم مـن خـطـيـئـة لـه أصـبـحـت عـن جـنـة الـخـلـد تـبـعـد
ونـجـى نـوحـاً فـي الـسـفـيـن بـنـوره غـداة الـتـقـى الـمـاآن والـمـوج مـزبـدا
وقـد سـال الـلـه الـعـظـيـم خـلـيـلـه بـه [..] والـنـار وهـي تـوقـد
فـصـارت عـلـيـه الـنـار بـرداً بـيـمـنـه ونـمـروذ مـع مـا رأى مـتـمـردا

ولصالح بن الحسين من قصيدة له شعر:

وكان له الفردوس في زمن الرضا وأثواب شمل الأنس محكمة السدا
يشاهد في عدن ضياء مشعشعاً يزيد على الأنوار في الضوء والهدى
فقال إلهي ما الضياء الذي أرى جنود السما تغشوا إليه ترددا
فقال نبي خير من وطيء الثرا وأفضل من في الخير راح واغتدى
تخيرته من قبل خلقك سيداً وألبسته قبل النبيين سؤددا
وأعددته يوم القيامة شافعاً مطاعاً إذا ما [...] وحسدا
فيشفع في إنقاذ كل موحد ويدخله جنات عدن مخلدا
وإن له أسماء سميته بها ولكنني أحببت منها محمدا
بحرمة هذا الاسم والزلفة التي خصصت لها دون الخليقة أحمدا
أقل عثراتي يا إلهي فإن لي عدواً جار في القصد واعتدى

---

(١) عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني، البغدادي، ثم المصري، شاعر من العلماء بالأدب، مولده ووفاته بمصر، له تصانيف حسنة، منها «بديع القرآن» في أنواع البديع الواردة في الآيات الكريمة، و«تحرير التحبير» و«الخواطر السوانح في أسرار الفواتح» أي فواتح القرآن، و«البرهان في إعجاز القرآن». انظر: الأعلام للزركلي ٤/ ٣٠.

فتاب عليه ربه وحماه من جناية ما أخطا به أو تعمدا

ولشيخ المسلمين أبي عبد الله بن النعمان قدس الله روحه، ونور ضريحه:

شفيعي إلى ربي محمد لقد فاز من كان الشفيع له غدا
كما شفع الله النبي لآدم به في جنان الخلد مما به غدا
فنادى إلهي إنني لك لائذ بجاه رسول الله خلاً وسيدا
تقبل إليه توبتي بالذي به ختمت بإرسال النبي أحمدا
فتاب عليه ربه إذ لجا له جناية ما أخطى به أو تعمدا

قال: ويشهد لما قلناه أن موسى وعيسى عليهما السلام بشرا به أمتهما، وأجده في التوراة والإنجيل، كما أخبر الله تعالى في كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، فكانا يتوسلان به، وكذلك كل نبي مفتقر في الآخرة إليه. وأنشد:

جميع الورى في الحشر تحت لوائه وأعناقهم طراً إليه تعرج

قال: ولقد أحسن الإمام ناصر الدين بن المنير حيث قال في بعض خطبه: «وأصلي على نبيك الذي بعثته خاتماً للرسل وإن كان في حلبة مسابقتهم مجلياً، ونعته بسيد ولد آدم فكان كل نبي مصلياً، وعليه مصلياً».

فصل

في ما جاء في المستغيثين به صلى الله عليه وسلم عند القحط وعدم الإمطار وما جاء في ذلك في صحيح الأخبار

روينا في الصحيحين عن أنس رضي الله عنه أن رجلاً دخل المسجد يوم الجمعة من باب كان نحو دار القضاء ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً ثم قال: يا رسول الله!! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادع الله يغثنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، ثم قال: «اللهم أغثنا، اللهم أغثنا، اللهم أغثنا»، قال أنس فلا والله ما نرى في السماء من سحاب ولا قزعة

وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار. قال: فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ثم أمطرت قال: فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً. قال: ثم دخل رجل من ذلك الباب في الجمعة المقبلة، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم يخطب، فاستقبله قائماً، فقال: يا رسول الله!!! هلكت الأموال وانقطعت السبل، فادع الله يمسكها عنا. قال: فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه ثم قال: «حوالينا ولا علينا، اللهم على الآكام والظراب، وبطون الأودية، ومنابت الأشجار» قال: فأقلعت، وخرجنا نمشي في الشمس. قال شريك: فسألت أنس بن مالك: أهو الرجل الأول؟. قال: لا أدري[1].

فصل

في تفسير غريب هذا الحديث وما يتعلق به من حيث المعنى

قوله: «دار القضاء» سميت بذلك لما بعث في قضاء دين عمر بن الخطاب الذي كتب على نفسه لبيت مال المسلمين، أوصى أن يباع فيه ماله، ولما عجز استعان ببني عدي، ثم قريش، القصة إلى آخرها..

و «الأموال» جمع مال. وألفه منقلبة عن واو، بدليل ظهورها في الجمع، وليس له جمع كثرة، وجمع، وإن كان جنساً لاختلاف أنواعه، وهو: كل ما يتملك وينتفع به، والمراد هنا مال مخصوص، وهو كل ما يتضرر بعدم المطر؛ من حيوان ونبات، والله أعلم.

وقوله: «انقطعت السبل»: واحدها سبيل، وهو هنا الطريق، يذكّر ويؤنث، فمن التذكير قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ

---

(1) رواه البخاري في ١٥ ـ كتاب الاستسقاء «٢٤» باب من تمطر في المطر حتى يتحادر على لحيته، فتح الباري «٢/ ٥١٩»، ومسلم في: ٩ ـ باب صلاة الاستسقاء، «٢» باب الدعاء في الاستسقاء، الحديث «٩»، ٢/ ٦١٤. والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ١٤٠، بألفاظ مختلفة لكنها متقاربة.

سَبِيلًا﴾[1]، ومن التأنيث قوله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾[2].

وانقطاعها إما لعدم المياه التي يعتاد المسافرون ورودها، وإما باشتغال الناس وشدة القحط عن الضرب في الأرض، والله أعلم.

قوله: «**فادع الله أن يغيثنا**»: وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهم أغثنا**»: هكذا هو في جميع نسخ مسلم، أغثنا بالألف، ويغيث بضم الباء، من أغاث يغيث، رباعي. والمشهور في كتب اللغة إنما يقال في المطر: غاث الله الناس والأرض يغيثهم، بفتح الياء: أنزل الله المطر. وقد تأوله القاضي عياض كما في إكماله على أن هذا المذكور في الحديث بمعنى المغوثة وليس من طلب الغيث. قال: وإنما يقال في طلب الغيث: اللهم غثنا وارزقنا غيثاً. قال: ويحتمل أن يكون من طلب الغيث، أي: هب لنا غيثاً وارزقنا، كما يقول: سقاه الله وأسقاه، أي جعل له سقيا، على لغة من فرق بينهما.

قلت: ويجوز فيهما الرفع والجزم؛ فالرفع على استئناف، والجزم على جواب ادع، وهو الأصل.

وقوله: «**فرفع النبي صلى الله عليه وسلم يديه وقال: اللهم أغثنا**»: فيه جواز الاستسقاء في خطبة الجمعة، والدعاء بذلك، وكون ذلك على غير سنة الاستسقاء إذ ليس فيه تحويل عن القبلة، ولا تحويل رداء، والظاهر أن هذا مجرد دعاء للسقي كسائر الأدعية للمسلمين في الخطبة.

قال صاحب الإكمال: وبهذا اعتبر الحنفي أنه لا صلاة للاستسقاء، وفاته معرفة تلك السنن المتقدمة.

---

(١) سورة الأعراف ـ الآية ١٤٦.

(٢) سورة يوسف ـ الآية ١٠٨.

قال: وفيه جواز الاقتصار على الاستسقاء يوم الجمعة في خطبتها، دون البروز، وهو معنى قول الشافعي رحمه الله تعال، ومن أجازه بغير صلاة، وبه احتج بعض السلف؛ إذ الخروج إليها بعد الزوال، إذ كان دعاء النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الحال يوم الجمعة، والناس كلهم على خلافه، وأنها بكرة.

قلت: انظر قوله «والناس كلهم على خلافه» والخلاف في ذلك موجود عن ابن شعبان وغيره، وقد ذكرتها في «رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام».

وقوله صلى الله عليه وسلم: **«اللهم أغثنا» ثلاثاً**: فيه استحباب تكرار الدعاء، وقد جاء في بعض الأحاديث: «إن الله تعالى يحب الملحّين في الدعاء»[1]؛ فالأولى أن لا يقتصر على واحدة.

وقوله: **«فلا والله ما نرى في السماء سحاب ولا قزعة»**: السحاب: جنس واحده سحابه، وهي الغيم، ويجمع أيضاً على سُحُب وسحايب.

و «القزعة»: بفتح القاف والزاي، وهي القطعة من السحاب [دقيقة] وجمعها: قزع، كقصبة وقصب. قال أبو عبيدة: وأكثر ما يكون ذلك في الخريف[2].

وقوله: **«وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار»**: يحتمل والله أعلم ليحمل الناس على تلك الجهة لشدة الجدب، وطلب الكلأ والخصب.

و «سَلْع»: جبل مشهور بقرب المدينة، بفتح السين وسكون اللام.

قال في البخاري: هو الجبل الذي بالسوق.

---

(١) رواه ابن عدي، والبيهقي بسندهما عن عائشة رضي الله عنها ورمز السيوطي لضعفه في الجامع الصغير ١/ ٢٥١ الحديث رقم ١٨٧٦. وذكره في الفتح ١١/ ٩٥، والدر المنثور ٥/ ٣٥٦.

(٢) وقيل: هي السحاب المتفرق.

وقوله: «مثل الترس»: قال صاحب الإكمال: قال ثابت لم يرد والله أعلم في قدره، ولكن في استدارتها وهو أجمل السحاب عند العرب.

وقوله: «ثم أمطرت»، قيل: إن مطرت ثلاثياً: في الرحمة، وأمطرت رباعياً: في النقمة، قال الله تعالى: ﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ﴾[1]، وقيل: هما سواء بدليل قوله تعالى: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾[2] اسم فاعل من أمطر وهم إنما زعموا مطر الرحمة وهذا هو المعروف في كلام العرب أي التسوية بينهما.

و «السبت» القطعة من الدهر. قال: سابت والناس يحملونه على أنه أراد من سبت إلى سبت، وإنما هو القطعة من الزمان، يقال: سبت من الدهر، وسبته، وقد رواه الداوردي سبتاً، وفسره أي ستة أيام، أي من الدهر، أي من الجمعة إلى الجمعة، قالوا: وهو تصحيف.

قلت: السبت من الألفاظ المشتركة؛ فالسبت: الدهر. والسبت: الراحة. والسبت: حلق الرأس. والسبت: إرسال الشعر عن العقص. والسبت: ضرب من سير الإبل. قال [أبو] عمرو: وهو العنق.

وأنشد الجوهري لحميد بن ثور:

ومطوية الأقراب أما نهارها فسبت وأما ليلها فذميل

والسبت: القطع. وسبت علاوته سبتاً: إذا ضرب عنقه. قيل: ومنه سمي يوم السبت لانقطاع الأيام عنده. قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ﴾[3]. والسبت: قيام اليهود بأمر سبتها، وقيل: لأن الله تعالى أمر بني إسرائيل بقطع الأعمال فيه، والجمع: أسبت، وسبوت.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «حوالينا ولا علينا»: هكذا في النسخ من كتاب العمدة لعبد الغني، وهكذا رويناه بإثبات الألف بعد الواو، وجاء فيه

---

(١) سورة هود ـ الآية ٨٢.
(٢) سورة الأحقاف ـ الآية ٢٤.
(٣) سورة الأعراف ـ الآية ١٦٣.

أيضاً: حولنا بغير ألف، وكلاهما صحيح فيه جواز الاستصحاء كما استحب الاستسقاء.

وفيه: معجزة ظاهرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في إجابة دعائه في الحال، حتى خرجوا يمشون في الشمس.

وفيه: حسن أدبه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم في الدعاء إذ لم يسأل رفع المطر من أصله، بل سأل رفع ضرره، وكشفه عن البيوت والمرافق والطرق بحيث لا يتضرر به ساكن ولا ابن سبيل، وسأل بقاءه في موضع الحاجة، بحيث يبقى نفعه وخصبه، وهي بطون الأودية والآكام والضراب.

وقوله عليه الصلاة والسلام: «**اللهم على الآكام والظراب وبطون الأودية**»:

أما الآكام: فيقال فيه بالفتح والمد، وإكام بالكسر، ويقال أيضاً: أكم، وأُكم، بالفتح والضم، و«**الأكمة**»: الموضع الغليظ الذي لا يبلغ أن يكون حجراً يرتفع على ما حوله. وقال الخليل: هو تل من حجر واحد. وقال الثعالبي: الأكمة ما علا من الرابية.

و «**الظراب**» الروابي الصغار، واحدها ظَرِب، مثل كتف. ومنه الحديث: «فإذا حوت مثل الظرب».

و «**الأودية**» جمع واد. قالوا: وليس في كلام العرب جمع فاعل على أفعلة إلا واد وأودية؛ فهو من النوادر.

وقوله: «**فأقلعت**»: هكذا في أكثر نسخ مسلم، وفي بعض النسخ المعتمدة: فقلعت، وهما بمعنى واحد.

وقوله: «**أهو الرجل الأول؟ قال: لا أدري**»: قد جاء في رواية البخاري وغيرها: أنه الأول، وقوله: لا أدري، قد يقال: لا أدرِ بحذف

الياء تخفيفاً لكثرة الاستعمال، كما قالوا: لم يكُ، فحذفوا النون أيضاً لكثرة الاستعمال، والله أعلم.

وخرج البيهقي في دلائله: بسنده إلى يزيد بن عبيد السلمي قال: لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أتاه وفد بني فزارة بضعة عشر رجلاً، فيهم خارجة بن حصن، والحر بن قيس وهو أصغرهم، ابن أخي عيينة ابن حصن، فنزلوا في دار رملة بنت الحارث من الأنصار، وقدموا على إبل صغار عُجاف وهم مسنتون، فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مقرِّين بالإسلام، فسألهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بلادهم؟؛ فقالوا: يا رسول الله!! أسنتت بلادنا، وأجدب جنابنا، وحَرَبَت عيالنا، وهلكت مواشينا، فادع ربك أن يغيثنا، وتشفع لنا إلى ربك ويشفع ربك إليك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: سبحان الله!! ويلك، أنا شفعت إلى ربي فمن ذا الذي يشفع ربنا إليه؟ لا إله إلا الله العظيم، وسع كرسيه السماوات والأرض وهو يئط من عظمته وجلاله كما يئط الرجل الجديد.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله ليضحك من شعثكم وأذاكم، وقرب غياثكم، فقال الأعرابي: أو يضحك ربنا يا رسول الله؟، قال: نعم. فقال الأعرابي: لن نعدم يا رسول الله من رب يضحك خيراً، فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قوله، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر وتكلم بكلمات، ورفع يديه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يرفع يديه في شيء من الدعاء إلا في الاستسقاء، فرفع يديه حتى رئي بياض إبطيه، وكان مما حفظ من دعائه: «اللهم اسق بلدك وبهيمتك، وانشر رحمتك، وأحي بلدك الميت، اللهم اسقنا غيثاً مغيثاً مريئاً مريعاً، طبقاً واسعاً عاجلاً غير آجل، نافعاً غير ضار، اللهم سقيا رحمة لا سقيا عذاب، ولا هدم ولا غرق ولا محق، اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الأعداء». فقام أبو لبابة بن عبد المنذر، فقال: يا رسول الله!! إن التمر في المرابد، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

«اللهم اسقنا»، فقال أبو لبابة: التمر في المرابد - ثلاث مرات - فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اللهم اسقنا حتى يقوم أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره»، قال: فلا والله ما في السماء من قزعة ولا سحاب، وما بين المسجد وسَلْعٍ من بناء ولا دار، فطلعت من وراء سلع سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت وهم ينظرون ثم أمطرت، فو الله ما رأوا الشمس ستاً، وقام أبو لبابة عرياناً يسد ثعلب مربده بإزاره لئلا يخرج التمر منه.

فقال الرجل: يا رسول الله!! يعني الذي سأله أن يستسقي لهم -: هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فصعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المنبر فدعا، ورفع يديه مداً، حتى رئي بياض إبطيه، ثم قال: «اللهم حوالينا ولا علينا، على الآكام والظراب، وبطون الأودية ومنابت الشجر»، فانجابت السحابة عن المدينة كانجياب الثوب[1].

فصل
في من استغاث به صلى الله عليه وسلم من الجوع

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء أبو سفيان بن حرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغيث من الجوع، لأنهم لم يجدوا شيئاً يأكلونه حتى أكلوا العلهز[2] بالدم، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ ﴿٧٦﴾﴾[3]، قال: فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى فرج عنهم[4].

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي ٦/١٤٣و١٤٥. ونقله عنه ابن كثير في البداية والنهاية ٦/٩١ - ٩٢.

(٢) العلهز شيء كانوا يتخذونه في سني المجاعة، يخلطون فيه الدم بأوبار الإبل، ثم يشوونه بالنار ويأكلونه.

(٣) سورة المؤمنون - الآية ٧٦.

(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٤/٨١.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نزل في غزوة غزاها؛ فأصاب أصحابه جوع وفنيت أزوادهم، فجاؤوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون ما أصابهم، ويستأذنونه في أن ينحروا بعض رواحلهم، فدعا بفضل أزوادهم؛ فمنهم الآتي بالقليل، ومنهم الآتي بالكثير، فجعلون في شيء ثم دعا عليه ما شاء الله أن يدعو، ثم قسمه بينهم، فما بقي في القوم أحد إلا ملأ ما كان معه من وعاء، وفضل فضل. فقال عند ذلك: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، لا يلقى الله بهما عبد غير شاك أدخله فيهما، إلا دخل الجنة»[1].

وفي صحيح مسلم من حديث جابر الطويل: شكا الناس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الجوع؛ فقال: عسى الله أن يطعمكم، فأتينا سيف البحر، فزخر البحر[2] فألقى دابة، فأورينا[3] على شقها النار، فاطَّبخنا واشتوينا، وأكلنا حتى شبعنا»، الحديث[4].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه في كتاب الإيمان ١٠، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، الحديث ٤٤، ١/ ٥٥ ـ ٥٦. ولفظه: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسير فنفدت أزواد القوم، قال: حتى همّ أحدهم بنحر بعض حمائلهم، فقال عمر رضي الله عنه: يا رسول الله!! لو جمعت ما بقي من أزواد القوم فدعوت الله عليها، قال: ففعل، قال: فجاء ذو البر ببره، وذو التمر بتمره، قال مجاهد: وذو النوى بنواه، قال: وما كانوا يصنعون بالنوى؟ قال: يمصونه ويشربون عليه من الماء. قال: فدعا عليها حتى ملأ القوم أزوادهم، قال: فقال عند ذلك: «أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله لا يلقى الله بهما عبد غير شاك فيهما إلا دخل الجنة». وعنه البيهقي في دلائله ٦/ ١٢٠.

(٢) أي علا موجه.

(٣) أي أوقدنا.

(٤) رواه مسلم في صحيحه ـ «٥٣» كتاب الزهد الرقائق ـ من حديث جابر الطويل ـ الحديث رقم «٧٤».

قلت: السِّيف بالكسر: ساحل البحر، والجمع أسياف، والسيف أيضاً ما كان ملتزقاً بأصول السعف، وكالليف، وليس به. قاله الجوهري.

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض بني سهم ممن أسلم بخيبر، فقالوا: يا رسول الله!! لقد جهدنا، وما بيدنا شيء، فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اللهم إنك قد علمت حالهم، وأنهم ليست لهم قوة، وليس بيدي ما أعطيهم إياه، فافتح عليهم أعظم حصن بها غنىً أكثره طعاماً وودكاً. فغدا الناس ففتح الله عليهم حصن الصعب بن معاذ، وما بخيبر حصن أكثر طعاماً وودكاً منه، فلما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح، وحاز من الأموال ما حاز، انتهوا إلى حصينهم الوطيح والسلالم، وكان آخر حصون خيبر افتتاحاً فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، بضع عشرة ليلة[1].

وروي عن الشريف أبي محمد عبدالسلام بن عبد الرحمن الحسني القابسي أنه قال: أقمت بمدينة النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة أيام، لم أستطعم فيها، فأتيت منبره صلى الله عليه وسلم، فركعت ركعتين، ثم قلت: يا جدي جعت وأتمنى عليك ثريداً. ثم غلبتني عيناي، فبينما أنا نائم وإذا برجل يوقظني، فانتبهت؛ فرأيت معه قدحاً من خشب فيه ثريد ولحم وسمن، وقال لي: كل، قلت: من أين هذا؟، قال: إن صغاري لهم ثلاث أيام يتمنون هذا الطعام، فلما كان اليوم فتح لي بشيء عملته به، فنمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم وهو يقول: إن أحد إخوانك تمنى هذا الطعام فأطعمه منه.

وهذا باب واسع اقتصرنا منه على هذه النبذة، والله أعلم.

---

(١) أخرجه ابن هشام في السيرة ٣/ ٢٨٧، وعنه البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/ ٢٢٣.

فصل

في من استغاث به صلى الله عليه وسلم من شدة العطش

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر؛ فأصابنا عطش، فجهشنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فوضع يده في تور من ماء بين يديه، قال: فجعل الماء ينبع من بين أصابعه كأنه العيون[١]، قال: «خذوا بسم الله» فشربنا، فوسعنا وكفانا، ولو كنا مائة ألف لكفانا، قلت لجابر: كم كنتم؟ قال: ألفاً وخمسمائة»[٢].

هكذا أخرجه البيهقي في دلائله.

وخرج البخاري، وقال فيه: قال جابر: عطش الناس يوم الحديبية. وأخرجه ابن شاهين في دلائله، من حديث جابر، وقال: أصابنا عطش يوم الحديبية... الحديث.

---

(١) وهو أشرف المياه كما قال البلقيني في التدريب، قال: قال أبو العباس القرطبي: قصة نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم تكررت منه في عدة مواطن في مشاهد عظيمة، ووردت عنه من طرق كثيرة يفيد عمومها العلم القطعي المستفاد من التواتر المعنوي، قال: ولم يسمع بمثل هذه المعجزة العظيمة من غير نبينا صلى الله عليه وسلم، حيث نبع الماء من بين عظمه وعصبه ولحمه ودمه. ونقل ابن عبد البر عن المزني أنه قال: نبع الماء من بين أصابعه صلى الله عليه وسلم أبلغ في المعجزة من نبع الماء من الحجر حيث ضربه موسى عليه السلام، بالعصا، فتفجرت منه الماء، لأن خروج الماء من الحجارة معهود، بخلاف خروجه من بين اللحم والدم.

(٢) أخرجه البخاري ٦٤ كتاب المغازي، ٣٥ باب غزوة الحديبية، الحديث ٤١٥٢، فتح الباري ٧/ ٤٤١، عن يوسف بن عيسى، عن محمد بن فضيل، وفي: ٦١ كتاب المناقب ٢٥، باب علامات النبوة في الإسلام، الحديث ٣٥٧٦، عن موسى بن إسماعيل، عن عبد العزيز بن مسلم، كلاهما عن حصين عن سالم، عن جابر. فتح الباري ٦/ ٥٨١. وذكره البيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ١١.

قال الجوهري: الجهش أن يفزع الإنسان إلى غيره، وهو مع ذلك يريد البكاء، كالصبي يفزع إلى أمه وقد تهيأ للبكاء، يقال: جهش إليه يجهش، وذكر باقي الحديث، قال: وكذلك الإجهاش، يقال: جَهِشَت نفسي، وأجهشت، أي: نهضت[1].

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة تبوك، فقال المسلمون: يا رسول الله!! عطشت دوابنا وإبلنا، فقال: عليّ من فضلة ماء، فجاء رجل بشيء من الماء في شيء، فقال: هاتوا صحفة، فصب الماء، ثم وضع راحته في الماء، قال: فرأيتها تخلل عيوناً بين أصابعه، قال: فسقينا إبلنا ودوابنا، وتزودنا، فقال: أكفيتم؟، فقالوا: نعم اكتفينا يا نبي الله، فوضع يده فارتفع الماء[2].

وذكر مسلم في صحيحه من حديث أبي قتادة الطويل: أنه قال: احفظ علي ميضأتك، وذكر أن الناس انتهوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، حين امتد النهار، وحمي كل شيء، وهم يقولون: يا نبي الله هلكنا عطشاً، فقال: لا هلك عليكم.

قال: ودعا بالميضأة؛ فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب، وأبو قتادة يسقيهم، فلما رأى الناس ما في الميضأة تكابوا عليها[3]، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أحسنوا الملأ[4] كلكم سيروى.

---

(١) انظر: الصّحاح للجوهري - ٣/ ٩٩٩ مادة «جهش».

(٢) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ١٠.

(٣) أي لم يتجاوز رؤيتهم الماء في الميضأة تكابهم، أي تزاحمهم عليها، مكباً بعضهم على بعض.

(٤) قوله: أحسنوا الملأ: الملأ الخلق والعشرة، يقال: ما أحسن ملأ فلان أي خلقه وعشرته، وما أحسن ملأ بني فلان أي عشرتهم وأخلاقهم، ذكره الجوهري وغيره. وأنشد الجوهري:

تنادوا يال بهثة إذ رأونا ... فقلنا: احسني ملأ جهينا

قال: ففعلوا، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصب، وأسقيهم حتى ما بقي غيري وغير رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال: ثم صب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لي: اشرب، فقلت: لا أشرب حتى يشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: إن ساقي القوم آخرهم شرباً، قال: فشربت وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فأتى الناس الماء جامّين[(١)] رواء[(٢)].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: خرجنا إلى تبوك في قيظ شديد، فنزلنا منزلاً فأصابنا فيه عطش، حتى ظننا أن رقابنا ستقطع، حتى إن كان الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن أن رقبته ستقطع، حتى إن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده، فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: يا رسول الله!! إن الله قد عودك في الدعاء خيراً، فادع الله لنا. قال: أتحب ذلك؟. قالوا: نعم. فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يديه، فلم يرجعهما حتى قالت السماء، فأظلت، ثم سكبت، فملؤوا ما معهم، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جاوزت العسكر[(٣)].

قال الحافظ المنذري: أخرجه البيهقي في دلائله كذلك.

واشتد العطش بالحسن والحسين رضي الله عنهما وعن أبيهما وأمهما، فجعلا يبكيان، فأعطاهما النبي صلى الله عليه وسلم لسانه فمصاه، فسكتا.

---

(١) قوله جامّين رواء: أي مستريحين قد رووا من الماء، والرواء: ضد العطاش، جمع ريان، ورياً مثل عطشان وعطشى.

(٢) أخرجه مسلم في ٥ ـ كتاب المساجد، ومواضع الصلاة، ٥٥ باب قضاء الصلاة الفائتة، واستحباب تعجيل قضائها، الحديث ٣١١، عن شيبان بن فروخ ١/ ٤٧٢. ورواه البيهقي في دلائل النبوة٤/ ٢٨٥.

(٣) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٦/ ١٩٤ ـ ١٩٥، وقال: رواه البزار، والطبراني في الأوسط، ورجال البزار ثقات. ورواه البيهقي في «دلائل النبوة» ٥/ ٢٣١.

وعن عمرو بن شعيب أن أبا طالب قال: كنا مع ابن أخي بذي المجاز، يعني النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأدركني العطش، فشكوت إليه، فقلت: يا ابن أخي!! عطشت، وما قلت له ذلك وأرى عنده شيئاً إلا الجزع. فثنى وركه، ثم نزل، وقال: يا عم!! عطشت؟، فقلت: نعم. فأهوى بعقبه في الأرض؛ فإذا بالماء!!. فقال: اشرب يا عم.

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن أبا بكر كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الغار، فعطش أبو بكر، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: اذهب إلى صدر الغار فاشرب. قال أبو بكر: فانطلقت إلى صدر الغار، فشربت ماء أحلى من العسل، وأبيض من اللبن، وأزكى رائحة من المسك. ثم عدت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: أشربت؟ فقلت: شربت يا رسول الله، فقال: ألا أبشرك؟، فقال: بلى، فداك أبي وأمي يا رسول الله. قال: إن الله أمر الملك الموكل بأنهار الجنة أن يخرق نهراً من جنة الفردوس إلى صدر الغار لتشرب يا أبا بكر، فقال أبو بكر: أولي عند الله هذه المنزلة؟ قال: نعم، وأفضل. والذي بعثني بالحق نبياً لا يدخل الجنة مبغضك، ولو كان له عمل سبعين نبياً.

وهذا باب واسع نقتصر منه على ما ذكروا، والله سبحانه وتعالى أعلم.

---

(١) هو العلامة بهاء الدين أبو الحسن علي بن هبة الله ابن سلامة بن المسلم بن أحمد بن علي اللخمي المصري الشافعي مسند الديار المصرية وخطيبها ومدرسها. ولد بمصر سنة تسع وخمسين وخمسمائة، وحفظ القرآن، ورحل به أبوه فسمّعه بدمشق من ابن عساكر، وببغداد من شهدة وجماعة، وقرأ القراءات على أبي الحسن البطائحي، وتفرد بزمانه، ورحل إليه الطلبة، ودرّس وأفتى، وانتهت إليه مشيخة العلم بالديار المصرية، توفي رضي الله عنه سنة تسع وأربعين وستمائة من الهجرة.

انظر: شذرات الذهب ٧/ ٤٢٥، والعبر ٥/ ٢٠٣، وغاية النهاية في طبقات القراء ١/ ٥٨٣.

فصل

في استغاثة من لاذ بقبره واشتكى إليه بفقره وضرره صلى الله عليه وسلم وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم ووالى عليه وانعم

روى أبو الحسن علي بن هبة الله[1] الشافعي فقيه مصر ومفتيها، بسنده إلى المنكدر بن محمد أن رجلاً من أهل اليمن أودع أباه ثمانين ديناراً وخرج الرجل يريد الجهاد، وقال: إن احتجت إليها فأنفقها إلى أن آتي إنشاء الله تعالى.

وخرج الرجل وأصاب أهل المدينة سنة وجهد، قال: فأخرجها أبي وأنفقها. قال: فلم يلبث الرجل أن قدم فطلب ماله، فقال له أبي عد إلي غداً. قال: وبات في المسجد متلوذاً بقبر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مرة، وبمنبره مرة، حتى كاد يضج، فإذا شخص في السواد يقول: دونك ها يا محمد!!؛ فمد يده فإذا صرة فيها ثمانون ديناراً. قال: وغدا عليه الرجل فدفعها إليه.

وعنه قال: حدثنا أبو الطاهر السلفي، حدثنا الطريف أبو علي محمد بن محمد عبد العزيز المهتدي العدل، حدثنا والدي أبو الفضل محمد قال: كان أبي يقترض مني طول الأسبوع، فأقرضه، فيجعل لي عليه المائة فأكثر، فأطالبه، فيحلف بالله إنه يوفيني يوم السبت، ففعل ذلك دفعات، فسألته من أين لك؟ فبكى، وقال: يا بني!! أجمع ختماتي فأختمها يوم الجمعة، وأجعل ثوابها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقول: يا رسول الله!!! دَيني، فيجيئني من حيث لا أحتسب يوم السبت ما أقضي به ديني.

---

(١) المَحْمَل: يكون عادة في مقدمة ركب الحاج على شكل هودج توضع فيه العديد من الصرر المحتوية على هدايا وبعض المال تقدم لقطاع الطرق المعترضين القوافل قوافل الحج حتى تمر القوافل بسلام دون أن تعترض بأذى.

وكان بعض المتصدرين في القراءات في الجامع العتيق بمصر قد حلف بالطلاق والثلاث، أنه لا يجيز أحداً يقرأ عليه القرآن مستحقاً للإجارة إلا بعشرة دنانير، فاتفق أن قرأ عليه رجل فقير، فلما أكمل سأله الإجازة، فأخبره بيمينه، فتألم خاطره، فاجتمع بأصحابه، فجمعوا له خمسة دنانير، فأتى بها إليه، فلم يأخذها، فخرج من عنده فرأى المحمل[1] يدار به، فقال: والله لا أنفقت هذه إلا في الحج، فاشترى ما يحتاجه، وسار حتى وصل إلى مكة، فلما قضى أربه منها رحل عنها إلى المدينة، فلما وصل إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «السلام عليك يا رسول الله!!»، ثم قرأ عشراً جمع فيه الأئمة السبعة، وقال: هذه قراءتي على فلان بن فلان، عنك، عن جبريل عليكما السلام، عن الله عز وجل، وقد سألت شيخي الإجازة فأبي!، وقد استغثت بك يا رسول الله في تخليصها»، ثم نام، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم، فقال له: سلّم على شيخك، وقل له: الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول لك: أجزني بلا شيء، فإن لم يصدِّقك، فقل له: بأمارة «زمراً زمراً»!!، فلما وصل الفقير إلى مصر اجتمع بشيخه، وبلَّغه الرسالة عريَّة عن الأمارة[2]، فلم يصدِّقه، فقال: بأمارة: «زمراً زمراً»، فصاح الشيخ وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق قال أصحابه: يا سيدنا ما الخبر، قال: كنت كثيراً ما تتلو القرآن فمررت يوماً على قوله: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٧٨﴾﴾[3]، فحلفت أن لا أقرأ القرآن إلا متدبرا، فأقمت لا أتجاوز من القرآن إلا اليسير مدة طويلة حتى نسيته، فكفَّرت عن يميني، وشرعت في حفظه، فحفظته، فبينما أنا أتلو ذات يوم إذ مررت على قوله عز وجل: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُم

---

(١) أي أبلغه الرسالة دون ذكر العلامة التي ذكرها له رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي قوله «زمراً زمراً».

(٢) سورة البقرة ـ الآية ٧٨.

(٣) سورة فاطر ـ الآية ٣٢.

﴿مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِٱلْخَيْرَٰتِ﴾ الآية[1]. فقلت: ليت شعري من أي الأقسام؟ ثم قلت: لست من الثاني، ولا من الثالث بيقين، فتعين أن أكون من القسم الأول، فنمت تلك الليلة فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «بشّر قراء القرآن أنهم يدخلون الجنة زمراً زمرا»، ثم أقبل على الفقير فقبّل وجهه، ثم قال: أشهدكم أني قد أجزته ليقرأ ويقرىء من شاء، أين شاء، وكل ذلك ببركة الاستغاثة بالنبي صلى الله عليه وسلم.

وحدثت عن الشيخ أبي إبراهيم[2] ذي الكرامات المستفيضة بالمغرب؛ أنه حج مع رفقة؛ فلما وصلوا إلى مكة وقضوا حجَّهم وزاروا، سافر أصحابه وتركوه، لقلة ما بيده؛ فأتى إلى النبي صلى الله عليه وسلم، واستغاث به، وقال: يا رسول الله!!! أما ترى أصحابي سافروا وتركوني؟، قال: فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في النوم؛ فقال له: اذهب إلى مكة، فإذا أتيت إلى زمزم تجد عليها رجلاً يسقي الناس فقل له: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك: احملني إلى أهلي. قال: فجئت إلى مكة، فأتيت زمزم، فلما رآني قال لي قبل أن أسأله: ترفق علي قليلاً حتى يفرغ الناس؛ فلما فرغ ودخل البيت، قال لي: ودِّع البيت، واخرجْ بنا إلى أعلى مكة؛ ففعلت، وخرجت معه أتبع أثره. فلما كان عند الصباح إذا أنا بواد فيه أشجار ومياه، فقلت: ما أشبه هذا بوادي شفشاده!، فإذا هووادي شفشاده!، فجئت إلى أهلي فأخبرتهم، فتعجبوا من ذلك، وعجب الناس، فسألوني عن الرفقة؟ فأخبرتهم أنهم تركوني عند النبي صلى الله عليه وسلم، فمنهم المصدِّق، ومنهم المكذِّب. فبعد مدة وصل رفاقي فأخبروهم الخبر، هذا أو معناه.

ولما نزل أبو عزيز قتادة المدينة ورام أخذها؛ فدخل من باب البلاط إلى باب الجديد، وتملك نصف المدينة، وجاء بعض الخدام اسمه بشري؛

---

(١) لم أعثر على ترجمته فيما لدي من مصادر، ولئن لم تذكره المصادر فإن الله تعالى يذكره، نفعنا الله به وبالصالحين.

فأخذ صبيان الكتاب، ودخل بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل العمامة في أعناقهم، فجعلوا يقولون: استجرنا بك يا رسول الله!!. ثم إن رجلين شريفاً ومولى، ردَّا العسكر إلى أن رجع عن المدينة، ولو تبع هذا وصرفت إليه العناية لانصرفت عنه العناية.

فصل
في استغاثة الأسرى ممن كان في أيد الظلمة والكفار بالنبي المختار صلى الله عليه وسلّم ومجّد وكرّم وشرّف وعظّم ووالى عليه وأنعم

ذكر الواحدي في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾[1] أنها نزلت في عوف بن مالك الأشجعي وذلك أن المشركين أسروا ابناً له، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشكا إليه، وقال: إن العدو أسر ابني، وجزعت الأم، فما تأمرني؟، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: اتق الله واصبر، وآمرك وإياها أن تستكثروا من قول «لا حول ولا قوة إلا بالله»، فقال: نعم ما أمرتنا، فجعلا يقولان ذلك؛ فغفل العدو عن ابنه، فساق غنمه وجاء بها إلى أبيه، وهي أربعة آلاف شاة[2].

وكان بالأندلس رجل صالح يعرف بكحّال، قد أسر له ولد، فخرج من بلده وهو قاصد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمر ولده، فلقيه بعض معارفه، فقال: إلى أين؟ فقال: إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، أتشفع به، فقال: **إن التشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم نافع في كل مكان**؛ فلم يفعل إلا الوصول إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلما جاء المدينة، تقدم إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأخبره بحاجته، وتوسّل به؛ فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وهو يقول: ارجع إلى

(١) سورة الطلاق ـ الآية ٢.

(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي ـ صفحة ٣٢٣ و٣٢٤، ط مكتبة المتنبي، و«دلائل النبوة» للإمام البيهقي ٦/١٠٦.

بلدك. فعاد إلى بلده، فوجد ولده قد خلَّصه الله تعالى، فسأله عن حاله؟ فقال: بينا أنا الليلة الفلانية خلَّصني الله تعالى وجماعة كثيرة [من] الأسرى، وإذا تلك الليلة: ليلة وصول والده إلى النبي صلى الله عليه وسلم.

وحكي عن الحافظ أبي الطاهر إسماعيل بن الأنماطي[1] قال: حكى لي [سمجول] ـ هكذا!! ـ الناسخ: أنه أسرته الروم، فبقي عندهم زماناً؛ ففكر في نفسه، فقال: ليس لي مال، ولا أهل يفكّوني من هذا الأسر، فما لي إلا أن أكتب ورقة أذكر فيها قصتي، وأسيّرها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فكتبت ورقة بقصة حالي، وسيَّرتها مع بعض التجار الذين كانوا في البلد الذي كنت فيه مأسوراً، وقلت له: إذا وصلت إلى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فعلِّق هذه الورقة على قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. ففعل ذلك الرجل؛

فلما كان بعد عود الناس من الحج، قدم بعض التجار إلى البلدة التي أنا مأسور بها، وطلبني من الملك، فبينما أنا ذات يوم إذ جاءني رسول الملك، واستدعاني، وأخذني، ومضى بي إليه، فلما دخلت عليه وجدت عنده رجلاً أظنه من العجم، فقال له الملك: هو هذا؟!!. قال: ما أدري. فسألني عن اسمي؟ فأخبرته، قال: اكتب خطك حتى أنظر إليه، فلما رأى خطي قال: هو هذا!، واشتراني وأخذني، وأخرجني من بلاد الكفار، فسألته ما السبب الموجب لما فعلته معي؟، قال: إني حججت هذه

---

(١) هو الحافظ تقي الدين أبو الطاهر إسماعيل بن عبد الله بن عبد المحسن المصري الشافعي. كان إماماً ثقة، حافظاً، مبرِّزاً، واسع الرواية، وعنده فقه وأدب، ومعرفة بالشعر، وأخبار الناس. ولد رضي الله عنه سنة سبعين وخمسمائة، وكانت له همة وافرة وجد واجتهاد ومعرفة كاملة، وحفظ، وفصاحة، وفقه، وسرعة فهم، واقتدار على النظم والنثر، وكان معدوم النظير في وقته. توفي رضي الله عنه سنة تسع عشرة وستمائة من الهجرة. انظر: شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي ٧/ ١٤٩، والعبر ٥/ ٧٦، وطبقات الشافعية للأسنوي ١/ ١٣٤ وما بعدها.

الحجة، وجئت إلى المدينة المنورة لزيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فلما زرته، جلست عند قبره، وقلت في نفسي: وددت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان حياً وأمرني بحاجة أقضيها له. فبينما أنا كذلك مفكراً، إذ نظرت إلى ورقة معلقة يلعب بها الهواء، فقلت في نفسي: قد رآني رأيته!! فأمرني بهذه الورقة فأخذتها، ووجدت فيها اسمك وأنت تستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم في خلاصك من الأسر، فقصدت البلد الذي ذكرت أنك فيه، فدخلته، وطلبتك من مَلِكِه؛ فلما حضرت وسألتك تحققت أنك كاتب الورقة فاشتريتك، وقلت: هذا الأمر لأجل رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فصل

في استغاثة من شكا إليه ذهاب بصره أو وجعه صلى الله عليه وسلم وشرّف وكرّم ومجّد وعظّم ووالى عليه وأنعم

روي عن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، عن عمه عثمان بن حنيف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وجاءه ضرير، فشكا إليه ذهاب بصره، فقال: يا رسول الله ليس لي قائد، وقد شق علي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ائت الميضأة فتوضأ، ثم صل ركعتين، ثم قل: «اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد صلى الله

---

(١) أخرجه الترمذي في ٤٩ كتاب الدعوات ١١٩ باب منه، الحديث ٣٥٧٨، سنن الترمذي ٥/٥٦٩، عن محمود بن غيلان، وأخرجه ابن ماجة في الصلاة، عن أحمد بن منصور بن سيار. وذكره البيهقي في دلائل النبوة ٦/١٦٦و١٦٧ بروايات مختلفة.

تنبيه: قال الإمام السبكي رضي الله تعالى عنه: اعلم أن الاستعانة والتشفع بالنبي صلى الله عليه وسلم، وبجاهه، وبركته إلى ربه تبارك وتعالى، من فعل الأنبياء عليهم السلام، وسير السلف الصالحين، واقع في كل حال، قبل خلقه وبعد خلقه، في مدة حياته الدنيوية، ومدة البرزخ، وبعد البعث، وعرصات القيامة، وذلك مما قام الإجماع عليه وتواترت به الأخبار، وإذا جاز السوال بالأعمال كما في حديث الغار الصحيح، وهي مخلوقة، فالسوال بالنبي صلى الله عليه وسلم أولى، وفي العادة أن من له عند شخص قدرٌ يتوسل به إليه في غيبته، فإنه يجيب إكراماً للمتوسل به، وقد يكون ذكر =

عليه وسلم نبي الرحمة، يا محمد!! إني أتوجه بك إلى ربي فيجلي لي بصري، اللهم شفعه فيَّ وشفعني في نفسي»، قال عثمان: فو الله ما تفرقنا ولا طال الحديث، حتى دخل الرجل وكأنه لم يكن به ضرٌّ قط(1).

قلت: وقد تقدم هذا الحديث في باب المعجزات(2)، وذكرت فيه أن بعض الناس أخبرني أنه عمي، ودعا بهذا الدعاء فأبصر.

وقد شكا إليه جماعة من أصحابه صلى الله عليه وسلم وجع أعينهم، فصحوا بريقه ونفثه.

= المحبوب أو المعظَّم سبباً للإجابة، ولا فرق في هذا بين التعبير بالتوسل، أو الاستعانة، أو التشفع، أو السجود، ومعناه: التوجه بذي الحاجة، وقد يتوجه بمن له جاه إلى من هو أعلى منه، وكيف لا يتشفع ويتوسل بمن له المقام المحمود والجاه عند مولاه، بل يجوز التوسل بسائر الصالحين، كما قاله السبكي، وإن نقل بعضهم عن ابن عبد السلام ما يقتضي أن الله تعالى يختص بتعظيم من خلقه، فينبغي أن يكون مقصوراً على نبينا صلى الله عليه وآله وسلم.

فاللهم أنا نتوسل إليك ونستشفع بحبيبك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم أن ترزقنا محبته وتؤوينا إلى جواره الكريم في الدنيا والآخرة، وأن تجعلنا من سعداء الدارين مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين يا رب العالمين، آمين، لا أرضى بواحدة حتى أضيف إليها ألف آمينا.

(1) صفحة ٣١٤ من هذا الكتاب المبارك.

(2) الخبر في سيرة ابن هشام ٣/ ٢٦، ونقله الحافظ ابن كثير في التاريخ ٤/ ٣٣ وما بعدها. ورواه البيهقي في غزوة بدر، وزاد ابن كثير: ولهذا لما وفد ولد قتادة على عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه قال له: من أنت؟ فقال له مرتجلاً:

أنا ابن الذي سالت على الخد عينه ... فردَّت بكف المصطفى أحسن الردِّ
فعادت كما كانت لأول أمرها ... فيا حسنها عيناً ويا حسن ما خدِّ

فقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه:

تلك المكارم لا قعبان من لبن ... شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وانظر أيضاً «دلائل النبوة» للإمام البيهقي ٣/ ٢٥١.

(3) أخرجه البيهقي، والطبراني، وابن أبي شيبة في المسند، وذكره عياض في الشفا ٤٥٣، وقد مر.

جاء إليه قتادة وقد وقعت عينه على وجنتيه، فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكانت أحسن عينيه[١].

ونفث صلى الله عليه وسلم في عين فديك لما ابيضت وكان لا يبصر بها شيئاً، فكان بعد ذلك يدخل الخيط في الإبرة وهو ابن ثمانين[٢].

وجاء علي رضي الله عنه وهو أرمد يوم خيبر، قد عصب عينيه ببقية برد قطري، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مالك؟ قال: رمدت بعدك!، قال: ادن مني، فتفل في عينيه، فما وجعها حتى مضى لسبيله، فكان بعد ذلك يقول: ما رمدت، ولا صدعت من يوم خيبر[٣].

وفي ذلك يقول صالح الشافعي:

وردَّ عيوناً جمة بعدما وهت ... فألبسها الرحمن نوراً مجددا
وكان علي أرمداً يوم خيبر ... فما عاد مذ داواه بالرفق أرمدا

وعن محمد بن المبارك قال: كان أبي ضريراً فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فأمرّ يده على عينيه؛ فأصبح وهو يبصر.

وعن الشيخ أبي القاسم بن يوسف الاسكندري قال: كان لي صاحب؛ فعمي فاجتمع أهل الطب عليه، فلم يجدوا له دواء، قال لي: «فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم، فتحسبت به؛ فقال: تبصر، فاستيقظت وأقمت خمسة عشر يوماً؛ فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم مرة ثانية، فقلت: وعدك يا رسول الله!، فقال: اكتحل بدم القنفذ، ومرارة الثعلب. فاستيقظت وأخذت مرارة الثعلب، وأخذت قنفذاً وذبحته، وأخذت من دمه، واكتحلت به، فرأيت النور لوقتي».

ورأيت عينيه صحيحة كأن لم يكن به ضرر قط.

---

(١) ذكره الهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/١٢٢، وقال: رواه أبو يعلى، وأحمد باختصار، ورجالهما رجال الصحيح، غير أم موسى، وحديثها مستقيم. وأورده البيهقي في «دلائل النبوة» ٤/٢١١.

فصل في من اشتكى إليه صلى الله عليه وسلم وجع الضرس والحلق، وضيق النفس

روى **البيهقي** بسنده إلى يزيد بن نوح بن ذكوان، أن النبي صلى الله عليه وسلم لَما بعث عبد الله بن رواحة مع زيد وجعفر إلى مؤتة، فقال: يا رسول الله!! إني أشتكي ضرسي آذاني، واشتد علي، فقال: ادن مني، والذي بعثني بالحق لأدعون لك بدعوة لا يدعو بها مؤمن مكروب إلا كشف كربه، فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده على الخد الذي فيه الوجع، وقال: «اللهم أذهب عنه سوء ما يجد وفحشه بدعوة نبيك المبارك المكين عندك» ـ سبع مرات ـ، قال: فشفاه الله عز وجل، قبل أن يبرح[1].

وعن الشيخ الفقيه عبد السلام بن سلطان القليبي ـ معنى لا لفظاً ـ قال: كان أخي ابراهيم به خنازير[2] في حلقه قد آلمته، فرأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، فقال له: ألا ترى ما حلَّ بي؟، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: [...][3].

وقال أيضاً: سمعت الوجيه ابن البوني بدمشق يقول: كان بوالدي ضيق نَفَس منعه من النزول من أعلى بيته، وكان الناس يقرؤون عليه، وكنت أنا مريضاً في أسفل البيت، فرأيت في النوم النبي صلى الله عليه وسلم قد جاء إلي فقدَّمت إليه الوسادة، فجلس عليها، فقلت: يا رسول الله!! إني شيخ كبير، وبه ضيق نَفَس منعه من النزول إلي، وامتنعت من الطلوع إليه، فطلع من عندي إليه، فلما كان صلاة الصبح، سمعته يتأوه

---

(١) وذكره في جمع الجوامع ٢/٧١٨، وأخرجه البيهقي، وعنه نقل العلامة النبهاني في «حجة الله على العالمين» ١/٤٢٩.والصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد» ١٠/٢٢.

(٢) قال في القاموس: الخنازير: قروح تحدث في الرقبة. «مادة خزر».

(٣) هنا انقطاع في الأصل المخطوط لم يتم الكلام.

وهو نازل في الدرج، حتى دخل علي، فقال: يا بني!! جاءني النبي صلى الله عليه وآله وسلم الليلة، فقلت له ما بنا، [وخرج] من عندي إليك، فطهَّرنا جميعاً.

فصل في من استغاث به صلى الله عليه وسلم من ذوي العاهات والأرق والنسيان

عن خارجة بن زيد [قال: قال أسامة بن زيد]: خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحجة التي حجها؛ إذا كنا ببطن الروحاء، نظر إلى امرأة تؤمه، فحبس راحلته؛ فلما دنت منه، قالت: يا رسول الله!! هذا ابني، والذي بعثك بالحق ما أفاق من يوم ولدته إلى يومي هذا. قال: فأخذه رسول الله صلى الله عليه وسلم منها؛ فوضعه ما بين صدره وواسطة

(١) وفيه: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسامة ـ وهو راوي الحديث ـ: يا أسيم! وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا دعاه رخَّمه: خذ منها الشاة، ثم قال: يا أسيم! ناولني ذراعها؛ فناولته، وكان أحب الشاة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقدمها، ثم قال: «يا أسيم! ناولني ذراعاً». فناولته؛ ثم قال: «يا أسيم! ناولني ذراعاً» فقلت: يا رسول الله ! إنما هما ذراعان وقد ناولتك، فقال: «والذي نفسي بيده لو سكت لا زلت تناولني ذراعاً ما قلت لك ناولني ذراعاً». ثم قال: يا أسيم! انظر هل ترى من خَمَرٍ لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، فقلت: يا رسول الله! قد دحس الناس الوادي فما فيه موضع، فقال: انظر هل ترى من نخل أو حجارة؟، فقلت: يا رسول الله قد رأيت نخلات متقاربات ورجَمَاً من حجارة.قال: انطلق إلى النخلات فقل لهن: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركنَّ أن تدانين لمخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقل للحجارة مثل ذلك.قال: فأتيتهن فقلت ذاك لهن، فوالذي بعثك بالحق نبياً لقد جعلت أنظر إلى النخلات يخددن الأرض خداً حتى اجتمعن، وأنظر إلى الحجارة يتقافزن حتى صرن رجَمَاً خلف النخلات، فأتيته فقلت ذاك له.قال: خذ الإداوة وانطلق، فلما قضى حاجته وانصرف، قال: «يا أسيم! عد إلى النخلات والحجارة، فقل لهنَّ: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركنَّ أن ترجعن إلى مواضعكن». دلائل النبوة ـ البيهقي ٦/ ٢٤ وما بعدها. ورواه أبو نعيم في الدلائل ٣٣٦ و٣٣٧.

الرجل، ثم تفل في فيه، وقال: اخرج يا عدو الله!، فإني رسول الله. ثم ناولها إياه؛ فقال: خذيه فلا بأس عليه.

قال أسامة: فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم حجته، انصرف حتى إذا نزل ببطن الروحاء أتته تلك المرأة بشاة قد شوتها[1] فقالت: يا رسول الله!!، أنا أم الصبي، والذي بعثك بالحق ما رابني منه شيء بعد.

الحديث بطوله[2].

وجاءته امرأة أخرى بابن لها؛ فقالت: يا رسول الله إن بابني هذا جنوناً يأخذه عند غدائنا وعشائنا، ويفسد علينا.

قال: فمسح رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه، ودعا له، فثعّ ثعّة[3] فخرج من جوفه مثل الجرو الأسود، فشفي[4].

وجاءته امرأة أخرى بابن لها قد تحول فقالت: يا رسول الله!!! أن ابني هذالم يتكلم منذ ولد. فقال: رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أدنيه، فأدنته منه، فقال: من أنا؟، فقال: أنت رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) أخرجه أبويعلى، والبيهقي، بسند حسّنه ابن حجر في المطالب العالية عن أسامة بن زيد.
وذكره العلامة النبهاني في «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» ١/ ٤٢٧.

(٢) قوله: «فثعّ ثعّة» الثعُّ: القيء، والثعّة: المرة الواحدة.
انظر: النهاية في غريب الحديث لابن الجزري ١/ ٢١٢ مادة «ثعا».

(٣) أخرجه أحمد ١/ ٢٥٤ و٢٦٨، والدارمي ١/ ١١و١٢، والطبراني، والبيهقي وأبو نعيم عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره العلامة النبهاني في «حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين» ١/ ٤٢٩، والصالحي في «سبل الهدى والرشاد ١٠/ ٢٨.

(٤) أخرجه البيهقي في «دلائل النبوة» ٦/ ١٨٢، عن محمد بن سيرين، وقال: مرسل جيد، وعنه العلامة النبهاني في حجة الله على العالمين ١/ ٤٢٩.

وجاءته امرأة بابن لها فقالت: هذا ابني وقد أتى عليه كذا وكذا، وهو كما ترى، فادع الله أن يميته!!، فقال: أدعو الله أن يشفيه، ويشب ويكون رجلاً صالحاً، ويقاتل في سبيل الله، فيقتل، فيدخل الجنة. فدعا له صلى الله عليه وسلم، فشفاه الله، وكان رجلاً صالحاً، وقاتل في سبيل الله فقتل(١).

وقال يعلى بن مرة: رأيت من النبي صلى الله عليه وسلم عجباً، خرجت معه في سفر، فنزلنا منزلاً فأتته امرأة بصبي لها به لمم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اخرج عدو الله أنا رسول الله». قال: فبرأ، فلما رجعنا جاءت أم الغلام بكبشين وشيء من أقط وسمن، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «يا يعلى!!، خذ أحد الكبشين، ورد عليها الآخر، وخذ السمن والأقط»، قال: ففعلت(٢).

وعن طاووس(٣) رضي الله عنه قال: لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم بأحد به مس، فصكَّ صدره إلا ذهب [ما به].

---

(١) أخرجه الهيثمي في «مجمع الزوائد ٩/ ٥، وعنه نقل البيهقي في «دلائل النبوة ٦/ ٢٢. والدارمي ١/ ١٠، وابن عبد البر في التمهيد ١/ ٢٢٣.

(٢) مرسلاً كما ذكره الصالحي الشامي في «سبل الهدى والرشاد» ١٠/ ٢٩.

(٣) روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله! إني أسمع منك حديثاً كثيراً أنساه، قال: ابسط رداءك، فبسطته، قال: فغرف بيديه ثم قال: ضمَّه، فضممته، فما نسيت شيئاً بعده». صحيح البخاري - كتاب العلم - باب حفظ العلم - ١/ ٤٢، ٤/ ٢٥٣، والترمذي في السنن ٣٨٣٥، والفتح ١/ ٢١٥، ٦/ ٦٣٣.

(٤) روى الترمذي عن بريدة رضي الله عنه قال: شكا خالد إلى النبي صلى الله عليه وسلم: ما أنام الليل من الأرق، فقال صلى الله عليه وسلم: «إذا أويت إلى فراشك، فقل: اللهم رب السماوات السبع وما أظلت، ورب الأرضين السبع وما أقلّت، ورب الشياطين وما أضلت، كن لي جاراً من شر خلقك كلهم جميعاً، أن يفرط علي أحد منهم، أو يبغي علي، عز جارك، وجلّ ثناؤك، ولا إله غيرك» [ولا إله إلا أنت]. سنن الترمذي - الحديث رقم ٣٥١٨.

وانظر: «سبل الهدى والرشاد» للصالحي الشامي ١٢/ ٨٥.

وشكا إليه أبو هريرة رضي الله عنه النسيان؛ فأمره ببسط ثوبه، وغرف له بيده فيه، ثم أمره بضمه، ففعل، فما نسي شيئاً بعد[1].

وشكا زيد بن ثابت رضي الله عنه أرقاً يجده، فقال له: إذا أردت أن تنام، وأخذت مضجعك، فقل: «هدأت العيون وغارت النجوم، وأنت الحي القيوم» قال: فقلتها، فأذهب الله عني ما كنت أجد[2].

وقال ابراهيم بن طريف: سمعت أبي يقول: ظهرت لي لمعة برص في كتفي؛ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام، فقلت: يا رسول الله!! ألا ترى ما حل بي؟ فمسح بيده على كتفي؛ فانتبهت وقد ذهب البرص عني.

فصل
في استغاثة الجمل بالنبي صلى الله عليه وسلم واستكانته إليه

عن تميم بن أوس الداري قال: كنا جلوساً مع النبي صلى الله عليه وسلم إذ أقبل بعير يعدو حتى وقف على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فرغا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيها البعير! اسكن، فإن تك صادقاً فعليك صدقك، وإن تك كاذباً فعليك كذبك، مع أن الله تعالى قد أمن عائذنا، وليس بخائب لائذنا. فقلنا: يا رسول الله!!! ما يقول هذا البعير؟، فقال: هذا بعير همَّ أهله بنحره، وأكل لحمه، فهرب منهم، فاستغاث بنبيكم صلى الله عليه وسلم، فبينما نحن كذلك إذ أقبل أصحابه يتعادون، فلما نظر إليهم البعير عاد إلى هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلاذ بها، فقالوا: يا رسول الله!! هذا بعيرنا، هرب منا منذ ثلاثة أيام، فلم نلقه إلا بين يديك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أما أنه يشكو؛ فبئست الشكاية!. فقالوا: يا رسول الله!!! ما يقول؟، قال: إنه يقول: إنه رُبِّيَ في أمنكم أحوالاً - أي سنين وأعواما -، وكنتم تحملون عليه في الصيف، إلى موضع الكلأ، فإذا كان في الشتاء رحلتم عليه إلى موضع الدفاء، فلما كبر استفحلتموه، فرزقكم الله به إبلاً سليمة، فلما

أدركتم هذه السنة الخصيبة، هممتم بنحره، وأكل لحمه!!. فقالوا: والله يا رسول الله!! قد كان ذلك، يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما هذا جزاء المملوك الصالح من مواليه. فقالوا: يا رسول الله!! لا نبيعه ولا ننحره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كذبتم، قد استغاث بكم فلم تغيثوه، وأنا أولى بالرحمة منكم، لأن الله قد نزع الرحمة من قلوب المنافقين، وأسكنها في قلوب المؤمنين، فاشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم بمائة درهم. وقال: يا أيها البعير انطلق، فأنت حر لوجه الله تعالى، فرغا على هامة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: آمين، ثم رغا الثانية، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آمين، ثم رغا الثالثة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: آمين، ثم رغا الرابعة فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا له: يا رسول الله! ما يقول هذا البعير؟، فقال: قال: جزاك الله أيها النبي عن الإسلام والقرآن خيراً، قلت: آمين. قال: حقن الله دم أمتك من أعدائها كما حقنت دمي، قلت: آمين. ثم قال: سكَّن الله رعب أمتك يوم القيامة كما سكَّنت رعبي، فقلت: آمين. قال: لا جعل الله بأسها بينها، فبكيت، وقلت: هذه خصال سألت ربي فأعطانيها، ومنعني هذه. وأخبرني جبريل: ألا إن فناء أمتك بالسيف، جرى القلم بما هو كائن(١).

قلت: قال الجوهري: «رغا البعير، يرغو رغاءً، إذا ضج. وفي المثل: «كفى برغائها منادياً»، أي إن رغاء بعيره يقوم مقام ندائه في التعرض للضيافة والقِرَى.

وقد رغّى اللبن ترغيةً، أي: أزبد». انتهى(٢).

---

(١) ذكر البيهقي بعضه في «دلائل النبوة» ٦/ ٢١، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٦، وقال: رواه أحمد بإسنادين، والطبراني بنحوه، وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح. والصالحي الشامي في «سبل الهدى» ٩/ ٥١٣.

(٢) انظر: الصحاح للجوهري مادة رغا، ٦/ ٢٣٥٩.

والبعير إنما يرغو عن ذل واستكانة.

قال الأصمعي: الإبل إذا نشطت صرفت بأنيابها، فإذا ضجرت رغت.

ولصالح الشافعي شعر:

وجاء بعير يشتكي جور أهله إليه فأشكاه فأعفوه أحمدا

[وروى الإمام أحمد أبو عبد الله محمد بن حامد الفقيه في كتابه «الدلائل»، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: انطلقنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى قباء، فأشرفنا على حائط، فإذا نحن بناضح فلما أقبل الناضح، رفع رأسه فأبصر النبي صلى الله عليه وسلم، فوضع جرانه على الأرض، فقال أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: فنحن أحق أن نسجد لك من هذه البهيمة، فقال: «سبحان الله أدون الله؟، ما ينبغي لأحد أن يسجد لشيء دون الله عز وجل، ولو أمرت أحداً أن يسجد لشيء من دون الله عز وجل لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها»][1].

فصل

في استغاثة الظبية وملاذها بالنبي صلى الله عليه وسلَّم وشرَّف وكرَّم ومجَّد وعظَّم ووالى عليه وانعم

[روى الطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن زيد بن أرقم رضي الله عنه، والبيهقي من طريق علي بن قادم، وأبو العلاء خالد بن طهمان، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، والطبراني وأبو نعيم عن أم سلمة، وأبو نعيم عن أنس بن مالك، وهو غريب، ورجاله خُرِّج لهم في الكتب الستة]، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مرَّ على قوم قد اصطادوا، ولفظ **أنس بن مالك رضي الله عنه قال:** كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في بعض سكك المدينة، فمررنا بخباء

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل، وكذا البيهقي، وعنهما السيوطي في الخصائص الكبرى ٢/ ٥٦، والبيهقي في دلائل النبوة ٦/ ٢٩.

أعرابي، فإذا ظبية مشدودة في الخباء؛ فقالت: يا رسول الله!! إن هذا الأعرابي اصطادني، ولي خشفان في البرية، وقد انعقد اللبن في أخلافي؛ فلا هو يذبحني فأستريح، ولا يدعني فأرجع إلى خشفي في البرية. فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن تركتك ترجعين؟. قال: نعم. وإلا عذبني الله عذاب العشار. فأطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلم تلبث أن جاءت تلمظ؛ فشدها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الخباء. وأقبل الأعرابي، ومعه قربة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أتبعنيها؟، قال: هي لك يا رسول الله!؛ فأطلقها النبي صلى الله عليه وسلم. قال زيد بن أرقم: فأنا والله رأيتها تسيح في البرية وهي تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله»(١).

وفي ذلك يقول صالح الشافعي:

وجاء امرؤ قد صاد يوماً غزالة ... لها ولد خشف تخلف بالكدى
فنادت رسول الله والقوم حوله ... فأطلقها والقوم قد سمعوا الندا

قلت: وفي هذا الحديث من الغريب:

الأخلاف: جمع خلف بكسر الخاء وهي حلمة ثدي الناقة القادمان والأخيران، هذا أصله.

---

(١) قال القطب الحضرمي في خصائصه: هذا الحديث ضعَّفه بعض الحفاظ، لكن طرقه يتقوى بعضها ببعض، انتهى. وقال الشيخ: لهذا الحديث طرق كثيرة تشهد أن للقصة أصلاً، انتهى.
وقال الحافظ في أماليه على مختصر ابن المهلب: بعد أن أورده من حديث أبي سعيد: غريب، وعلي ابن قادم، وشيخه، وشيخ شيوخه كوفيون فيهم مقال. وأشدهم ضعفاً عطية، ولو توبع حكمت بحسنه.
انظر: «مجمع الزوائد» للهيثمي ٨/ ٢٩٤، وسبل الهدى والرشاد للصالحي الشامي ٩/ ٥١٩ و٥٢٠.
وقد مر تخريجه في حاشية الصفحة ٣٠٥ من هذا الكتاب المبارك.

(٢) انظر: الصَّحاح للجوهري - مادة «لمظ» ٣/ ١١٧٩.

والخشفان: ولداها.

والعشار: المكّاس الذي يأخذ العشار ظلماً، وهو معروف.

وقوله: «تلمظ»: يقال: لمظ [يلمُظ] بالضم، لمظاً إذا تتبع بلسانه بقية الطعام في فمه، أوأخرج لسانه فمسح به شفتيه.

وكذلك التلمُّظ، يقال: تلمَّظت الحية؛ إذا أخرجت لسانها كتلمُّظ الآكل. قاله الجوهري[1].

وعن الشيخ أبي زكريا: سمعت سيدهم الشريف يقول: كنت بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإذا ظبية قد أقبلت من باب الرحمة في وسط القائلة، حتى واجهت قبر النبي صلى الله عليه وسلم، فوقفت من بعيد، وهي تومىء برأسها كالمسلِّمة عليه صلى الله عليه وسلم، وذرفت عيناها بالدموع، ثم تأخرت على عجزها حتى خرجت ولم تولِّ ظهرها تعظيماً وتوقيراً للنبي صلى الله عليه وسلم، حتى خرجت من الحرم ونحن نشاهد ذلك.

قال شيخ المسلمين أبو عبد الله بن النعمان قدس الله روحه: أرى هذه من نسل تلك الظبية التي أطلقها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فصل

في ملاذ الحمّرة لما فجعت بفرخيها بالنبي صلى الله عليه وسلم

عن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عن أبيه رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فنزلنا منزلاً

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف ١٢/ ٣٩٠.

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الجهاد؛ باب في كراهة حرق العدو بالنار، الحديث ٢٦٧٥، ص ٣/ ٥٥. عن محبوب بن موسى، عن أبي إسحاق الفزاري، عن أبي إسحاق الشيباني، عن ابن سعد، عن عبد الرحمن ابن عبد الله، عن أبيه.
وأخرجه أبو داود أيضاً في كتاب الأدب بنفس الإسناد، الحديث ٥٢٦٨، ٤/ ٣٦٧.
ورواها ابن كثير في التاريخ ٦/ ١٥١، عن أبي داود، وعن البيهقي. =

فيه قرية نمل، فأحرقناها، فقال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تعذبوا بالنار، فإنه لا يعذب بالنار إلا ربها»[1].

قال: ومررنا بشجرة فيها [فرخا]حمَّرة؛ فأخذناهما، قال: فجاءت الحمرة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهي تَعَرَّضُ، فقال: من فجع هذه بفرخيها؟، قال: فقلنا: نحن.

قال: فقال: ردوهما؛ قال: فرددناهما إلى مواضعهما»[2].

وفي رواية البيهقي: «ترفُّ على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحابه، فقال: «أيكم فجع هذه؟»، فقال رجل من القوم: أنا أخذت بيضها، فقال: ردَّه، ردَّه رحمة لها».

هكذا أخرجه البيهقي في «دلائله» من حديث الأصم[3].

كذا في كتابي: «تعرّض»، وقال غيره: تفرّش: يعني تقرّب للأرض وترفرف بجناحيها.

هكذا ذكر هذا الحرف جماعة من المحدّثين. قيل: وصوابه: «تقوص» بالقاف والواو، ومعناه تجيء وتذهب، ولا تقر، وقد ذكر ذلك الهروي في «غريبه» والله تعالى أعلم.

فصل

اعلم أن كل ما ذكرته في هذا الباب ـ الحادي عشر ـ وهو باب من استغاث بالنبي صلى الله عليه وسلم فأغيث في القديم والحديث فمن كتاب «مصباح الظلام» لشيخ الإسلام والمسلمين أبي عبد الله محمد بن

= وذكره السيوطي في «الخصائص الكبرى» ٢/ ٦٣، وعزاه للبيهقي، وأبي نعيم، وأبي الشيخ في كتاب العظمة، كلهم عن ابن مسعود.

والحمرة: بضم الحاء وفتح الميم المشددة وقد تخفف: طائر صغير كالعصفور، وفرخاها: ولداها، وتفرش: أي بجناحيها ترفرف.

(١) دلائل النبوة للبيهقي ٦/ ٣٢ و٣٣.

النعمان المتقدم ذكره رحمه الله تعالى، وقد انتخبت أكثر عيونه، وأجود ما فيه، معرضاً عن ذكر الأسانيد المطولة؛ فكأني في الحقيقة اختصرته؛ فكان كتابي هذا يشتمل على تصنيفين: «الفجر المنير، واختصار مصباح الظلام».

والله تعالى الموفق للصواب.

الباب الثاني عشر

في ما ختم الله به أيَّام حياته، وذكر مرضه، ووفاته صلَّى الله عليه وسلَّم، وشرَّف وكرَّم، ومجَّد وعظَّم، ووالى عليه وانعم

ولما استكمل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مدى عمره بعد أن أقام لله بأمره، بإظهار الدين ونشره، والاشتمال على طاعة الله وبره، وهو مؤيد بالفتح المبين، والنصر والتمكين، قد شرع لأمته ونصحها، وأظهر مناهج الحق وأوضحها وعفى معالم الشرك وطمسها، ونسخ أحكامها ودرسها، وخفض أعلامها ونكسها، وأبان الحلال والحرام، وأقام المعالم والأحكام، وبلَّغ ما حُمِّل وأدَّاه، ونقل ما استحفظ ووفَّاه، وأعزَّ الله به الحقَّ وأعلاه، كما أدحض به الباطل وأخزاه، نقله إلى دار كرامته وقدس رحمته ومحلِّ رضوانه وأدناه، سعيداً شهيداً، مباركاً حميداً، بعد أن أعلمه فيما أنزل عليه أنه قادم عليه، وسائرٌ إليه، فعهد إلى الناس وودَّعهم، وحذَّرهم، وبشّرهم، ونصحهم، وعلّمهم، ووصَّاهم، وردعهم، وأنذرهم.

قال الحافظ ابن عبد البر رضي الله عنه: ثم بدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه، يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من صفر، سنة إحدى عشر في بيت ميمونة، ثم انتقل حين اشتد وجعه إلى بيت عائشة رضي الله عنها[1].

---

(١) روى ابن سعد بسنده عن محمد بن قيس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتكى يوم أربعاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من صفر سنة إحدى عشرة، فاشتكى ثلاث عشرة ليلة. =

وقال غيره: ابتدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم صداع في بيت عائشة، قالت: «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم في اليوم الذي بدأ فيه؛ فقلت: وارأساه!!، فقال: بل أنا وارأساه»، ثم اشتد أمره في بيت ميمونة؛ فاستأذن نساءه أن يمرَّض في بيت عائشة رضي الله عنها وعنهن، فأذنَّ له، وكانت مدة مرضه اثني عشر يوماً. وقيل: أربعة عشر يوماً، خرج ويده على الفضل بن العباس، ويده الأخرى على عليّ عليهم السلام أجمعين[1].

ولما اشتد وجعه قال: صُبُّوا عليّ من سبع قرب لم تحل أوكيتهن، لَعَلِّي أستريح، وأعهد إلى الناس.

قالت عائشة: فأجلسناه في مخضب لحفصة من نحاس وسكبنا عليه الماء حتى طفق يشير إلينا أن قد فعلتن. ثم خرج فقام يومئذ خطيباً؛ فحمد الله، وأثنى عليه، واستغفر للشهداء الذين قتلوا يوم أحد، ثم قال: إنكم يا

= زاد البيهقي في روايته: «في بيت زينب بنت جحش شكوى شديدة»، والخبر في طبقات ابن سعد ٢/ ٢٠٦، وفي دلائل البيهقي ٧/ ٢٣٤، وابن سعد أيضاً: ٢/ ٢٧٢.

(١) أخرجه البخاري في: ٦٤ ـ كتاب المغازي من حديث عائشة: لددناه في مرضه، فجعل يشير إلينا أن لا تلدوني، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدّوني؟ قلنا: كراهية المريض للدواء، فقال: لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباس فإنه لم يشهدكم «فتح الباري ٨/ ١٤٧. أخرجه البخاري أيضاً في: ٧٦ ـ كتاب الطب، «٢١» باب اللدود، الفتح «١٠/ ١٦٦»، وفي ٨٧، ـ كتاب الديات«١٤» باب القصاص بين الرجال والنساء في الجراحات، الفتح ١٢/ ٢١٤، وفي «٢١» باب إذا أصاب قدم من رجل هل يعاقب؟ الفتح ١٢/ ١٢٧. وهو عند مسلم: ٣٩ ـ كتاب السلام، «٢٧» باب كراهية التداوي باللدود، حديث ٨٥، ١٧٣٣. وأخرجه الإمام أحمد في «المسند» ٦/ ٥٣. والحديث أخرجه أيضاً الترمذي ٤/ ٣٩١، من طريق عبَّاد بن منصور، وهذا دليل على أن ليس كل ما روى الضعيف ضعيف، فهذا حديث صحيح، أخرجه الترمذي من طريق به عباد بن منصور وهو ضعيف، والحديث له روايات صحيحه، وكذا ذكره البيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٦٩ و١٧٠.

معشر المهاجرين تريدون، وأن الأنصار لا يريدون، وإن الأنصار عيني التي أويت إليها، فأكرموا كريمهم، وتجاوزوا عن مسيئهم[١].

ولما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم، جعل يلقي بخميصة[٢] له على وجهه؛ فإذا اغتم كشفها عن وجهه، وهو يقول: «لعنة الله على اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر مثل الذي فعلوا.

ثم قال في مرضه: «إن عبداً خُيِّرَ بين الدنيا والآخرة، فاختار ما عند ربه»[٣].

ففطن أبو بكر رضي الله عنه أنه يريد نفسه؛ فبكى، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: على رسلك، ثم قال: سدوا هذه الأبواب الشوارع إلى المسجد إلا باب أبي بكر؛ فإني لا أعلم أحداً أحسن يداً عندي في الصحابة منه[٤].

وروي أيضاً: أن الذي كان ابتدأ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجعه الذي لزمه أن دخل على عائشة رضي الله عنها، وهو يجد صداعاً، فوجدها تُصَدَّعُ، وتقول: وارأساه!!، فقال: «بل أنا والله يا عائشة وارأساه!!». قالت عائشة رضي الله عنها: فو الله لطار عني ما

---

(١) أخرجه البخاري في: ٦٤ ـ كتاب المغازي «٨٣» باب مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ووفاته، الحديث «٤٤٤٢»، فتح الباري ٨/ ١٤١. وأخرجه مسلم في: ٤ ـ كتاب الصلاة، «٢١» باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، الحديث «٩٢» ١/ ٣١٢و٣١٣. عن عبد الملك بن شعيب بن الليث، عن أبيه، عن جده.

(٢) الخميصة: كساء له أعلام أو علمان أسود مربع.

(٣) ذكره الحافظ في الفتح ٨/ ١٣٧.

(٤) نقله ابن كثير ٥/ ٢٢٩ عن البيهقي وقال: هذا مرسل وله شواهد كثيرة» ومن شواهده ما أخرجه البخاري في: ٦٣ ـ كتاب مناقب الأنصار «٤٥» باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة. وأخرجه مسلم في: ٤٤ ـ كتاب فضائل الصحابة «١» باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه. والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ١٧٥.

أجد، وكدت أستطار، فسكّنني رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمزاح على تجشُّم منه. فقال: «وما ضرَّكِ يا عائشة لو مُتِّ قبلي، فأقوم عليك وأليك، وأصلي عليك»، فقالت له: فما نجاني مما خشيت الحذر، فقلت: أجل والله لكأني بك لو قد فعلت!! قد أعرست ببعض نسائك في بيتي من آخر ذلك اليوم!!، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم(١).

ثم عاد به وجعه، وهو في ذلك يدور على نسائه حتى اجتمعن برسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو في بيت ميمونة، قالت: فلما رأوا ما به، اجتمع رأي من في البيت على أن يلدّوه(٢)، وتخوفوا أن يكون به ذات الجنب، ففعلوا.

ثم فرج عن النبي صلى الله عليه وسلم وقد لدّوه، فقال: من صنع هذا؟ فهبنه واعتللن بالعباس، فاتخذ جميع من في البيت العباس سبباً، ولم يكن له في ذلك رأي، فقالوا: يا رسول الله!!! عمك العباس أمر بذلك وتخوفنا أن يكون بك ذات الجنب، فقال: إنها من الشيطان، ولم يكن الله عز وجل ليسلّطه علي ولا ليرميني بها، ولكن هذا عمل النساء، لا يبقى في البيت أحد إلا لُدَّ، إلا عمي العباس، فإن يميني لا يناله»، فلُدُّوا كلهم، ولُدَّت ميمونة وكانت صائمة [لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم](٣).

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت عائشة وكان يومها بين العباس وعلي عليهما السلام، والفضل بن العباس ممسك بظهره،

---

(١) أخرجه البخاري في: ٧٥ ـ كتاب المرضى «١٦» باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع، أو: وارأساه، الحديث «٥٦٦٦» فتح الباري ١٠/ ١٢٣. ومختصر تاريخ دمشق لابن عساكر ٢/ ٣٧٢.

(٢) قوله: «يلدّوه» لدَّ المريض: أخذ بلسانه فمده إلى أحد شقي الفم وصب الدواء في الشق الآخر. انظر لسان العرب ٥/ ٤٠١٩.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٢٧٣.

برواية ابن إسحاق عن الزهري ويزيد بن رومان وأبي بكر بن عبد الله فذكر الحديث وفيه بدء شكوى النبي صلى الله عليه وسلم إلى أن قال: ....

ورجلاه تخطان في الأرض، حتى دخل على عائشة رضي الله عنها، فلم يزل عندها مغلوباً لا يقدر على الخروج من بيتها إلى غيره[1].

ولما رأت الأنصار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد ثقلاً أطافوا بالمسجد، فدخل العباس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأعلمه بمكانهم، وإشفاقهم.

ثم دخل عليه الفضل فأعلمه بمثل ذلك، ثم دخل عليه علي فأخبره بمثل ذلك، فمد يده وقال: «ها!!» فتناولوه، فقال: ما يقولون؟، قال: يقولون: نخشى أن يموت.

وتصايح نساؤهم لاجتماع رجالهن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فسار النبي صلى الله عليه وسلم متوكئاً على عليٍّ والفضل، والعباس أمامهم، والنبي صلى الله عليه وسلم معصوب الرأس يخط برجليه، حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر، وثاب الناس إليه؛ فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيها الناس بلغني أنكم تخافون عليَّ الموت، كأنه استنكار منكم للموت، وما تنكرون من موت نبيكم، ألم أُنْعَ إليكم، وتُنْعَ لكم أنفسكم؟ هل خلِّد نبي قبلي فيمن بعث إليه؟؛ فأخلد فيكم؟، ألا إني

---

(1) روى البخاري سنده إلى السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرَّض في بيتي، فأذنَّ له، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض، بين عباس بن عبد المطلب وبين رجل آخر، قال عبيد الله: فأخبرت عبد الله بالذي قالت عائشة، فقال لي عبد الله بن عباس: هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال: قلت: لا، قال ابن عباس: هو علي. والخبر في صحيح البخاري ٦/ ١٣ ـ كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته. وكذا في ١/ ٦١ كتاب الوضوء ـ باب الغسل والوضوء، وفي ١/ ١٧٠ كتاب الصلاة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة، وفي٣/ ٢٠٧ كتاب الهبة، ـ باب هبة الرجل لامرأته، وفي مواضع أخرى. وفي صحيح مسلم: ١/ ٣١٢ كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر ـ الحديث ٩١ لكن سمى الفضل بن العباس، وفي سنن البيهقي ١/ ٣١، وفي دلائله ٧/ ١٦٩، ١٧٣. وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٣٢ بنحوه.

لاحقٌ بربي، وإنكم لاحقون به، وإني أوصيكم بالمهاجرين الأولين خيراً[وأوصي المهاجرين] فيما بينهم، فإن الله تعالى يقول: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾، وإن الأمور تجري بأمر الله، فلا يحملنكم استبطاء أمر على استعجاله، فإن الله عز وجل لا يعجل لعجلة أحد، ومن غالب الله غلبه، ومن خادع الله خدعه، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾[(١)].

أوصيكم بالأنصار خيراً، فإنهم الذين تبوّؤا الدار والإيمان من قبلهم، أن تحسنوا إليهم، ألم يشاطروكم في الثمار؟ ألم يوسعوا لكم في الديار؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم وبهم الخصاصة؟، ألا فمن وُلِّي أن يحكم بين رجلين؛ فليقبل من محسنهم، وليتجاوز عن مسيئهم، ألا ولا تستأثروا عليهم، ألا وإني فرط لكم، وأنتم لاحقون بي، ألا وإن موعدكم الحوض، حوضٌ أعرض مما بين بصرى الشام وصنعاء اليمن، يَصُبُّ فيه ميزاب الكعبة ماءً أشدَّ بياضاً من اللبن، وألين من الزبد وأحلى من الشهد، من شرب منه لم يظمأ أبداً، حصباؤه اللؤلؤ، وبطحاؤه في مسك، من حرمه في الموقف حرم الخير كله، ألا فمن أحب أن يرده علي غداً فليكفف [يده ولسانه]إلا فيما ينبغي.

قال العباس: يا رسول الله!!! أوص بقريش.

قال: «إني إنما أوصي بهذا الأمرِ قريشاً، الناس تبع لقريش، بَرُّهم لِبَرِّهم، وفاجرهم لفاجرهم، فاستوصوا آل قريش بالناس خيراً.

يا أيها الناس!!! إن الذنوب تغير النعم، وتبدل القِسَم، فإذا بَرَّ الناسُ برَّهم أئمتهم، وإذا فجر الناس عقّوهم. وقال الله عز وجل: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّى بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ۝١٢٩﴾[(٢)].

---

(١) سورة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الآية ٢٢.

(٢) سورة الأنعام ـ الآية ١٢٩.

ذكر هذا سيف بن عمر في كتاب الفتوح[1].

وذكر الواقدي بسند وصله بعبد الله بن مسعود قال: نعى لنا سيدنا ونبينا وحبيبنا صلى الله عليه وسلم نفسه قبل موته بشهر، بأبي وأمي ونفسي، له الفداء، فلما دنا الفراق جمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها، وتشدد فقال: حياكم الله بالسلام، رحمكم الله، حفظكم الله، جبركم الله، رزقكم الله، نفعكم الله، رفعكم الله، آواكم الله، وقاكم الله، أوصيكم بتقوى الله، وأوصي الله بكم، وأستخلفه عليكم، وأحذركم الله، إني لكم نذير مبين، أن لا تعلوا على الله في عباده وبلاده، فإن الله قال لي ولكم: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[2].

وقال: ﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[3].

قلنا: يا رسول الله!!! متى أجلك؟.

قال: [قد دنا الأجل]، والمنقلب إلى الله، [والسدرة المنتهى والكأس الأوفى] وإلى جنة المأوى.

قلنا: يا رسول الله!! من يغسلك؟.

قال: رجال من أهلي، الأدنى فالأدنى، [مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم].

قلنا: يا رسول الله!!! فيم نكفنك؟.

قال: في ثيابي هذه إن شئتم، أو ثياب مصر، أو حلة يمانية.

قلنا: يا رسول الله!! من يصلي عليك؟ - بآبائنا وأمهاتنا أنت - وبكينا، وبكى.

فقال: مهلاً رحمكم الله، وجزاكم عن نبيكم خيراً، إذا أنتم غسلتموني، [وحنّطموني] وكفّنتموني، فضعوني على سريري هذا، على

---

(١) وهي رواية مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٨٠.

(٢) سورة القصص - الآية ٨٣.　　(٣) سورة الزمر - الآية ٦٠.

شفير قبري، ثم اخرجوا عني ساعة، فإن أول من يصلي عليّ حبيبي وخليلي جبريل، ثم ميكائيل، ثم اسرافيل، ثم ملك الموت، ومعه جنود من الملائكة بأجمعهم، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فوجاً، فصلوا علي، وسلموا تسليماً. ويبتديء بالصلاة عي رجال أهل بيتي، ثم نساؤهم، ثم أنتم، ثم اقرؤوا السلام على من غاب من أصحابي، واقرؤوا السلام على من تبعني على ديني من يومي هذا إلى يوم القيامة(١).

قلنا: يا رسول الله!!! من يدخلك قبرك؟.

قال: [رجال أهل بيتي الأدنى فالأدنى] مع ملائكة كثيرة يرونكم من حيث لا ترونهم(٢).

وقبض صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين ضحى، في مثل الوقت الذي دخل فيه المدينة، لاثني عشر ليلة من شهر ربيع الأول، سنة إحدى عشرة من الهجرة(٣).

---

(١) وعليك يا سيدي يا رسول الله من خويدمك بسام محمد بارود أفضل السلام وأتمه وأكمله وأحسنه وأجمله وأزكاه وأنماه وأفضله، ما هبت النسائم وما ناحت على الأيك الحمائم إلى يوم الدين كلما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون عدد خلق الله ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته آمين.

(٢) قال الهيثمي: رواه البزار وقال: روي هذا عن مرة عن عبد الله من غير وجه، والأسانيد عن مرة متقاربة، وعبد الرحمن لم يسمع هذا من مرة، إنما أخبره عن مرة، ولا نعلم رواه عن عبد الله غير مرة. وقال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، غير محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي وهو ثقة. ورواه الطبراني في الأوسط بنحوه، إلا أنه قال: قبل موته بشهر، وذكر في إسناده ضعفاء منهم أشعث بن طابق، قال الأزدي: لا يصح حديثه، والله أعلم. ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٥٦، والطبري في التاريخ ٣/ ١٩١، والبيهقي في دلائل النبوة ٧/ ٢٣١ بنحوه، وروى بعضه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٠، وقال عبد الملك بن عبد الرحمن الذي في هذا الإسناد مجهول لا نعرفه بعدالة ولا جرح، والباقون كلهم ثقاة.

(٣) روى الشيخان، والبلاذري، وابن جرير، والبيهقي عن أنس رضي الله تعالى عنه: «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يخرج ثلاثاً وأبو بكر يصلي بالناس، وأن الناس بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين وأبو بكر يصلي لهم لم يفجأهم إلا رسول الله =

قلت: وقد بلغ صلى الله عليه وسلم من السن ثلاثاً وستين سنة، على الأصح.

وقيل: خمساً وستين. وقيل: ستين[1].

= صلى الله عليه وسلم قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهو قائم كأن وجهه ورقة مصحف، فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه في تلك الساعة، وكانت آخر نظرة نظرتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ وهم صفوف في الصلاة، ثم تبسم يضحك، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصف، فظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد أن يخرج إلى الصلاة، قال أنس: وهمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم فرحاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأشار إليهم أن أتموا صلاتكم. فقال: «أيها الناس إنه لم يبق من مبشرات النبوة إى الرؤيا الصالحة، يراها المسلم أو ترى له، ألا وإني نهيت أن أقرأ راكعاً أو ساجداً، فأما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمن أن يستجاب لكم «ثم دخل الحجرة وأرخى الستر، فتوفي من يومه ذلك».

وروى ابن سعد عن ابن شهاب قال: توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين حين زاغت الشمس.

قال السهيلي وابن كثير والحافظ: لا خلاف أنه صلى الله عليه وسلم توفي يوم الإثنين في ربيع الأول.

(١) روى البخاري في صحيحه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما، فذكر الحديث وفيه قال: «ومات وهو ابن ثلاث وستين» صحيح البخاري ٥/ ٧٣ ـ كتاب المغازي باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المجينة. وكذا في ٤/ ٢٢٦ كتاب المناقب باب خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، وفي ٥/ ٧٣ كتاب المناقب ـ باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه إلى المدينة، وفي ٦/ ١٩ كتاب المغازي ـ باب وفاة النبي صلى الله عليه وسلم.

وفي صحيح مسلم ٤/ ١٨٢٥و١٨٢٦، كتاب الفضائل ـ باب كم أقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة والمدينة ح ١١٥، و١١٧، و١١٨.

وفي مسند الإمام أحمد ١/ ٢٢٨، ٢٣٦، ٣٧٠، ٣٧١. و٦/ ٩٣». وفي سنن الترمذي ٥/ ٥٩١، كتاب المناقب ـ باب مبعث النبي صلى الله عليه وسلم وابن كم كان حين بعث، الحديث ٣٦٢١، وفي ٥/ ٦٠٥، ٦٠٦. كتاب المناقب ـ باب في سن النبي صلى الله عليه وسلم كم كان حين مات ـ الحديث ٣٦٥٢ و٣٦٥٤. =

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ولد نبيكم صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين، وخرج من مكة يوم الاثنين، ودخل المدينة يوم الاثنين.

ودفن صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء، حين زاغت الشمس. وقيل: بل دفن يوم الأربعاء(١).

[الصلاة على الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم]

وصلى عليه علي والعباس وبنو هاشم، ثم دخل المهاجرون، ثم الأنصار، ثم الناس، يصلون عليه فذاذاً لا يؤمهم أحد، ثم النساء والغلمان(٢).

= وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٣٠٩، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٢١٥، ٢١٦. وفي دلائل البيهقي ٢/ ١٤١ و٧/ ٢٣٨ و٢٣٩.

(١) قال ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر الحديث وفيه: «فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه.

فقال أبو بكر رضي الله عنه: «إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه فحفر له تحته.

رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٧، بنحوه، والترمذي في سننه ٣/ ٣٣٨، كتاب الجنائز باب ٣٣ الحديث ١٠١٨، بنحوه وفيه: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه» وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب.

ورواه ابن ماجة في سننه ١/ ٥٢١ كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم - الحديث ١٦٢٨.

ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٩٢ و٢٩٣ بنحوه، والطبري في التاريخ ٣/ ٢١٣، والبيهقي في الدلائل ٧/ ٢٦٠.

(٢) روى ابن سعد بسنده عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: أول من صلى عليه يعني النبي صلى الله عليه وسلم العباس بن عبد المطلب وبنو هاشم، ثم خرجوا، ثم دخل المهاجرون والأنصار، ثم الناس رُفقاً رُفقا، فلما انقضى الناس دخل عليه الصبيان صفوفاً ثم النساء». طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٠ و٢٩١.

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما اجتمع القوم لغسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليس في البيت إلا عمه العباس وعلي بن أبي طالب، والفضل بن العباس، وقثم بن العباس، وأسامة بن زيد، وصالح مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما اجتمعوا لغسله نادى من وراء الباب أوس ابن خَوَلِيّ الأنصاري، وكان بدرياً، علي ابن أبي طالب: ننشدك الله حظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم. فقال له علي: ادخل؛ فدخل، فحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يل من غسله شيئاً. قال: فأسنده علي إلى صدره، وعليه قميصه [يدلكه من ورائه، لا يفضي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم]، وكان العباس والفضل وقُثَم يقلبونه مع علي، وكان أسامة[1] و[شقران مولاه هما اللذان] يصبان الماء. وجعل علي رضي الله عنه يغسله، ولم ير من رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم شيء مما يرى من الميت[2]، وهو يقول: بأبي أنت وأمي ما أطيبك حياً وميتاً[3]. حتى إذا

---

(١) أي أسامة بن زيد رضي الله عنه.

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ٢٦٠ وزاد فيه: «حتى إذا فرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان يغسَّل بالماء والسدر، جففوه، ثم صنع به ما يصنع بالميت».
ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٨٠، باختصار، والطبري في تاريخه ٣/ ٢١١، وروى طرفه الأخير الحاكم في المستدرك ١/ ٣٦٢، و٣/ ٥٩، بنحوه، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه. وأقره الذهبي. وابن ماجة في سننه ١/ ٤٧١، كتاب الجنائز، باب ما جاء في غسل النبي صلى الله عليه وسلم الحديث رقم ١٤٦٧، والبيهقي في سننه ٣/ ٣٨٨، و٤/ ٥٣، وفي دلائله: ٧/ ٢٤٣، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٨١.

(٣) روى البيهقي في دلائله بسنده عن علي رضي الله عنه قال: «أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن لا يغسله أحد غيري، «فإنه لا يرى أحد عورتي إلا طمست عيناه» قال علي: فكان العباس وأسامة يناولان الماء وراء الستر، قال علي: فما تناولت عضواً إلا كأنما يقلّبه معي ثلاثون رجلاً حتى فرغت من غسله صلى الله عليه وسلم. رواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٧٨، والهيثمي في «مجمع الزوائد» ٩/ ٣٦ =

فرغوا من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان يُغَسَّل بالماء والسدر، ثم يصنع به ما يصنع بالميت، ثم أدرج في ثلاثة أثواب؛ ثوبين أبيضين، وبردة حبرة[(١)].

قال: ثم دعا العباس رجلين ليذهب أحدهما إلى أبي عبيدة ابن الجراح، وكان أبو عبيدة يضرح لأهل مكة، ويذهب الآخر إلى أبي طلحة بن سهل الأنصاري، وكان أبو طلحة يلحد، ثم قال العباس - حين سرحهما -: اللهم خِرْ لرسولك.

قال: فذهب [صاحب] أبي عبيدة فلم يجده، ووجد صاحب أبي طلحة، فَلَحَد لرسول الله صلى الله عليه وسلم[(٢)].

= وقال: رواه البزار وفيه يزيد ابن بلال، قال البخاري: فيه نظر، وبقية رجاله وثقوا وفيهم خلاف.

وروى بسنده عن محمد بن قيس قال: كان الذي غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب، والفضل بن عباس يصب عليه الماء، قال: فما كنا نريد أن نرفع منه عضواً لنغسله إلا رفع لنا، حتى انتهينا إلى عورته، فسمعنا من جانب البيت صوتاً: لا تكشفوا عن عورة نبيكم». انظر: دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢٤٤، وابن سعد ٢/ ٢١٣.

(١) قوله: «بردة حبرة» بكسر الحاء المهملة وفتح الموحدة والراء ضرب من البرد يؤتى بها من اليمن.

وروى الإمام أحمد بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كفّن في ثوبين أبيضين وفي برد أحمر. «مسند الإمام أحمد ١/ ٢٥٣، و١/ ٢٦٠ و٣١٣. وفي سنن البيهقي ٣/ ٤٠٠، وطبقات ابن سعد ٢/ ٢٨٤ و٢٨٥.

قال الترمذي: وتكفينه صلى الله عليه وسلم في ثلاث أثواب بيض أصح ما ورد في كفنه. انظر مجمع الزوائد ٣/ ٢٦، وطبقات ابن سعد ٢/ ٢١٧».

(٢) الخبر في مسند الإمام أحمد ١/ ٨، و٢٦٠ و٢٩٢. وفي سنن ابن ماجة ١/ ٥٢٠، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه، الحديث ١٦٢٨، وفي سنن البيهقي ٣/ ٤٠٧، وفي دلائله ٧/ ٢٥٢، وقال البيهقي: «بلغني أنه بني عليه في لحده اللَّبِن، ويقال: هي تسع لَبِنات عدداً «وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٥ و٢٩٨، بنحوه، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٢١٣، وفي عيون الأثر ٢/ ٣٣٩.

وذكر ابن الجوزي: أنه روي عن جعفر بن محمد رضي الله عنه قال: كان الماء يستنقع في جفون رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان علي رضي الله عنه يحسوه[1].

قال الحافظ ابن عبد البر: وقد أكثر في ذكر من أدخله قبره، وفي هيئة كفنه، وفي صفة خلقه وخُلُقه، وسنه، وغزواته، وسيره، وما لا سبيل في كتابنا هذا إلى ذكره، وأصح ذلك أنه نزل في قبره العباس عمه، وعلي، وقثم بن العباس، والفضل بن العباس، وكان آخر الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قثم بن العباس. ذكر ذلك ابن عباس رضي الله عنهما، وغيره، وهو الصحيح[2].

وألحداه، وبنى في قبره اللبن، يقال: تسع لَبِنَاتٍ[3].

وطرح في قبره صلى الله عليه وسلم سمل قطيفة، كان يلبسهما صلى الله عليه وسلم[4].

---

(١) رواه أحمد في المسند ١/ ٢٦٧.

(٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «.... ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم وسط الليل من ليلة الأربعاء، ونزل في حفرته علي بن أبي طالب، والفضل، وقثم بن عباس، وشقران مولى رسلو الله صلى الله عليه وسلم، وقال أوس بن خولي وهو أبو ليلى لعلي ابن أبي طالب رضي الله عنه: أنشدك الله، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له علي: انزل، وكان شقران مولاه أخذ قطيفة حمراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها، فدفنها في القبر وقال: والله، لا يلبسها أحد بعدك أبداً. فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم. البيهقي «دلائل النبوة» ٧/ ٢٥٢، وابن ماجة ١/ ٤٩٦.

(٣) روى البيهقي عن بعضهم، والواقدي عن علي بن الحسين أنه صلى الله عليه وسلم نصب عليه في اللحد تسع لبنات. ابن عسد ٢/ ٢٢٧، والبيهقي «دلائل النبوة» ٢/ ٢٥٢.

(٤) الخبر في سنن ابن ماجة ١/ ٥٢١ كتاب الجنائز، باب ذكر وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ودفنه، الحديث ١٦٢٨، وفي سنن البيهقي ٤/ ٥٣، وفي دلائله ٧/ ٢٥٤، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٢١٣، وبعضه في طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٩. قال جعفر بن محمد: أخبرني ابن أبي رافع قال: سمعت شقران يقول: أنا والله طرحت القطيفة تحت رسول =

فلما فرغوا من وضع اللبن أخرجوهما، وهالوا التراب على لحده صلى الله عليه وسلم، وجعل قبره مسطوحاً، ورش عليه الماء[(١)].

وروي عن جعفر بن محمد رضي الله عنه قال: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الاثنين؛ فمكث ذلك اليوم، وليلة الثلاثاء، ودفن من الليل[ليلة الأربعاء][(٢)].

[موضع قبر النبي صلى الله عليه وسلم]

واختلفوا أين يدفن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم؟، فقال أبو بكر رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لم يقبر نبي إلا حيث يموت» فأخّروا فراشه، فحفر له تحت فراشه[(٣)].

= الله صلى الله عليه وسلم في القبر. «سنن الترمذي» ١٠٤٧، وشرح السنة ٣/ ٢٦٦.
وفي مختصر تاريخ دمشق عن الحسن قال: جعل في قبر النبي صلى الله عليه وسلم قطيفة حمراء كان أصابها في يوم حنين. قال: جعلوها لأن المدينة أرض سبخة. «مختصر تاريخ دمشق» ٢/ ٤٠١.

(١) روى البيهقي بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: رُشَّ على قبر النبي صلى الله عليه وسلم الماء رشاً، قال: وكان الذي رش الماء على قبره بلال بن رباح بقربة، بدأ من قبل رأسه من شقه الأيمن، حتى انتهى إلى رجليه، ثم ضرب بالماء إلى الجدار، لم يقدر على أن يدور من الجدار».
سنن البيهقي ٣/ ٤١١.

(٢) مسند الإمام أحمد ٦/ ١١٠، وفي سنن ابن ماجة ١/ ٥٢١، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم الحديث ١٦٢٨، وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٠، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٢١٣و٢١٧، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢٦٠، وفي عيون الأثر ٢/ ٣٤٠.

(٣) قال ابن إسحاق بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما فذكر الحديث وفيه: «فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء وضع على سريره في بيته، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه، فقال قائل: ندفنه في مسجده، وقال قائل: بل ندفنه مع أصحابه، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ما قبض نبي إلا دفن حيث يقبض» فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم =

[موقف أبي بكر رضي الله عنه
من وفاة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم]

ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل أبو بكر وهو مغشى بثوب حبرة، فكشف عن وجهه، ثم أكب عليه فقبله وبكى ثم قال: بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة الأولى التي عليك فقد مُتَّها[1].

[دهشة عمر رضي الله عنه والمسلمين
لوفاة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم]

وكان عمر رضي الله عنه قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت!! ولكنه صعق كما صعق موسى بن عمران، وإني أرجو أن يعيش

= الذي توفي عليه فحفر له تحته. رواه أحمد ١/٧، بنحوه، والترمذي في سننه ٣/٣٣٨، كتاب الجنائز، باب ٣٣ الحديث ١٠١٨، بنحوه وفيه: «ما قبض الله نبياً إلا في الموضع الذي يحب أن يدفن فيه» وقال أبو عيسى: هذا حديث غريب. ورواه ابن ماجة في سننه ١/ ٥٢١، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم الحديث ١٦٢٨، ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٩٢، ٢٩٣.والطبري في تاريخه ٣/ ٢١٣، والبيهقي في دلائله ٧/ ٢٦٠.

(١) قال ابن إسحاق قال الزهري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه، فذكر الحديث وفيه قال: وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد ـ حين بلغه الخبر ـ وعمر يكلم الناس، فلم يلتفت إلى شيء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة رضي الله عنها، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى في ناحية البيت، عليه بردة حبرة، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أقبل عليه فقبّله، ثم قال: بأبي أنت وأمي، أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً.

صحيح البخاري ٦/ ١٧، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، و٧/ ١٦٤ كتاب الطب، باب اللدود.

وفي مسند الإمام أحمد ١/ ٢٢٩ و٣٦٧ و٦/ ٥٥، وفي سنن الترمذي ٣/ ٣١٥ كتاب الجنائز، باب ما جاء في تقبيل الميت، الحديث ٩٨٩، وفي سنن ابن ماجة ١/ ٤٦٨، =

رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقطع أيادي رجال وألسنتهم من المنافقين الذين يقولون: رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات[١].

فقام العباس بن عبد المطلب فقال: أيها الناس!!! هل عند أحد منكم عقد أو عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم [في وفاته فليحدِّثنا]؟.

قالوا: اللهم لا. قال: فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يمت حتى [ترك السبيل نهجاً واضحاً، أحلَّ الحلال، وحرَّم الحرام، ونكح وطلّق، وحارب وسالم]وترككم على محجة بينة، وطريق ناهجة[٢].

وخرج أبو بكر إلى المسجد وعمر يكلم الناس؛ فقال له أبو بكر: اجلس يا عمر!!؛ فأبى أن يجلس، فكلَّمه مرتين، أو ثلاثاً فأبى أن يجلس، فقام أبو بكر، فأقبل الناس على أبي بكر، وتركوا عمر.

[خطبة أبي بكر رضي الله عنه
في وفاة حبيبنا الأعظم صلى الله عليه وسلم]

فلما قضى أبو بكر تشهده قال: أما بعد؛ فمن كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ومن يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴿١٤٤﴾﴾[٣].

فلما تلا أبو بكر رضي الله عنه هذه الآية أيقن الناس بموت النبي صلى الله عليه وسلم، وتلقوها من أبي بكر حتى قال القائل من الناس: لم يعلموا أن هذه الآية أنزلت حتى تلاها أبو بكر رضي الله عنه[٤].

= كتاب الجنائز ـ باب ما جاء في تقبيل الميت الحديث ١٤٥٧. ومسند الإمام أحمد أيضاً ١/ ٣٣٤ و٦/ ١١٧، وفي سنن النسائي ٤/ ١١، كتاب الجنائز، تقبيل الميت.

(١) الخبر في مسند الإمام أحمد ٣/ ١٩٦، وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٧٠، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٢٠٠. وفي سيرة ابن هشام ٤/ ٢٣٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ١٢/ ٢٩٨. (٣) سورة آل عمران ـ الآية ١٤٤.

(٤) الخبر في صحيح البخاري ٦/ ١٧، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، وفي =

وروى سعيد بن المسيب أن عمر رضي الله عنه قال: «والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت[1] حتى ما تقلني رجلاي، وحتى هويت إلى الأرض حين سمعته تلاها».

تفرد بإخراجه البخاري[2].

[آخر ما تكلم به الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم]

وقال قتادة: [آخر] ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا الله في النساء، وما ملكت أيمانكم»[3].

وقالت عائشة رضي الله عنها: لما اشتد مرضه قال: «في الرفيق الأعلى» ثم فتر[4].

= المستدرك للحاكم ٢/ ٢٩٥ بنحوه.
وفي سنن ابن ماجة ١/ ٥٢٠، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم، الحديث ١٦٢٧، بمعناه باختصار.
وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٦٥ و٢٦٦ بعضه، وفي ٢/ ٢٦٨ و٢٧٠ بنحوه.
وفي دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢١٥ بنحوه، وسيرة ابن هشام ٤/ ٣٣٤.

(١) قوله «فعقرت» العقر: هو أن يفجأ الروع الرجل فيدهش ولا يستطيع أن يتقدم أو يتأخر. «النهاية ٣/ ٢٧٣».

(٢) صحيح البخاري ٢/ ٩٠ كتاب الجنائز، باب الدخول على الميت بعد الموت إذا أدرج في كفنه، وفي سنن البيهقي ٣/ ٤٠٦.

(٣) روى الحاكم في المستدرك بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت: «الصلاة الصلاة، مرتين، وما ملكت أيمانكم» وما زال يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه. قال ـ أي الحاكم ـ: قد اتفقا ـ أي الشيخان ـ على إخراج هذا الحديث، وأقرّه الذهبي، ورواه الإمام أحمد في مسنده ١/ ٧٨ باختصار، و٣/ ١١٧ و٦/ ٢٩٠ ومواضع أخر، وابن ماجة في سننه ١/ ٥١٩، كتاب الجنائز، باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث ١٦٢٥، ورواه أيضاً في ٢/ ٩٠٠، كتاب الوصايا، باب هل أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث ٢٦٩٧ و٢٦٩٨، ورواه البيهقي في سننه ٨/ ١١، وفي دلائله ٧/ ٢٠٥، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٥٣ و٢٥٤، وذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٣٣٨.

(٤) روى البخاري بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها وعن أبيها قالت: كان رسول =

[أمر النبي صلى الله عليه وسلم
أبا بكر رضي الله عنه أن يصلي بالمسلمين]

وروى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة قال: دخلت على عائشة رضي الله عنها فقلت: ألا تحدثيني عن مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم؟.

فقالت: بلى؛ ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: أصلى الناسُ؟ فقلنا له: [لا]، هم ينتظرونك يا رسول الله!!. قال: «ضعوا لي ماء في المخضب»، قالت: ففعلنا، فاغتسل، ثم ذهب لينوء[1]، فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلى الناس؟»، فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله!!. [قال: «ضعوا لي ماء في المخضب» قالت: فقعد فاغتسل ثم ذهب لينوء، فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلى الناس؟» قلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله، فقال: «ضعوا لي ماء في المخضب» فقعد فاغتسل

= الله صلى الله عليه وسلم وهو صحيح يقول: «إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيًّا أو يخيَّر» فلما اشتكى وحضره القبض، ورأسه على فخذ عائشة رضي الله عنها غشي عليه، فلما أفاق شخص بصره نحو سقف البيت، ثم قال: «اللهم في الرفيق الأعلى» فقلت: إذاً لا يجاورنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح. صحيح البخاري ٦/ ١٢ كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته. و٨/ ٩٣ كتاب الدعوات، باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم: «اللهم الرفيق الأعلى» وفيه زيادة: «فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها اللهم الرفيق الأعلى». وفي صحيح مسلم ٤/ ١٨٩٤، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، الحديث ٧٨، وفي مسند الإمام أحمد ٦/ ٨٩. وفي البخاري أيضاً بسنده عن السيدة عائشة رضي الله عنها، فذكر الحديث وفيه قالت بعد أن ذكرت استياكه صلى الله عليه وسلم: فما عدا أن فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يده أو إصبعه ثم قال: «في الرفيق الأعلى» ثلاثاً، ثم قضى. «البخاري ٦/ ١٣». وكذلك في ٦/ ١٦بنحوه، وفيه: «حتى قبض ومالت يده». وفي مسند الإمام أحمد ٦/ ٢٠٠ بمعناه، وفي دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ٢٠٧.

(١) قوله: «لينوء» ناء ينوء نوءاً: نهض بجهد ومشقة، وقيل: أثقل فسقط. لسان العرب ٦/ ٤٥٦٦.

ثم ذهب لينوء فأغمي عليه، ثم أفاق، فقال: «أصلى الناس؟»، فقلنا: لا، هم ينتظرونك يا رسول الله. قالت: والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة العشاء الآخرة؛ فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي بكر أن يصلي بالناس، [فأتاه الرسول، فقال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تصلي بالناس، فقال أبو بكر] وكان رجلاً رقيقاً، فقال: يا عمر!! صلِّ بالناس؛ فقال له عمر: أنت أحق بذلك؛ فصلى بهم أبو بكر رضي الله عنه، تلك الأيام(١).

قال عبد الرزاق: قال عمر: قال الزهري: قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن زمعة: مر الناس فليصلوا؛ فخرج عبد الله بن زمعة فلقي عمر بن الخطاب، فقال: صل بالناس. قال: فصلى عمر بالناس، فجهر بصوته، وكان جهير الصوت، فسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته؛ فقال: أليس هذا عمر؟، قالوا: بلى يا رسول الله!!. فقال: يأبى الله ذلك والمؤمنون، ليصلِّ بالناس أبو بكر، قال: فقال عمر لعبد الله بن زمعة: [ماذا صنعت بي يا ابن زمعة؟ والله ما ظننت حين أمرتني إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك، ولولا ذلك ما صليت بالناس، قال: قلت: والله ما أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ولكني حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس(٢).

---

(١) صحيح البخاري ١/ ١٧٥ باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، وكذا في صحيح مسلم ١/ ٣١١، كتاب الصلاة، باب استخلاف الإمام.... الحديث ٩٠، وفي مسند الإمام أحمد ٢/ ٥٢ و٦/ ٢٥١، وفي سنن النسائي ٢/ ١٠١، كتاب الإمامة، الائتمام بالإمام يصلي قاعداً، وفي سنن البيهقي ١/ ١٢٣، و٨/ ١٥١، وفي دلائله ٧/ ١٩٠، وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢١٨.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٤١، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٢٠ بنحوه مطولاً، وانظر سيرة ابن هشام ٤/ ٣٣٠.

قال الزهري: وأخبرني حمزة بن عبد الملك، عن عمر، **عن عائشة رضي الله عنها قالت:** لما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيتي قال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس. قالت: قلت: يا رسول الله!! إن أبا بكر رجل رقيق، إذا قرأ القرآن لا يملك دمعه؛ فلو أمرت غير أبي بكر، قالت: والله ما بي إلا كراهة أن يتشاءم الناس بأول من يقوم مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال: فراجعته مرتين، أو ثلاثاً، فقال: ليصل أبو بكر، فإنكن صواحبات يوسف(١).

ولم يزل أبو بكر يصلي بهم تلك الأيام(٢).

---

(١) روى البخاري بسنده عن الأسود قال: كنا عند عائشة رضي الله عنها، فذكرنا المواظبة على الصلاة والتعظيم لها، قالت: لما مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم مرضه الذي مات فيه فحضرت الصلاة فأذّن فقال: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، فقيل له: إن ابا بكر رجل أسيف ـ أي سريع البكاء والحزن ـ إذا قام في مقامك لم يستطع أن يصلي بالناس، وأعاد فأعادوا له، فأعاد الثالثة فقال: «إنكن صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس». صحيح البخاري ١٦٩/١ كتاب الصلاة، باب حد المريض أن يشهد الجماعة. و١/ ١٧٢، ١٨٢ كتاب الصلاة ـ باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، باب من أسمع بالناس تكبير الإمام، وفي ج ٤/ ١٨٢ كتاب الأنبياء ـ باب قوله تعالى: ﴿۞ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ۝٧﴾. وفي صحيح مسلم ٣١٦/١ كتاب الصلاة ـ باب استخلاف الإمام.... الحديث ١٠١، وفي مسند الإمام أحمد ٤١٢/٤، و٥/ ٣٦١، باختصار، وفي ٦/ ١٥٩، ٢١٠. وفي سنن ابن ماجة ٣٨٩/١و٣٩٠. كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ـ باب ما جاء في صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رقم ١٢٣٢، بنحوه، والحديث رقم ١٢٣٤ مطول، وفي سنن البيهقي ٢/ ٢٥١و٣/٧٨، ٩٤.

وفي دلائل النبوة للبيهقي ١٩٩/٧ بمعناه، وفي سنن الدارمي ٣٩/١، بمعناه وفيه زيادة «مروا أبا بكر يصلي بالناس فربَّ قائل متن ويأبى الله والمؤمنون».

وفي طبقات ابن سعد ٢١٩/٢ بمعناه، وفي تاريخ الطبري ١٩٧/٣.

(٢) روى ابن سعد بسنده عن عكرمة قال: «صلى بهم أبو بكر ثلاثاً» طبقات ابن سعد ٢/ ٢٢٤، و٣/ ١٨٠، وفي تاريخ الطبري ١٩٧/٣.

وعن محمد بن عمر قال: سألت ابا بكر بن عبد الله بن أبي سبرة: كم صلى أبو بكر =

[آخر صلاة حضرها الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم مع المسلمين]

ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم وجد خفة؛ فخرج بين رجلين: [أحدهما] العباس، ورجل آخر، لصلاة الظهر، [وأبو بكر يصلي بالناس]؛ فلما رآه أبو بكر ذهب ليتأخر، فأومأ إليه [النبي صلى الله عليه وسلم]بأن لا يتأخر، وأمرهما فأجلساه إلى جنبه.

فجعل أبو بكر يصلي [وهو يأتمُّ بصلاة النبي صلى الله عليه وسلم، والناس بصلاة أبي بكر] والنبي صلى الله عليه وسلم قاعد(١).

= بالناس؟ قال: صلى بهم سبع عشرة صلاة. دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٩٧، وقد استنتج البيهقي من جملة الروايات أن أبا بكر رضي الله عنه صلى بالناس صلاة العشاء الآخرة ليلة الجمعة، ثم صلى بهم خمس صلوات يوم الجمعة، ثم خمس صلوات يوم السبت، ثم خمس صلوات يوم الأحد، ثم صلى بهم صلاة الصبح يوم الاثنين، وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك اليوم.«دلائل النبوة للبيهقي ٧/ ١٩٧».

(١) قال صاحب السيرة الحلبية بعد أن ساق بعض الأحاديث الواردة في صلاته صلى الله عليه وسلم إلى جنب أبي بكر رضي الله عنه؛ قالَ معقباً على ذلك في كتابه: «السيرة الحلبية» ٣/ ٣٤٩:

«إن منعه صلى الله عليه وسلم أبا بكر رضي الله تعالى عنه من التأخر مع صلاته على يسار أبي بكر أو على يمينه يدل على أن أبا بكر رضي الله تعالى عنه، لم يقتد بالنبي صلى الله عليه وسلم بل استمر إماماً، إذ لا يجوز عندنا أن يقتدي أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم مع تقدم أبي بكر عليه صلى الله عليه وسلم في الموقف، وحينئذ يخالف ذلك قول فقهائنا: إن الصحابة رضي الله عنهم، اقتدوا برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اقتدائهم بأبي بكر، وجعلوه دليلاً على جواز الصلاة بإمامين على التعاقب، إذ لا يحسن ذلك إلا أن يكون أبو بكر رضي الله تعالى عنه، تأخر ونوى الاقتداء به صلى الله عليه وسلم، إلا أن يقال: يجوز أن تكون صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر تكررت؛ ففي مرة منعه صلى الله عليه وسلم من التأخر واقتدى به، وفي مرة تأخر أبو بكر رضي الله عنه عن موقفه واقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد اقتدائهم بأبي بكر، وصار أبو بكر يُسمع الناسَ بالتكبير، ولا ينافي ذلك قول =

قال عبيد الله بن عبيد الله بن عتبة في حديثه: فدخلت على عبد الله بن عباس رضي الله عنهما؛ فقلت: ألا أعرض عليك ما حدثتني [عائشة عن]مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هات. فعرضت عليه حديثها فما أنكر منه شيئاً غير أنه قال: أسمَّت لك الرجل الذي كان مع العباس؟ [قلت: لا]، قال: هو علي[1].

وحديث عبيد الله هذا أخرج في الصحيحين.

وروي أن أبا بكر صلى بالناس في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع عشرة صلاة، ويقال: ثلاثة أيام[2].

[خروج النبي صلى الله عليه وسلم صبيحة يوم وفاته]

وفي الصحيحين أيضاً أن أنس بن مالك الأنصاري رضي الله عنه [وكان تبع النبي صلى الله عليه وسلم وخدمه وصحبه]، قال: إن أبا بكر

= البخاري: «الرجل يأتم بالإمام ويأتم الناس بالمأموم» لجواز أن يكون المراد يقتدون ويتبعون تكبير المأموم.

ثم رأيت الترمذي رحمه الله تعالى صرح بتعدد صلاته صلى الله عليه وسلم خلف أبي بكر رضي الله عنه، حيث قال: » ثبت أنه صلى الله عليه وسلم صلى خلف أبي بكر مقتدياً به في مرضه الذي مات فيه ثلاث مرات، ولا ينكر هذا إلا جاهل لا علم له بالرواية «هذا كلامه، وبه يرد قول البيهقي رحمه الله تعالى: والذي دلت عليه الروايات أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى خلفه في تلك الأيام التي كان يصلي بالناس فيها مرة، وصلى أبو بكر رضي الله تعالى عنه خلفه صلى الله عليه وسلم مرة».

(١) الخبر في صحيح البخاري ١/ ١٧٦ باب إنما جعل الإمام ليؤتم به، و١/ ١٧٤ كتاب الصلاة، باب من قام إلى جنب الإمام لعلة، بنحوه دون قول عبيد الله.

وفي صحيح مسلم ١/ ٣١٢ كتاب الصلاة ـ باب استخلاف الإمام... الحديث رقم ٩٠.

وفي مسند الإمام أحمد ٢/ ٥٢، و٦/ ٢١٠ و٢٥١.

وفي سنن النسائي ٢/ ٢٠١، كتاب الإمامة، الائتمام بالإمام يصلي قاعداً.

وفي سنن الدارمي ١/ ٢٨٧، وفي سنن البيهقي ٣/ ٨٠و٨/ ١٥١، وفي دلائله ٧/ ١٩١.

وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢١٨، وفي ٣/ ١٧٩بنحوه.

(٢) الخبر في طبقات ابن سعد ٣/ ١٨٠، وتاريخ الطبري ٣/ ١٩٧.

كان يصلي بهم في وجع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي فيه، حتى إذا كان يوم الاثنين وهم صفوف في الصلاة، فكشف النبي صلى الله عليه وسلم ستر الحجرة ينظر إلينا وهو قائمٌ كأن وجهه ورقةُ مصحف، ثم تبسم يضحك؛ فهممنا أن نفتتن من الفرح برؤية رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنكص أبو بكر على عقبيه ليصل الصفَّ، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم خارجٌ إلى الصلاة، فأشار إلينا النبي صلى الله عليه وسلم: أن أتموا صلاتكم، وأرخى الستر، فتوفي من يومه[1].

[استئذان ملك الموت على الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم وآخر عهد جبريل عليه السلام بالدنيا]

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: إن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي قبض فيه، فقال: إن الله عز وجل يقرئك السلام، ويقول لك: كيف تجدك؟ قال: أجدني يا أمين الله وجعاً، من هذا الذي معك؟ قال: هذا ملك الموت، وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك، وإني لا أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبداً[2].

---

(١) الخبر في البخاري ١/ ١٧٣ كتاب الصلاة - باب أهل العلم والفضل أحق بالإمامة، وفيه أيضاً ١/ ١٩١ كتاب الصلاة - باب هل يلتفت لأمر ينزل، وفي ٢/ ٨٠ باب من رجع القهقرى في الصلاة، وفي ٦/ ١٥ كتاب المغازي - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته.

وفي صحيح مسلم ١/ ٣١٥، كتاب الصلاة - باب استخلاف الإمام إذا عرض له عذر، الحديث ٩٨.

وفي مسند الإمام أحمد ٣/ ١١٠، ١٦٣، ١٩٦، ٢٠٢.

وفي سنن البيهقي ٣/ ٧٥ و٤/ ٧ و٨/ ١٥٢، وفي دلائله ٧/ ١٩٤، وفي سنن النسائي ٤/ ٧، كتاب الجنائز - الموت يوم الاثنين، باختصار، وفي سنن ابن ماجة ١/ ٥١٩ كتاب الجنائز - باب ما جاء في ذكر مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث رقم ١٦٢٤ باختصار، وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢١٦ و٢١٧ بنحوه.

(٢) ذكره الصالحي الشامي نقلاً عن ابن الجوزي بسنده إلى أبي هريرة رضي الله عنه «سبل الهدى والرشاد» ١٢/ ٢٦٣.

=

= وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما قال: سمعت أبي يقول: لما كان قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه جبريل عليه السلام فقال: يا محمد!! إن الله عز وجل أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك، أسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أجدني يا جبريل مغموماً، وأجدني يا جبريل مكروباً» فلما كان اليوم الثالث هبط جبريل عليه السلام، وهبط ملك الموت عليه السلام، وهبط معهما ملك في الهواء يقال له اسماعيل على سبعين ألف ملك ليس فيهم ملك إلا على سبعين ألف ملك يشيعهم جبريل عليه السلام، فقال: يا محمد! إن الله عز وجل أرسلني إليك إكراماً لك وتفضيلاً لك وخاصة لك، أسألك عما هو أعلم به منك، يقول: كيف تجدك؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أجدني يا جبريل مغموماً وأجدني يا جبريل مكروباً» قال: فاستأذن ملك الموت على الباب، فقال جبريل: يا محمد! هذا ملك الموت يستأذن عليك وما استأذن على آدمي قبلك ولا يستأذن على آدمي بعدك، فقال: «ائذن له»، فأذن له جبريل، فأقبل حتى وقف بين يديه، فقال: يا محمد! إن الله عز وجل أرسلني إليك، وأمرني أن أطيعك فيما أمرتني به، إن تأمرني أن أقبض نفسك قبضتها، وإن كرهت تركتها، قال: «وتفعل يا ملك الموت؟» قال: نعم، وبذلك أمرت أن أطيعك فيما أمرتني به، فقال له جبريل عليه السلام: إن الله عز وجل قد اشتاق إلى لقائك، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غمض لما أمرت به» فقال له جبريل عليه السلام: «هذا آخر وطأتي في الأرض إنما كنتَ حاجتي في الدنيا». رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٤ وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث.

ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٥٨، والبيهقي في الدلائل ٧/ ٢١٠و٢٦٧، وذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٣٣٨.

ورواه ابن عساكر في تاريخ دمشق بنحوه، باختصار وزاد فيه: «قال جبريل: هذا ملك الموت وهذا آخر عهدي بالدنيا وآخر عهدك بها، ولن آسى على هالك من ولد آدم بعدك، ولن أهبط إلى الأرض إلى أحد بعدك أبداً، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم سكرة الموت وعنده قدح فيه ماء فكلما وجد سكرة أخذ من ذلك الماء فمسَّ به وجهه وهو يقول: اللهم أعني على سكرة الموت».

مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٧٥.

[معالجة الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم سكرات الموت]

فوجد رسول الله صلى الله عليه وسلم سكرات الموت وعنده قدح فيه ماء، فكلما وجد سكرة أخذ من ذلك الماء فمس به وجهه ويقول: «اللهم أعنّي على سكرات الموت»[1].

[تأثر فاطمة رضي الله عنها لمعاناة أبيها صلى الله عليه وسلم]

وروى ثابت عن أنس رضي الله عنه، قال: لما ثقل النبي صلى الله عليه وسلم جعل يتغشاه الكرب، فقالت فاطمة رضي الله عنها: واكرب أبتاه!!. فقال لها عليه الصلاة والسلام: ليس على أبيك كرب بعد اليوم[2].

فلما مات قالت: يا أبتاه!! أجاب رباً دعاه، يا أبتاه جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل أنعاه[3]. فلما دفن، قالت فاطمة رضي الله

---

(١) روى الترمذي بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بالموت وعنده قدح فيه ماء وهو يدخل يده في القدح، ثم يمسح وجهه بالماء ثم يقول: «اللهم أعني على غمرات الموت» أو «سكرات الموت».
قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب.
ورواه الإمام أحمد في المسند ٦/ ٦٤، ٧٠، ٧٧، ١٥١.
والحاكم في المستدرك ٢/ ٤٦٥، و٣/ ٥٦، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي.
ورواه ابن ماجة في سننه ١/ ٥١٨ كتاب الجنائز، باب ما جاء في مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم، الحديث ١٦٢٣، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٥٨، والطبري في التاريخ ٣/ ١٩٧ و١٩٨، والبيهقي في دلائله ٧/ ٢٠٧، وذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٣٣٨.

(٢) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ١٨ كتاب المغازي - باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته. وفي سنن البيهقي ٣/ ٤٠٩، وله في دلائل النبوة أيضاً ٧/ ٢١٢، وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٣١١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٧٥.

عنها: يا أنس! أطابت أنفسكم أن تحثوا على نبيكم رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب؟[1]. انفرد بإخراجه البخاري.

[غسل النبي صلى الله عليه وسلم وتسمية من حضر غسله]

قال صاحب لباب النقول: ومن عجائب ما اتفق بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ما رواه عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما أخذنا في جهازه أُمِرَ بالباب فأغلق دون الناس جميعاً، فنادت الأنصار: نحن أخواله، ومكاننا في الإسلام مكاننا، وهو ابن أختنا!!. ونادت قريش: نحن عصبته.

فصاح أبو بكر: يا معشر المسلمين!!! كل قوم أحق بجنازتهم من غيرهم، [فننشدكم الله، فإنكم إن دخلتم أخَّرتموهم عنه، والله لا يدخل عليه إلا من دعي][2].

فانطلقوا إلى العباس فكلموه، فكلمته الأنصار، فأدخلوا أوس بن خَوْلِي، فكان في ناحية من البيت.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: فبينا هم يختلفون في غسله صلى الله عليه وسلم، وقد أحضروا الماء من بئر غرس[3]، وأحضروا سدراً وكافوراً، أرسل الله عليهم النوم، فما منهم رجل إلا واضعاً لحيته على

(١) رواه البخاري في صحيحه ٦/ ١٨، كتاب المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته، وفي مسند الإمام أحمد ٣/ ٢٠٤، وفي المستدرك ١/ ٣٨١، وفي سنن الدارمي ١/ ٤١، وفي سنن ابن ماجة ١/ ٥٢٢، كتاب الجنائز، باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم ١٦٣٠، وفيه زيادة: «قال حماد: فرأيت ثابتاً حين حدَّث بهذا الحديث بكى حتى رأيت أضلاعه تختلف» وفي سنن البيهقي ٣/ ٤١٠، وفي دلائله ٧/ ٢١٣، وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٣١١.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢١٣. وذكره الصالحي في سبل الهدى والرشاد عنه ١٢/ ٣٢١.

(٣) بئر غرس: بئر في المدينة كان النبي صلى الله عليه وسلم يستطيب ماءها. «معجم البلدان».

صدره، وقائل يقول ـ ما يدرى من هو ـ: «اغسلوا نبيكم وعليه قميصه»، فَغُسِّل في القميص، وغُسِّلَ الأولى بالماء القراح، وغُسِّلَ في الثانية بالماء والسدر، والثالثة بالكافور[(١)].

وغسّله علي والفضل بن العباس، وكان الفضل رجلاً أيِّداً، وكان يقلبه شقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وروي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لو استقبلت من أمري ما استدبرت، ما غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا نساؤه»[(٢)]، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قبض اختلف أصحابه في غسله، فقال بعضهم: اغسلوه وعليه ثيابه، فبينما هم كذلك أخذتهم نعسة، فوقع لحي كل إنسان على صدره، قال: فقال قائل لا يدرى من هو: اغسلوه وعليه ثيابه.

وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سأله ماهان الحنفي قال: قلت: كيف غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: [ضرب عليه العباس كِلَّةً[(٣)] له من ثيابه يمانية صفاق فصارت سنة هنا، وفي كثير من صالحي الناس، ثم أذن لرجال بني هاشم، فقعدوا بين الحيطان والكِلَّة، وسأله الأنصار أن يدخل لهم رجلاً، فأدخل أوس بن خَوْلِيّ، ثم دخل العباس الكِلَّة ودعا علياً والفضل وأبا سفيان وأسامة رضي الله عنهم،

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢/ ٣٩٢ وفيه زيادة: «فغسل في القميص، وغسل الأولى بالماء القراح، والثانية بالماء والسدر، والثالثة بالماء والكافور».

(٢) رواه أحمد في المسند٦/ ٢٦٧، والحاكم في المستدرك ٣/ ٥٩، وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، وابو داود في سننه ٣/ ٥٠٢، كتاب الجنائز، باب في ستر الميت عند غسله الحديث رقم ٣١٤١، والبيهقي في سننه ٣/ ٣٨٧، وفي دلائله ٧/ ٢٤٢، والطبري في التاريخ ٣/ ٢١٢، وروى طرفه الأخير ابن ماجة في سننه ١/ ٤٧٠، كتاب الجنائز باب ما جاء في غسل الرجل امرأته... الحديث رقم ١٤٦٤، والبيهقي في السنن ٣/ ٣٩٨، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٧٦.

(٣) الكِلَّة: الستر الرقيق يخاط كالبيت، يتوقى فيه من البق. ذكره الجوهري في الصحاح.

فكان الفضل يصب الماء، والمعونية في أسفله الصب، فإذا شغله الصب أعقبه أبو سفيان وأسامة، فلما اجتمعوا في الكِلَّة ألقى الله عليهم النعاس وعلى من وراء الكِلَّة في البيت حتى ما منهم أحد إلا وذقنه في صدره يغط، فناداهم مناد: أن انتبهوا، وهو يقول: «ألا لا تغسلوا النبي صلى الله عليه وسلم فإنه كان طاهراً». فقال العباس: ألا بلى. وقال أهل البيت: صدق، فلا تغسلوه. فقال العباس: لا ندع سنة لصوت لا ندري ما هو.

وغشيهم النعاس ثانية، فناداهم مناد [فانتبهوا] وهو يقول: اغسلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [وعليه ثيابه]، فقال أهل البيت: ألا لا. فقال العباس: ألا نعم. وقد كان العباس حين دخل قعد متربعاً وأقعد علياً متربعاً، فتواجها، وأقعد النبي صلى الله عليه وسلم على حجرهما، فنودوا: أن أضجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم [على ظهره]، ثم اغسلوه، واستروا، فبازوا[1] عن الصفيح، وأضجعاه، فغرَّبا رجل الصفيح وشرَّقا رأسه الشريف صلى الله عليه وسلم، ثم أخذوا في غسله، وما يريان أنه ينبغي لهما أن يأتيا على شيء [إلا قلب لهما] ورفع لهما، وعليه قميص ومِجْوَل[2] مفتوح الشق ولم يغسل إلا بالماء القراح، وطيبوه بالكافور، ثم اعتصروا قميصه ومجوله، وحنطوا مساجده ومفاصله، ووضؤوا به ذراعيه، ووجهه، وكفيه، وقدميه، ثم أدرجوا أكفانه على قميصه ومجوله، وجمَّروه عوداً وندأ، ثم احتملوه حتى وضعوه على سريره، وسجوه[3].

---

(١) باز عنه: حاد. لسان العرب ـ مادة بيز.

(٢) المجول: بكسر الميم وسكون الجيم وفتح الواو: ثوب يثنى ويخاط من أحد شقيه. لسان العرب: مادة «جول».

(٣) مختصر تاريخ دمشق لابن منظور ٣٩٤.

وروي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: كفن رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب يمانية بيض سحولية [من كرسف][1]، ليس فيها قميص ولا عمامة[2].

وقد كان شقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حفرته أخذ قطيفة قد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفرشها، فدفنها معه في القبر، وقال: والله لا يلبسها أحد بعدك[3].

[أحدث الناس عهداً بالحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم]

قال صاحب لباب المنقول: ولا خلاف أن قثم بن العباس رضي الله عنهما كان آخر عهد برسول الله صلى الله عليه وسلم، لأنه آخر من صعد من قبره عليه أفضل الصلاة وأتم التسليمات[4]. **وقد كان المغيرة بن شعبة**

---

(١) الكرسف: القطن «النهاية: ٤/ ١٦٣».

(٢) رواه البخاري ٢/ ٩٥ كتاب الجنائز، باب الثياب البيض للكفن. والخبر في صحيح مسلم أيضاً ٢/ ٩٧ و١٢٧، كتاب الجنائز ـ باب الكفن بغير قميص، باب الكفن ولا عمامة، باب موت يوم الاثنين. وفي مسند الإمام أحمد ٦/١١٨، ١٦٥، ٢٠٤. وفي مواضع أخرى غيرها. وفي الموطأ ١٤٩، غسل الميت، وفي سنن أبي داود ٣/ ٥٠٦، كتاب الجنائز ـ باب في الكفن الحديث رقم ٣١٥١، وفي سنن النسائي ٤/ ٣٥، كتاب الجنائز، كفن النبي صلى الله عليه وسلم، وفي المستدرك ٣/ ٦٥، بعضه.
وفي سنن البيهقي ٣/ ٣٩٩، و٤/ ٣١، وفي دلائله ٧/ ٢٤٦، وما بعدها. وفي طبقات ابن سعد ٢/ ٢٨٢، ٢٨٣. وفيه زيادة: «ليس فيها قباء»، وفي٣/ ٢٠١، وفي عيون الأثر ٢/ ٣٣٩.

(٣) رواه ابن ماجة في سننه ١/ ٥٢١، كتاب الجنائز ـ باب ذكر وفاته ودفنه صلى الله عليه وسلم، الحديث رقم ١٦٢٨، وفي سنن البيهقي ٤/ ٥٣، وفي دلائل النبوة له ٧/ ٢٥٤، وفي تاريخ الطبري ٣/ ٢١٣، وبعضه في طبقات ابن سعد ٢/ ٢٩٩.

(٤) قال ابن إسحاق بسنده عن مقسم أبي القاسم مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل عن مولاه عبد الله بن الحارث قال: اعتمرت مع علي بن أبي طالب رضوان الله عليه، في زمان عمر أو زمان عثمان، فنزل على أخته أم هانيء بنت أبي طالب، فلما فرغ من عمرته رجع، فسكب له غسل، فاغتسل، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق، فقالوا: يا أبا حسن! جئناك نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه، قال: أظن =

يدّعي أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: أخذت خاتمي فألقيته في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقلت حين خرج القوم: إن خاتمي قد سقط في القبر، وإنما طرحته لأمسّ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكون آخر الناس عهداً به[1].

وهذا الحديث غير صحيح، أخبر به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فردّه على من رواه عن المغيرة بن شعبة من أهل العراق، وقال: كذب المغيرة، وكان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن العباس[2].

عظم المصيبة وما نزل بالمسلمين بموته صلى الله عليه وسلم وبعض ما رثي به صلى الله عليه وسلم من الشعر

[عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سيعزي الناس بعضهم بعضاً من بعدي تعزية نبي» وكان الناس يقولون: ما هذا؟، فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لقي بعضنا بعضاً يعزي بعضهم بعضاً برسول الله صلى الله عليه وسلم][3].

= المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم، قالوا: أجل. عن ذلك جئناك نسألك، قال: أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن عباس».

رواه الإمام أحمد في المسند ١/ ١٠١، والطبري في التاريخ ٣/ ٢١٤، والبيهقي في الدلائل ٧/ ٢٥٧، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٠٤، بنحوه وزاد فيه: «كان أصغر من كان في القبر، وكان آخر من صعد».

(١) رواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٦١، وقال: رواه الطبراني وإسناده حسن.
ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٣٠٣، وابن هشام في السيرة ٤/ ٣٤٤، والطبري في التاريخ ٣/ ٢١٤، والبيهقي في الدلائل ٧/ ٢٥٧.

(٢) انظر تخريج الحديث ما قبل السابق.

(٣) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٨، وقال: رواه أبو يعلى والطبراني، ورجالهما =

وروى الحاكم في المستدرك بسنده عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، عزَّتهم الملائكة يسمعون الحسَّ، ولا يرون الشخص، فقالت: السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفاً من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المحروم من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

= رجال الصحيح غير موسى بن يعقوب الزمعي ووثقه جماعة، ورواه ابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٧٤.

(١) قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ورواه البيهقي في سننه ٤/ ٦٠، وفي دلائله ٧/ ٢١١، ٢٦٨، ٢٦٩. وأبو نعيم في دلائله ٢/ ٧٢٢، وابن سعد في طبقاته، ٢/ ٢٥٩، ٢٧٥. بنحوه، عن جابر، وابن عباس، في سياق حديث طويل، وقال: رواه الطبراني وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث. ورحم الله القائل «شعراً»:

اصبر لكل مصيبة وتجلَّدِ ... واعلم بأن المرء غير مخلَّد
واصبر كما صبر الكرام فإنها ... نُوَبٌ تنوب اليوم تكشف في غد
وإذا أتتك مصيبة تسجى بها ... فاذكر مصابك بالنبي محمدِ

وقال القائل:

تذكَّرت لما فرّق الدهر بيننا ... فعزيت نفسي بالنبي محمد
وقلت لها إن المنايا سبيلنا ... فمن لم يمت في يومه مات في غد

قال ابن المنير: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسجَّته الملائكة، ودهش الناس، واختلف أحوالهم في ذلك، وأفحموا واختلطوا، فمنهم من خبل، ومنهم من أقعد، ومنهم من أصمت، فلم يطق الناس الكلام، ومنهم من أخبل فكان عمر فجعل يجلب ويصيح: ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى ابن عمران حين غاب عن قومه أربعين ليلة، ثم رجع إليهم، وكن ممن أقعد، وفي لفظ«عقر «علي فلم يستطع حراكاً، وكان ممن أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاماً، وأما عبد الله بن أنيس فأضنى حتى مات كمداً.

وروى ابن سعد عن عكرمة قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا: عرج بروحه كما عرج بروح عيسى، الحديث، وقال العباس رضي الله تعالى عنه: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأسن كما يأسن البشر وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد =

= مات... إلخ فهذا مرسل كما ترى ورواه إسحاق بن راهويه بسند رجاله رجال البخاري إلا أن عكرمة لم يسمع من العباس فإن كان الواسطة بينهما عبد الله بن عباس فهو صحيح، وقد رواه الطبراني من طريق ابن عيينة عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس عن العباس بنحوه، وهو على شرط البخاري.

قال الحافظ ابن حجر مما وجد بخطه: وهذا الذي قاله العباس لم ينقله عن توقيف بل اجتهاد على العادة ولا يستلزم أن يقع ذلك، ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم تزينت الجنان لقدوم روحه الكريمة، كزينة المدينة يوم قدومه وإذا كان عرش الرحمن قد اهتزّ بموت بعض أتباعه فرحاً واستبشاراً فكيف بقدوم روح الأرواح؟ وكادت الجمادات تتصدع من ألم مفارقته، صلى الله عليه وسلم، فكيف بقلوب المؤمنين، لما فقد الجذع الذي كان يخطب إليه قبل اتخاذ المنبر حنَّ وصاح، كان الحسن إذا حدّث بهذا الحديث بكى وقال: هذه خشبة تحنّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنتم أحق أن تشتاقوا إليه.

فلو ذاق من طعم الفراق رضوى ... لكان من وجْدِهِ يميدُ
فقد حمَّلوني عذاب شوقٍ ... يعجز عن حمله الحديدُ

وقال غيره:

وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً ... فأصبح يدعى حازماً حين يجزع

وروى أبو الحسن البلاذري عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: بكى الناس يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى النساء في الخدور، وكادت البيوت تسقط من الصراخ.

وروى ابن عساكر عن أبي ذؤيب الهذلي: أنه لما قدم المدينة يوم مات رسول الله صلى الله عليه وسلم فإذا لها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج إذا أهلُّوا بالإحرام.

وروى ابن سعد عن القاسم بن محمد أن رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب بصره فدخل عليه أصحابه يعودونه، فقال: إنما كنت أريدهما لأنظر بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأما إذا قبض الله نبيه فما يسرني أن ما بهما بظبي من ظباء تبالة.

وروى الإمام أحمد وأبو يعلى بسند صحيح، وابن أبي شيبة، والبزار، والطبراني، عن الزهري قال: أخبرني رجل من الأنصار من أهل الثقة، وأبو عبد الله بن سعد، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعنا عثمان بن عفان يقول: لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسوس رجالٌ، فإن كنت فيمن وسوس، فمر عليَّ عمر فسلَّم فلم أرد عليه ما علمت بتسليمه.. إلخ. =

ورثى جماعة من الآل والأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مراثي كثيرة:

فمنها: ما روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

لما رأيت نبينا متجدلا ... ضاقت علي بعرضهن الدورُ
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه ... والعظم مني ما حييت كسير
أعتيق ويحك إن حبك قد ثوى ... وبقيت منفرداً وأنت حسيرُ
يا ليتني من قبل مهلك صاحبي ... غيبت في جدث علي صخور
فلتحدثن بدائع من بعده ... تعيا بهن جوانح وصدور(1)

= وروى الإمام أحمد والترمذي وحسّنه، والبيهقي بسند قال ابن كثير: على شرط الشيخين، عن أنس، رضي الله تعالى عنه قال: لما كان اليوم الذي دخل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أضاء منها كل شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظلم من المدينة كل شيء. وفي رواية: أظلمت المدينة حتى لم ينظر بعضنا إلى بعض، وكان أحدنا يبسط يده فلا يبصرها، وفي رواية: فلم أر يوماً أقبح منه فما فرغنا من دفنه حتى أنكرنا قلوبنا، انتهى.

وأنشد بعض الأنصار عند موته صلى الله عليه وسلم:

فالصبر يحمد في المصائب كلها ... إلا عليك فإنه مذموم

ولولا أن الله سبحانه وتعالى ربط على القلوب من بعده بأمر من عنده لأورث مكانها كمداً، ولما وجدت إلى البقاء مستلفا، ولا عن وحي الغناء ملتحدا.

(1) وقال رضي الله تعالى عنه أيضاً:

أجدك ما لعينك لا تنام ... كأن جفونها فيها كلام
بوقع مصيبة عظمت وجلّت ... فدمع العين أهونه انسجام
فجعنا بالنبي وكان فينا ... مقدّمنا، وسيدنا الإمام
ننوح ونشتكي ما قد لقينا ... ويشكو فقده البلد الحرام
كأن أنوفنا لاقين جدعاً ... لفقد محمد فيها اصطلام
لفقد أغرّ أبيض هاشمي ... إمام نبوة وبه الختام
أمين، مصطفى للخير يدعو ... كضوء البدر زايله الظلام
سأتبع هديه ما دمت حياً ... طوال الدهر ما سجع الحمام
كأن الأرض بعدك طار فيها ... فأشعلها لساكنها ضرام
وفقد الوحي إذ ولّيت عنا ... وودّعنا من الله الكلام =

ورثته عمته صفية رضي الله عنها بمراثي كثيرة منها هذه الأبيات مختصرة من أبيات طويلة:

فقدت أرضنا هناك نبيا ... كان يروى به النبات زكيا
خلقاً عالياً وديناً كريماً ... وصراطاً يهدي الأنام سويا
وسراجاً يجلو الظلام منيراً ... ونبياً مسدَّداً عربيا
حازماً عازماً كريماً حليماً ... عائداً بالنوال براً تقيا
إن يوماً أتى عليك ليوم ... كورت شمسه وكانت جليا
فعليك السلام منا ومن ... ربك بالروح بكرة وعشيا[1]

= سوى أن قد تركت لنا سراجاً ... تواريه القراطيس الكرام
لقد ورَّثتنا مرآة صدق ... عليك به التحية والسلام
من الرحمن في أعلى جنان ... من الفردوس طاب بها المقام
رفيق أبيك إبراهيم فيه ... ومافي مثل صحبته ندام
وإسحاق وإسماعيل فيه ... بما صلوا لربهم وصاموا

وقال أيضاً رضي الله عنه:

يا عين فابكي ولا تسأمي ... وحُقَّ البكاء على السيدِ
فصلى المليك ولي العباد ... وربُّ البلاد على أحمد
فكيف الحياة لفقد الحبيب ... وزين المعاشر في المشهد
فليت الممات لنا كلنا ... وكنا جميعاً مع المهتدي

وقال أيضاً رضي الله عنه:

باتت تأوّبني هموم حُشَّد ... مثل الصخور فأمست هدَّت الجسدا
ياليتني حيث نُبِّئت الغداة به ... قالوا الرسول قد امسى ميِّتاً فقدا
ليت القيامة قامت بعد مهلكه ... ولا نرى بعده مالاً ولا ولدا
والله لن أثني على شيء فجعت به ... من البريَّة حتى أدخل اللحدا
كم لي بعدك من هم ينصّبني ... إذا تذكرت أني لا أراك أبدا
كأن المصفاء في الأخلاق قد علموا ... وفي العفاف فلم نعدل به أحدا
نفسي فداؤك من ميت ومن بدنٍ ... ما أطيب الذكر والأخلاق والجسدا

(١) **وقالت أيضاً رضي الله عنها:**

أفاطم بكي ولا تسأمي ... بصبحك ما طلع الكوكب
هو المرء يبكي وحق البكا ... هو الماجد السيد الطيب =

وروي عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، سمعوا صوتاً ولم يروا شخصاً وهو يقول: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، كل نفس ذائقة الموت، وإنما توفون أجوركم يوم القيامة، وإن في الله عز وجل لعزاء من كل هالك، ودركاً من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، واعلموا أن المصاب من حرم الثواب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته»[1].

= فأوحشت الأرض من فقده ... وأي البرية لا ينكب
فما لي بعدك حتى المما ... ت إلا الجوى الداخل المنصب
فبكي الرسولَ وحقت له ... شهود المدينة والغُيَّبُ
لتبكيك شمطاء مضرورة ... إذا حجب الناس لا تحجب
ليبكيك شيخ أبو ولدة ... يطوف بعقوته أشهب
ويبكيك ركب إذا أرملوا ... فلم يلف ما طلب الطلب
وتبكي الأباطح من فقده ... وتبكيه مكة والأخشب
وتبكي وعيرة من فقده ... بحزن ويسعدها الميثب
فعيني ما لك لا تدمعي ... ين وحق لدمعك يستكب

وقالت رضي الله عنها ـ كما في سلوة الكئيب بوفاة الحبيب للحافظ شمس الدين بن ناصر:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا بَرّاً ولم تك جافيا
وكنت بنا رؤوفاً رحيماً نبينا ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
أفاطم صلى الله رب محمد ... على جدث أمسى بيثرب ثاويا
أرى حسناً أيتمته وتركته ... يبكي ويدعو جده اليوم نائيا
فدى لرسول الله أمي وخالتي ... وعمي ونفسي قصرة ثم خاليا
صبرت وبلغت الرسالة صادقاً ... وقد متَّ صلب الدين أبلج صافيا
فلو أن رب العرش أبقاك بيننا ... سعدنا ولكن أمره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية ... وأدخلت جنات من العدن راضيا

(١) روى الحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، عزَّتهم الملائكة يسمعون الحس، ولا يرون الشخص، فقالت: «السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله وبركاته، إن في الله عزاء من كل مسيبة، وخلفاً من كل فائت، فبالله فثقوا، وإياه فارجوا، فإنما المحروم من حرم الثواب، =

وبكى أبو سفيان بن الحارث رضي الله عنه [ابن عم النبي صلى الله عليه وسلم] فقال:

أرقت وبات ليلي لا يزول ... وليل أخي المصيبة فيه طول
وأسعدني البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
فقد عظمت مصيبتنا وجلّت ... عشية قيل قد قبض الرسول
فظل الناس منقطعين فيها ... كأن الناس ليس لهم حويل[1]
كأن الناس إذ فقدوه عمي ... أضر بلبّ حازمهم غليل[2]
وحق لتلك مرزئة علينا ... وحق لها تطير لها العقول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحي والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كادت تسيل
أصبنا بالنبي وقد رزانا[3] ... مصيبتنا فمحملها ثقيل
نبي كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالاً ... علينا والرسول لنا دليل
يخبرنا بظهر الغيب عما ... يكون فلا يخون ولا يحول
فلم نر مثله في الناس حياً ... وليس له من الموتى عديل
أفاطمُ إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعي فهو السبيل

= والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. قال الحاكم: هذا الحديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأقره الذهبي، ورواه البيهقي في سننه ٤/ ٦٠، وفي دلائله ٧/ ٢١١، ٢٦٨، ٢٦٩. وأبو نعيم في دلائل النبوة ٢/ ٧٢٢، وابن سعد في الطبقات ٢/ ٢٥٩، ٢٧٥. وذكره ابن سيد الناس في عيون الأثر ٢/ ٣٣٨، ورواه الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/ ٣٥، بنحوه عن جابر وابن عباس في سياق حديث طويل، وقال: رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن ميمون القداح وهو ذاهب الحديث.

(١) الحويل: القدرة على التصرف.
(٢) الغليل: حرارة الحزن.
(٣) رزانا: أي أصابنا.

فعوذي بالعزاء فإن فيه ثواب الله والفضل الجزيل[1]
وقولي في أبيك ولا تملي وهل يجزي بفعل أبيك قيل
فقبر أبيك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول
صلاة الله من رب رحيم عليه لا تحول ولا تزول[2]

(١) قوله «فعوذي» أي التجئي، والعزاء: الصبر، واسم «إن» فيه ضمير الشأن محذوف.

(٢) ومن مراثيه صلى الله عليه وآله وسلم:

قال حسان بن ثابت رضي الله عنه «المتوفى سنة ٤٠هجرية» يرثي النبي صلى الله عليه وسلم، كما في سيرة ابن هشام يرويها عن أبي زيد الأنصاري:

بطيبة رسم للرسول ومعهد منير وقد تعفو الرسول وتمهد
ولا تنمحي الآيات من دار حرمة بها منبر الهادي الذي كان يصعد
وواضح آيات وباقي معالم وربع به فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد
معالم لم تطمس على العهد آيها أتاها البلى فالآي منها تجدّد
عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبراً به واراه في الترب ملحد
ظللت بها أبكي الرسول فأسعدت عيونٌ ومثلاها من الجفن تسعد
تذكّر آلاء الرسول وما أرى لها محصياً نفسي فنفسي تبلّدُ
مفجّعةٌ قد شفّها فقدُ أحمدٍ فظلّت لآلاء الرسول تعدّدُ
وما بلغت من كل أمر عَشيرَه ولكنّ نفسي بعض ما فيه تحمدُ
أطالت وقوفاً تذرف العين جهدَها على طلل القبر الذي فيه أحمدُ
فبُوركتَ يا قبرَ الرسول وبُوركتْ بلادٌ ثوى فيها الرشيد المسدَّدُ
وبُورك لحدٌ منك ضُمّن طيّباً عليه بناءٌ من صفيح منضّدُ
تهيل عليه التُّرْبَ أيدٍ وأعينٌ عليه وقد غارت بذلك أسعُدُ
لقد غيّبوا حِلماً وعِلماً ورحمةً عشية علّوه الثرى لا يوسَّدُ
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهورٌ وأعضدُ
يبكّونَ من تبكي السماوات يومَه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوماً رزيّةُ هالكٍ رزيّةَ يومِ مات فيه محمدُ
تقطّع فيه منزل الوحي عنهم وقد كانَ ذا نورٍ يغور وينجدُ
يدلُّ على الرحمن من يقتدي به ويُنقذُ من هول الخزايا ويرشدُ
إمامٌ لهم يهديهم الحقَّ جاهداً معلّمُ صدقٍ إن يطيعوه يسعدوا =

= عفوٌّ عن الزلات يقبل عذرهم وإن يحسنوا فالله بالخير أجودُ
وإن ناب أمرٌ لم يقوموا بحمله فمن عنده تيسير ما يتشدَّدُ
فبينا همُ في نعمة الله بينهم دليلٌ به نهج الطريقة يقصد
عزيزٌ عليه أن يحيدوا عن الهدى حريصٌ على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوفٌ عليهم لا يُثَنِّي جناحَهُ إلى كنفٍ يحنو عليهم ويمهدُ
فبينا همُ في ذلك النور إذ غدا إلى نورهم سهمٌ من الموت مُقصِدُ
فأصبح محموداً إلى الله راجعاً يُبَكِّيه جفنُ المرسلات ويحمدُ
وأمست بلاد الحَرْمِ وحشاً بقاعُها لغيبة ما كانت من الوحي تعهدُ
قفاراً سوى معمورةِ اللحد ضافها فقيدٌ يُبَكِّيه بلاطٌ وغرقدُ
ومسجده فالموحشات لفقده خلاءٌ له فيه مقام ومقعدُ
وبالجمرة الكبرى له ثَمَّ أوحشت ديارٌ وعرْصاتٌ وربعٌ ومولدُ
فَبَكِّي رسولَ الله يا عين عبرةً ولا أعرفنْكِ الدهرَ عينك يجمدُ
وما لك لا تبكين ذا النعمة التي على الناس منها سابغٌ يتغمَّدُ
فجودي عليه بالدموع وأعولي لفقدِ الذي لا مثلُه الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثلَ محمدٍ ولا مثلُه حتى القيامةِ يُفقَدُ
أعفَّ وأوفى ذمّةً بعد ذمَّةٍ وأقرب منه نائلاً لا ينكَّدُ
وأبذلَ منه للطريف وتالدٍ إذا ضنَّ معطاءٌ بما كان يتلدُ
وأكرم حيّاً في البيوت إذا انتمى وأكرم جَداً أبطحيّاً يسوَّدُ
وأمنع ذِرْواتٍ وأثبتَ في العلى دعائمَ عزٍّ شاهقات تُشَيَّدُ
وأثبتَ فرعاً في الفروع ومنبتاً وعُوداً غداة المزن فالعود أغيدُ
رباه وليداً فاستتمَّ تمامه على أكرم الخيرات ربٌّ ممجَّدُ
تناهت وَصاة المسلمين بكفه فلا العلم محبوسٌ ولا الرأي يَفْنَدُ
أقول ولا يُلفى لقولي عائبٌ من الناس إلا عازبُ القول مبعَدُ
وليس هوائي نازعاً عن ثنائه لعلّي به في جنّة الخلد أخلُدُ
مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهدُ

وقال حسانٌ رضي الله عنه «كما في سيرة ابن هشام أيضاً»:

ما بال عينك لا تنام كأنما كُحِلتْ مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدي أصبح ثاوياً يا خيرَ من وطيء الحصى لا تَبْعُدِ
وجهي يقيك التُّرْبَ لهفي ليتني غُيِّبْتُ قبلك في بقيع الغرقد
بأبي وأمي من شهدت وفاته في يوم الاثنين النبي المهتدي

= فظللت بعد وفاته متبلّداً — متلدّداً ياليتني لم أولدِ
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم — ياليتني صُبّحتُ سُمَّ الأسودِ
أو حلَّ أمر الله فينا عاجلاً — في روحةٍ من يومنا أو في غدِ
فتقومَ ساعتنا فنلقى طيّباً — محضاً ضرائبه كريم المحتدِ
يا بِكْرَ آمنةَ المبارك بكرها — ولدته محصنة بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها — من يُهْدَ للنور المبارك يهتدي
يا رب فاجمعنا معاً ونبينا — في جنةٍ تثني عيون الحُسَّدِ
في جنة الفردوس فاكتبها لنا — ياذا الجلال وذا العلا والسؤددِ
واللهِ أسمعُ ما بقيت بهالك — إلا بكيت على النبي محمدِ
يا ويح أنصار النبي ورهطه — بعد المغيَّب في سواء الملحد
ضاقتْ بالانصار البلاد فأصبحوا — سوداً وجوههم كلون الإثمدِ
ولقد ولدناه وفينا قبره — وفضول نعمته بنا لم يجحدِ
والله أكرمنا به وهدى به — أنصاره في كل ساعة مشهدِ
صلى الإله ومن يحفُّ بعرشهِ — والطيبون على المبارك أحمدِ

وقال حسان رضي الله عنه أيضاً «كما في سيرة ابن هشام»:

تَبَّ المساكينُ إن الخير فارقهم — مع النبي تولى عنهمُ سَحَرا
مَن ذا الذي عنده رَحلي وراحلتي — ورزق أهلي إذا لم يؤنسوا المطرا
أم من نعاتب لا نخشى جنادعه — إذا اللسان عتا في القول أو عثرا
كان الضياء وكان النورَ نتبعه — بعد الإله وكان السمعَ والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحده — وغيَّبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحداً — ولم يُعِشْ بعده أنثى ولا ذكر:
ذلَّت رقاب بني النجار كلُّهمُ — وكان أمراً من امر الله قد قُدرا

وقال حسان رضي الله عنه أيضاً «كما في سيرة ابن هشام»:

آليت مافي جميع الناس مجتهد؛ — مني ألِيَّةَ بِرٍّ غير إفناد
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت — مثل الرسول نبي الأمة الهادي
ولا برا الله خلقاً من بريته — أوفى بذمة جارٍ أو بميعادِ
من ذا الذي كان فينا يستضاء به — مباركَ الأمر ذا عدلٍ وإرشادِ
مصدِّقاً للنبيين الألى سلفوا — وأبذلَ الناس للمعروف للجادي
يا أفضل الناس إني كنت في نَهَرٍ — أصبحت منه كمثل المفرد الصادي

وقال في المواهب: ولقد أحسن حسان رضي الله عنه بقوله يرثي النبي صلى الله عليه

= وسلم حيث يقول:

كنت السوادَ لناظري ... فعمي عليك الناظرُ
من شاء بعدك فليمت ... فعليك كنت أحاذر

ومما يلحق بذلك ما نقله في المواهب اللدنية أيضاً عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: خرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته ليلة يحرس فرأى مصباحاً في بيت، فإذا عجوز تنفش صوفاً وتقول:

على محمد صلاة الأبرار ... صلى عليه الطيبون الأخيار
قد كنت قوّاماً بكي الاسحارْ ... يا ليت شعري والمنايا أطوار
هل تجمعني وحبيبي الدار

تعني النبي صلى الله عليه وسلم، فجلس عمر رضي الله عنه يبكي، ثم قام، فسلم عليها ثلاثاً، وقال لها: أعيدي عليَّ قولك، فأعادته بصوت حزين، فبكى وقال لها: وعمر لا تنسيه يرحمك الله، فقالت:

وعمر فاغفر له يا غفار

وقال حسان رضي الله عنه فيما ذكره ابن سعد:

يا عين جودي بدمع منك إسبالِ ... ولا تملَّنَّ من سَحٍّ وإعوالِ
لا ينفدنْ لي بعد اليوم دمعكما ... إني مصابٌ وإني لست بالسالي
فإنَّ منعَكُما من بعد بذلكما ... إياي مثل الذي قد غُرَّ بالآلِ
لكن أفيضي على صدري بأربعةٍ ... إن الجوانح فيها هاجس صالي
سحَّ الشعيب وماء الغرب يمنحه ... ساقٍ يُحَمِّله ساق بإزلال
حامي الحقيقة نسّال الوديقة فك ... اك العناة كريمٌ ماجدٌ عالِ
على رسول لنا محضٍ ضريبته ... سَمح الخليقة عفٌّ غير مجهالِ
كشاف مكرمة، مطعام مسغبة ... وهّاب عانية وجناء شملالِ
عفٌّ مكاسبه، جزلٍ مواهبه ... خير البرية سمح غير نكّالِ
واري الزناد وقوّاد الجياد إلى ... يوم الطراد إذا شبّت بأجذالِ
ولا أزكي على الرحمن ذا بشر ... لكنَّ علمك عند الواحد العالي
إني أرى الدهر والأيام يفجعني ... بالصالحين وأبقى ناعم البال!
يا عين فابكي رسول الله إذ ذكرت ... ذات الإله، فنعم القائد الوالي!

وقالت عاتكة بنت عبد المطلب رضي الله عنها ترثي الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم:

= عينيَّ جودا طوال الدهر وانهمرا سكباً وسحّاً بدمع غير تعذيرِ
يا عين فاسحنفري بالدمع واحتفلي حتى الممات بسَجْلٍ غير منزور
يا عينِ فانهملي بالدمع واجتهدي للمصطفى دون خلق الله بالنور
بمستهلٌ من الشؤبوب ذي سَبَلٍ فقد رزئت نبي العدل والخير
وكنت من حذر للموت مشفقة والذي خُطَّ من تلك المقادير
من فقد أزهر ضافي الخلق ذي فخر صاف من العيب والعاهات والزور
فاذهب حميداً! جزاك الله مغفرة يوم القيامة عند النفخ في الصور

وقالت أيضاً رضي الله عنها:

يا عين جودي ما بقيت بعبرةٍ سَحّاً على خير البريَّة أحمدِ
يا عين فاحتفلي وسحي واسجمي وابكي على نور البلاد محمد
أنى لك الويلات مثل محمد في كل نائبة تنوب ومشهد
فابكي المبارك والموفق ذا التقى حامي الحقيقة ذا الرشاد المرشد
من ذا يفك عن المغلل غله بعد المغيب في الضريح الملحَدِ
أم من لكل مدفَّع ذي حاجةٍ ومسلسلٍ يشكو الحديد مقيَّدِ
أم من لوحي الله يُترك بيننا في كل ممسى ليلة أو في غد
فعليك رحمة ربنا وسلامه يا ذا الفواضل والندى والسؤددِ
هلاّ فداك الموت كل ملعَّنٍ شكسٍ خلائقه لئيم المحتدِ

وقالت أيضاً رضي الله عنها:

أعيني جودا بالدموع السواجمِ على المصطفى بالنور من آل هاشم
على المصطفى بالحق والنور والهدى وبالرشد بعد المندبات العظائم
وسُحّا عليه وابكيا ما بكيتما على المرتضى للمحكمات العزائم
على المرتضى للبر والعدل والتقى وللدين والإسلام بعد المظالم
على الطاهر الميمون ذي الحلم والندى وذي الفضل والداعي لخير التراحم
أعينيَّ! ماذا بعد قد فجعتما به تبكيان الدهر من ولد آدم
فجودا بسَجْلٍ واندبا كل شارقٍ ربيع اليتامى في السنين البوازم

وقالت أروى بنت عبد المطلب رضي الله عنها:

أيا عينِ ! ويحك أسعديني بدمعكِ ما بقيت وطاوعيني
ألا يا عينِ! ويحك، واستهلي على نور البلاد وأسعديني
فإن عذلتك عاذلة فقولي علامَ، وفيمَ، ويحك تعذليني؟
على نور البلاد معاً جميعاً رسول الله أحمد فاتركيني

= فإلاّ تقصري بالعذل عني ... فلومي ما بدا لك أو دعيني!
لأمرٍ هدَّني وأذل ركني ... وشيَّب بعد جدتها قروني!

وقالت صفية أيضاً رضي الله عنها:

لهف نفسي وبتُّ كالمسلوب ... آرقُ الليل فِعلة المحروب
من هموم وحسرةٍ ردفتني ... ليت أني سقيتها بشَعوبِ
حين قالوا إن الرسول قد امسى ... وافقته منيَّةُ المكتوب
إذ رأينا أن النبي صريعٌ ... فأشاب القذال أيَّ مشيب
إذ رأينا بيوته موحشات ... ليس فيهنَّ بعد عيش حبيبي
أورث القلب ذاك حزناً طويلاً ... خالط القلب فهو كالمرعوب
ليت شعري! وكيف أمسي صحيحاً ... بعد أن بِين بالرسول القريب
أعظمِ الناس في البريَّة حقاً ... سيِّدِ الناس حبه في القلوب
فإلى الله ذاك أشكو وحسبي ... يعلم الله حوبتي ونحيبي

وقالت هند بنت أثاثة رضي الله عنها:

أشاب ذؤابتي وأذل ركني ... بكاؤكِ فاطمَ الميتُ الفقيدا
فأعطيت العطاء فلم تكدَّرْ ... وأخدمت الولائدَ والعبيدا
وكنت ملاذنا في كل لزب ... إذا هبَّت شآمية برودا
وإنك خير من ركب المطايا ... وأكرمهم إذا نسبوا جدودا
رسول الله فارقنا وكنا ... نرجِّي أن يكون لنا خلودا
أفاطمَ فاصبري فلقد أصابت ... رزيئتك التهائم والنجودا
وأهل البرِّ والأبحار طراً ... فلم تخطيء مصيبته وحيدا
وكان الخير يصبح في ذراه ... سعيد الجد قد ولد السعودا
فموتي إن قدرتي أن تموتي ... فقدت الطيب الرجل الحميدا
رسول الله خير الناس حقاً ... فلست أرى له أبداً مديدا

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

مازلت مذ وضع الفراش لجنبه ... وثوى مريضاً خائفاً أتوقع
شفقاً عليه أن يزول مكانه ... عنا، فنبقى بعده نتوجعُ
نفسي فداؤك من لنا في أمرنا ... أو من نشاوره إذاً فترجَّعُ
وإذا تحدثنا الحوادث من لنا ... بالوحي من رب رحيم يسمع
ليت السماء تفطَّرت أكنافها ... وتناثرت فيها النجوم الطُّلَّعُ
لما رأيت الناس هدَّ جميعهم ... صوتٌ ينادي بالنعيِّ فيسمع

= وسمعت صوتاً قبل ذلك هدَّني ... عباس ينعاه بصوت يقطع
فليبكه أهل المدائن كلها ... والمسلمون بكل أرض تجدع

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

ألا طرق الناعي بليلٍ فراعني ... وأرَّقني لما استهلَّ مناديا
فقلت له لما رأيت الذي أتى ... أغير رسول الله أصبحت ناعيا
فحقق ما أشفيت منه ولم يبل ... وكان خليلي عدَّتي وجماليا
فوالله لا أنساك أحمد ما مشت ... بي العيس في أرض وجاوزت واديا
وكنت متى أهبط من الأرض تلعة ... أجد أثراً منه جديداً وعافيا
جوادٌ تشظى الخيل عنه كأنما ... يرين به ليثاً عليهنَّ ضاريا
من الأسد قد أحمي العرين مهابة ... تفادى سباع الأرض منه تفاديا
شديدٌ جريُّ النفس نهدٌ مصدَّرٌ ... هو الموت مغدوٌّ عليه وغاديا

وقالت سيدتنا فاطمة الزهراء رضي الله عنها وأرضاها وعنا بها ترثي أباها الحبيب الأعظم صلى الله عليه وسلم:

لقد سال دمع العين من بعد حسرتي ... على صحن خدي من فراق أحبتي
وقد تركوني باكي العين أشتكي ... فراقهم دوماً وقلة حيلتي
فبت على فرش السقام مسهداً ... أراعي نجوم الليل من عظم بلوتي
وقد أورثوني حسرة لفراقهم ... ونيران وجد في جوانب مهجتي
وقد سكنوا تحت التراب وأقفرت ... منازلهم من بعد حسن وبهجة
أحباي إن البعد والسقم والنوى ... لقد غيَّرت لوني وجسمي وصحتي
فيارب بلِّغني المرام بنظرة ... إليه لتطفي نار حزني ووحشتي
وأرمق نوراً للحبيب محمد ... إمام البرايا خير كل الخليقة
وأشكو إليه الوجد والسقم والجوى ... ليرثي لحالي في الهوى وصبابتي
وأنشده يا خير من وطيء الثرى ... ويا خير مرسول إلى خير أمتي
بحقك كن لي في معادي شافعاً ... فأنت غياثي في أماني وشدتي
عليك صلاة الله ثم سلامه ... مدى الدهر ما غنى الحمام بروضة

وقالت أيضاً رضي الله عنها:

قلَّ صبري وبان عني عزائي ... بعد فقدي لخاتم الأنبياء
عين يا عين اسكبي الدمع سحًّا ... ويك لا تبخلي بفيض الدماء
يا رسول الإله، يا خيرة الله ... وكهيف الأيتام والضعفاء
قد بكتك الجبال والوحش جمعاً ... والطير والأرض بعد بكي السماء

= ويبكاك الحجون والركن والمش   عر يا سيدي مع البطحاء
ويبكاك المحراب والدرس للقرآ   ن في الصبح معلناً والمساء
ويبكاك الإسلام إذ صار في   الناس غريباً عن سائر الغرباء
لو ترى المنبر الذي كنت تعلو   ه، علاه الظلام بعد الضياء
يا إلهي عجِّلْ وفاتي سريعاً   فلقد نغص الحياة يا مولائي

وقالت أيضاً رضي الله عنها وأرضاها:

قد كنت لي جبلاً ألوذ بظله   فاليوم تسلمني لأجر ضاح
قد كنت جار حميتي ما عشت لي   واليوم بعدك من يريش جناحي
وأغض من طرفي وأعلم أنه   قد مات خير فوارسي وسلاحي
حضرت منيته فأسلمني العزا   وتمكنت ريب المنون جواحي
نشر الغراب علي ريش جناحه   فظللت بين سيوفه ورماحِ
إني لأعجب من يروح ويغتدي   والموت بين بكوره ورواحِ
فاليوم أخضع للذليل وأتقي   ذلي وأدفع ظالمي بالراحِ
وإذا بكتْ قمريت شجناً به   ليلاً على غصن بكيت صباحيَ
فالله صبرني على ما حلَّ بي   مات النبي، قد انطفى مصباحي

وقالت أيضاً رضي الله عنها:

قل للمغيَّب تحت أطباق الثرى   إن كنت تسمع صرختي وندائيا
صُبَّت عليَّ مصائب لو أنها   صُبَّت على الأيام صرن لياليا
قد كنت ذا حمى لظل محمد   لا أخشى من ضيم وكان جماليا
فاليوم أخشع للذليل وأتقي   ضيمي وأدفع ظالمي بردائيا
فإذا بكت قمرية في ليلها   شجناً على غصن بكيت صباحيا
فلأجعلنَّ الحزن بعدك مؤنسي   ولأجعلنَّ الدمع فيك وشاحيا
ماذا على من شم تربة أحمد   أن لا يشم مدى الزمان غواليا

وقالت أيضاً رضي الله عنها:

اغبرَّ آفاق السماء وكوّرت   شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبي كئيبة   أسفاً عليه، كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها   ولتبكه مضر، وكل يمان
وليبكه الطود المعظّم جوده   والبيت ذو الأستار والأركان
يا خاتم الرسل المبارك ضوؤه   صلى عليك منزل القرآن
نفسي فداؤك، ما لرأسك مائلاً   ما وسّدوك وسادة الوسنان

= وقالت أيضاً رضي الله عنها:

إذا مات قرم قلّ والله ذكره ... وذكر أبي والله مذ مات أزيد
تذكّرت لما فرّق الموت بيننا ... فعزيت نفسير بالنبي محمد
فقلت لها: إن الممات سبيلنا ... ومن لم يمت في يومه مات في غد

وقالت أيضاً رضي الله عنها وأرضاها:

إنا فقدناك فقد الأرض وابلها ... وغاب مذ غبت عنا الوَحي والكتب
فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لما نعيت وحالت دونك الكتب

وأورد بعضهم بعد هذين البيتين:

أبدى رجالٌ لنا نجوى صدورهم ... لما مضيت، وحالت دونك الترب
وكنت بدراً ونوراً يستضاء به ... عليك تنزل من ذي العزة الكتب
وكان جبريل بالآيات يؤنسنا ... وإذا فقدت فكل الخير محتجب
فليت قبلك كان الموت صادفنا ... لما مضيت وحالت دونك الكثب
إنا رزينا بما لم يرز ذو شجن ... من البرية، لا عجم ولا عرب

وقالت أيضاً رضي الله عنها وأرضاها:

إن حزني عليك حزن جديد ... وفؤادي والله صب عنيد
كل يوم يزيد فيه شجوني ... واكتئابي عليك ليس يبيد
جلّ خطبي، وبان عني عزائي ... فبكائي كل وقت جديد
إن قلباً عليك يألف صبراً ... أو عزاء إنه لجليد

وقالت أيضاً رضي الله عنها:

أبي !!!، واأبتاه أجاب رباً دعاه
جنة الفردوس مأواه من ربه ما أدناه
إلى جبريل ننعاه

وقالت أيضاً رضي الله عنها:

إذا اشتد شوقي زرت قبرك باكيا ... أنوح وأشكو ر أراك مجاوبي
فيا ساكن الصحراء علّمتني البكا ... وذكرك أنساني جميع المصائب
فإن كنت عني في التراب مغيّباً ... فما كنت من قلب الحزين بغائب

وقال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أمن بعد تكفين النبي ودفنه ... نعيش بآلاء ونجنح للسلوى
رزئنا رسول الله حقاً فلن نرى ... بذاك عديلاً ما حيينا من الردى
وكنت لنا كالحصن من دون أهله ... له معقل حرز حريز من العدا
وكنا بمرآكم نرى النور والهدى ... صباح مساء، راح فينا أو اغتدى

= لقد غشيتنا ظلمة بعد فقدكم ... نهاراً وقد زادت على ظلمة الدجى
فيا خير من ضم الجوانح والحشا ... ويا خير ميت ضمه الترب والثرى
كأن أمور الناس بعدك ضمِّنت ... سفينة موج حين في البحر قد سما
وضاق فضاء الأرض عنا برحبه ... لفقد رسول الله إذ قيل قد مضى
فلن يستقل الناس ما حلَّ فيهم ... ولن يجبر العظم الذي منها وهى
وفي كل وقت للصلاة يهيجها ... بلالٌ، ويدعو باسمه كلما دعا
ويطلب أقوام موارث هالك ... وفينا مواريث النبوة والهدى

وقال سيدنا علي كرم الله وجهه أيضاً:

أمن بعد تكفين النبي ودفنه ... بأثوابه آسى على هالك ثوى
رزئنا رسول الله فينا فلن نرى ... بذاك عديلاً ما حيينا من الورى
وكان لنا كالحصن من دون أهله ... لهم معقل حرز حريز من العدى
وكنا به شم الأنوف بنحوه ... على موضع لا يستطاع ولا يرى
فيا خير من ضم الجوانح والحشا ... ويا خير ميت ضمه الترب والثرى
كأن أمور الناس بعدك ضمنت ... سفينة موج البحر، والبحر قد طمى
وضاق فضاء الأرض عنهم برحبه ... لفقد رسول الله إذ قيل قد قضى
فيا حزنا إنا رأينا نبينا ... على حين تم الدين واشتدت القوى
وكان الألى شبهته سفر ليلة ... أضل الهدى لا نجم فيها ولا ضوى

وقالت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ترثيه:

فجعنا بالنبي وكان فينا ... إمام كرامة، نعم الإمام
وكان قوامنا، والرأس منا ... فنحن اليوم ليس لنا قوام
ننوح ونشتكي ما قد لقينا ... ويشكو فقدك البلد الحرام
فلا تبعد، فكل فتى كريم ... سيدركه ـ وإن كره ـ الحمام

وقال كعب رضي الله عنه:

ألا أنعي النبي إلى العالمينا ... جميعاً لاسيما المسلمينا
ألا أنعي النبي لأصحابه ... وأصحاب أصحابه التابعينا
ألا أنعي النبي إلى من هدى ... من الجن ليلة إذ تسمعونا
لفقد النبي إمام الهدى ... وفقد الملائكة المنزلينا

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

لعمري لقد أيقنت أنك هالك ... ولكن ما أبدي الذي قلته الجزع
وقلت يغيب الوحي عنا لفقده ... كما غاب موسى ثم يرجع كما رجع =

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠﴾[1].

الحمد لله الذي هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

نحمده حمداً يوافي نعمه، ويكافيء مزيده.

اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي، وعلى آل سيدنا محمد وأزواجه وذريته، كما صليت على سيدنا ابراهيم، وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

اللهم اجزه عنا أفضل ما جزيت نبياً عن أمته، واحشرنا في زمرته، واجعلنا من خيار أمته، ولا تخالف بنا عن ملته، صلى الله عليه وعلى آله وصحابته.

تم الكتاب، والحمد لله وحده وكان الفراغ من نسخه يوم الاثنين المبارك خامس وعشرين من شهر شعبان المعظم سنة ست وثلاثين بعد الألف على يد الفقير الحقير المعترف بالعجز والتقصير أفقر عباد الله وأحوجهم إلى عفو ربه الغني يوسف بن عبد الله الحنفي عامله الله بلطفه الخفي آمين والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

= وكان هواي أن تطول حياته ... وليس لحي في بقا ميت طمع
فلما كشفنا البرد عن حر وجهه ... إذا الأمر بالجزع الموعب قد وقع
فلم تك لي عند المصيبة حيلة ... أرد بها أهل الشماتة والقذع
سوى آذن الله الذي في كتابه ... وما آذن الله العباد به يقع
وقد قلت من بعد المقالة قولة ... لها حلوق الشامتين به بشع
ألا إنما كان النبي محمد ... إلى أجل وافى به الموت فانقطع
ندين على العلات منا بدينه ... ونعطي الذي أعطى ونمنع ما منع
ووليت محزوناً بعين سخية ... أكفكف دمعي والفؤاد قد انصدع
وقلت لعيني كل دمع دخرته ... فجودي به إن الشجي له دفع

(1) سورة يونس ـ الآية ١٠.

الفهرس التفصيلي
لمباحث الكتاب

الفهرس التفصيلي لمباحث الكتاب

أبواب الكتاب

الباب الأول

الموضوع	الصفحة

الباب الثاني

الباب الثالث

الموضوع	الصفحة

الباب الرابع

الموضوع	الصفحة

الباب السابع

الباب الثامن

الباب التاسع

الموضوع	الصفحة
فصل: في آداب السواك	١٩٩
بيان حكمه وأقوال العلماء في ذلك	٢٠٠
بيان فضله، وما جاء فيه من أحاديث نبوية في الترغيب فيه	٢٠٠
بيان كيفيته	٢٠١
بين سر مشروعية السواك	٢٠٢
بيان وقته	٢٠٣
يتأكد استحباب السواك في خمسة أوقات	٢٠٣
بيان ما يستاك به	٢٠٤
حجامته صلى الله عليه وسلم وما جاء في ذلك	٢٠٥

الباب العاشر

الموضوع | الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة
ومنها: نفثه صلى الله عليه وسلم في رجل زيد بن معاذ حين أصابها السيف إلى الكعب فبرئت	٢٣٧
ومنها: نفثه صلى الله عليه وسلم على ساق علي بن الحكم يوم الخندق فبريء مكانه ولم ينزل عن فرسه	٢٣٧
ومنها: إلصاقه صلى الله عليه وسلم يد معوّذ بن عفراء وقد قطعت فلصقت مكانها	٢٣٧
فصل: في إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم	٢٣٧
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لسيدنا أنس بن مالك رضي الله عنه لما أتت به أمه	٢٣٧
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن عوف بالبركة	٢٣٨
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لمعاوية بالتمكين، فنال الخلافة	٢٣٩
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لسعد بن أبي وقاص بإجابة الدعاء	٢٣٩
دعاؤه صلى الله عليه وسلم بعز الإسم بعمر بن الخطاب	٢٣٩
إجابة دعائه صلى الله عليه وسلم في الاستسقاء	٢٤٠
دعاؤه صلى الله عليه وسلم للنابغة الجعدي بقوله «لا يفضض الله فاك» فما سقط له سن بعدها	٢٤٠
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لسيدنا ابن عباس بقوله «اللهم فقهه في الدين وعلّمه التأويل» فاستجاب الله دعاءه وكان حبر الأمة	٢٤٠
دعاؤه صلى الله عليه وسلم لعلي أن يكفى الحر والقر	٢٤١
دعاؤه صلى الله عليه وسلم على مضر فأقحطوا	٢٤١
دعاؤه صلى الله عليه وسلم على كسرى أن يمزق الله ملكه	٢٤١
دعاؤه صلى الله عليه وسلم على الحكم بن العاص	٢٤١
دعاؤه صلى الله عليه وسلم على عتبة بن أبي لهب فأكله الأسد	٢٤١
دعاؤه صلى الله عليه وسلم على سراقة يوم الهجرة فساخت فرسه	٢٤٢
فصل: ومن ذلك ما أطلع عليه من الغيوب وما يكون وإخباره بذلك	٢٤٢
منها: إخباره صلى الله عليه وسلم أن طوائف من أمته يغزون في البحر	٢٤٢
ومنها: إخباره صلى الله عليه وسلم يوم بدر بمصارع المشركين	٢٤٣
ومنها: قوله لعثمان أنه سيصيبه بلوى شديدة	٢٤٣

الموضوع	الصفحة

الباب الحادي عشر

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة

الباب الثاني عشر

الموضوع **الصفحة**

هذا الكتاب

كثيرون الذين ألّفوا في أحكام الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وفضلها وثمراتها، وفوائدها... إلا أن الإمام الفاكهاني «أو ابن الفاكهاني» المالكي قد برَّز الجميع في تأليفه هذا، فكان كتابه مرجعاً لكل من أتى بعده، حيث جمع فيه تلك الأبواب، وزاد عليها فصولاً هامة في شمائل النبي صلى الله عليه وسلم، وخصائصه، وصفاته، ومعجزاته... وفصولاً أخرى هامة في هذا الباب، وختم كتابه بذكر وفاته صلى الله عليه وسلم ومراثي الصحابة وغيرهم له صلى الله عليه وسلم، فكان كتابه جامعاً نافعاً لمن أراد أن يكرع من موارد فضله، ويتضلّع من مناهل ورده صلى الله عليه وسلم.

آثار المحقق

١ ـ المطلب التام السوي على حزب الإمام النووي	الإمام أبو الحسن البكري الصديقي
٢ ـ جالية الأكدار والسيف البتار	الإمام خالد النقشبندي
٣ ـ حقائق فضل الله المألوف الواردة على ترتيب الحروف	الإمام أبو الحسن البكري الصديقي
٤ ـ الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف النبوي المكرم	الإمام ابن حجر الهيتمي
٥ ـ المنح المكية في شرح الهمزية همزية الإمام البوصيري «٣ مجلدات»	الإمام ابن حجر الهيتمي
٦ ـ تفسير الفاتحة الكبير «المسمى بالبحر المديد»	سيدي أحمد بن عجيبة
٧ ـ تبصرة الغافل وتذكرة العاقل	محمد الطيب بن مسعود المريني
٨ ـ تهذيب الأسرار	الإمام أبو سعد عبد الملك النيسابوري الخركوشي
٩ ـ مجموع رسائل مولاي العربي الدرقاوي	مولاي العربي بن أحمد الدرقاوي
١٠ ـ شرح الصلاة المشيشية	الإمام الطيب بن عبد المجيد بن كيران
١١ ـ مسالك الحنفا إلى مشارع الصلاة على صاحب الاصطفا ﷺ	الإمام القسطلاني
١٢ ـ مسالك الأبصار في ممالك الأمصار «الجزء الثامن ـ تراجم الصوفية»	ابن فضل الله العمري
١٣ ـ وسيلة المتوسلين في فضل الصلاة على سيد المرسلين ﷺ «قيد التحقيق»	الإمام العروسي
١٤ ـ مجموع رسائل سيدي علي الجمل العمراني «شيخ مولاي العربي الدرقاوي»	سيدي علي الجمل العمراني
١٥ ـ كتاب الآداب المرضية لسالك طريق الصوفية «رسائل سيدي محمد البوزيدي تلميذ مولاي العربي الدرقاوي» ـ قيد التحقيق ـ	سيدي محمد البوزيدي